درس الجمعة بالأزهر

للشيخ صالح الجعفري

الجزء الرابع

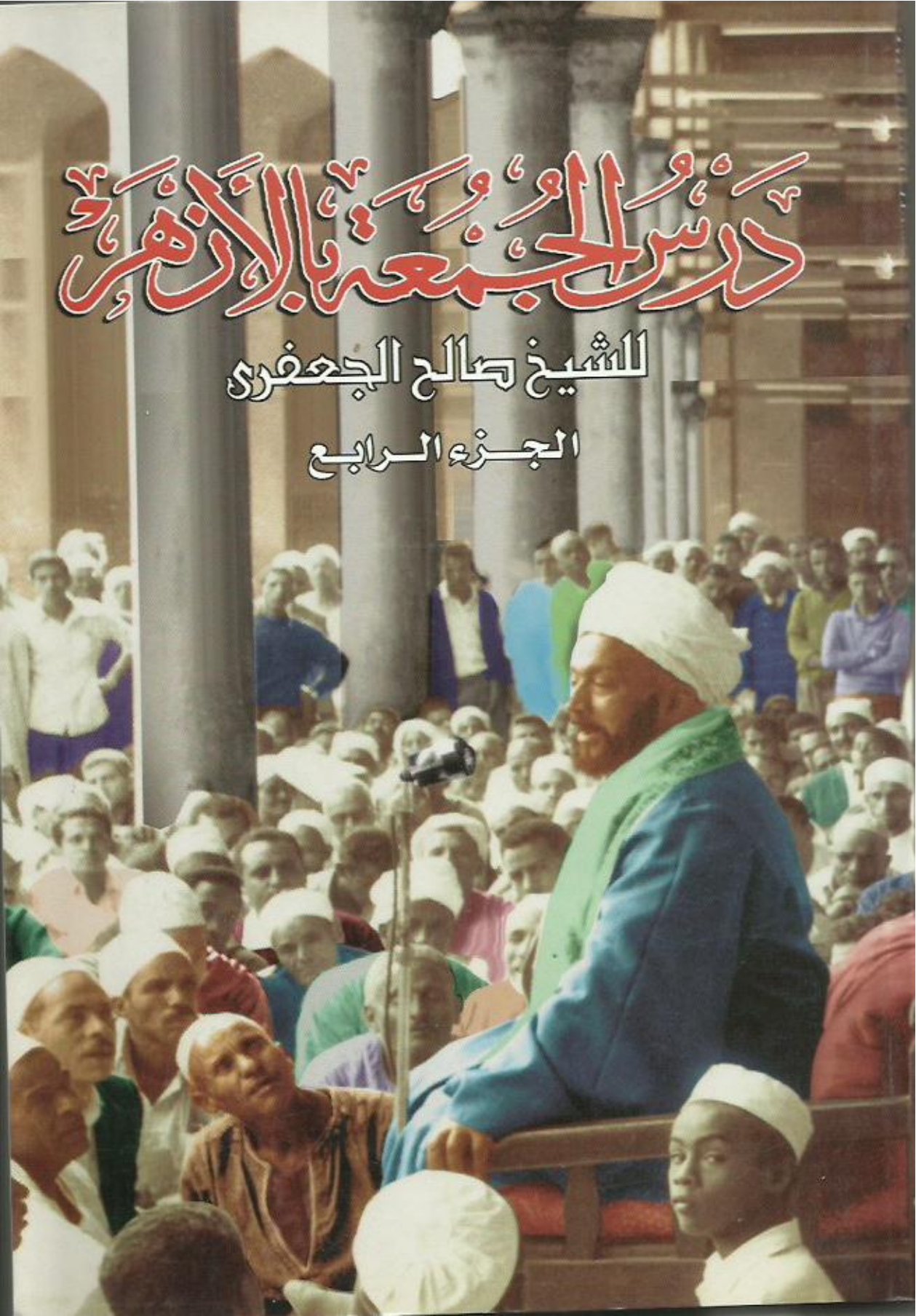

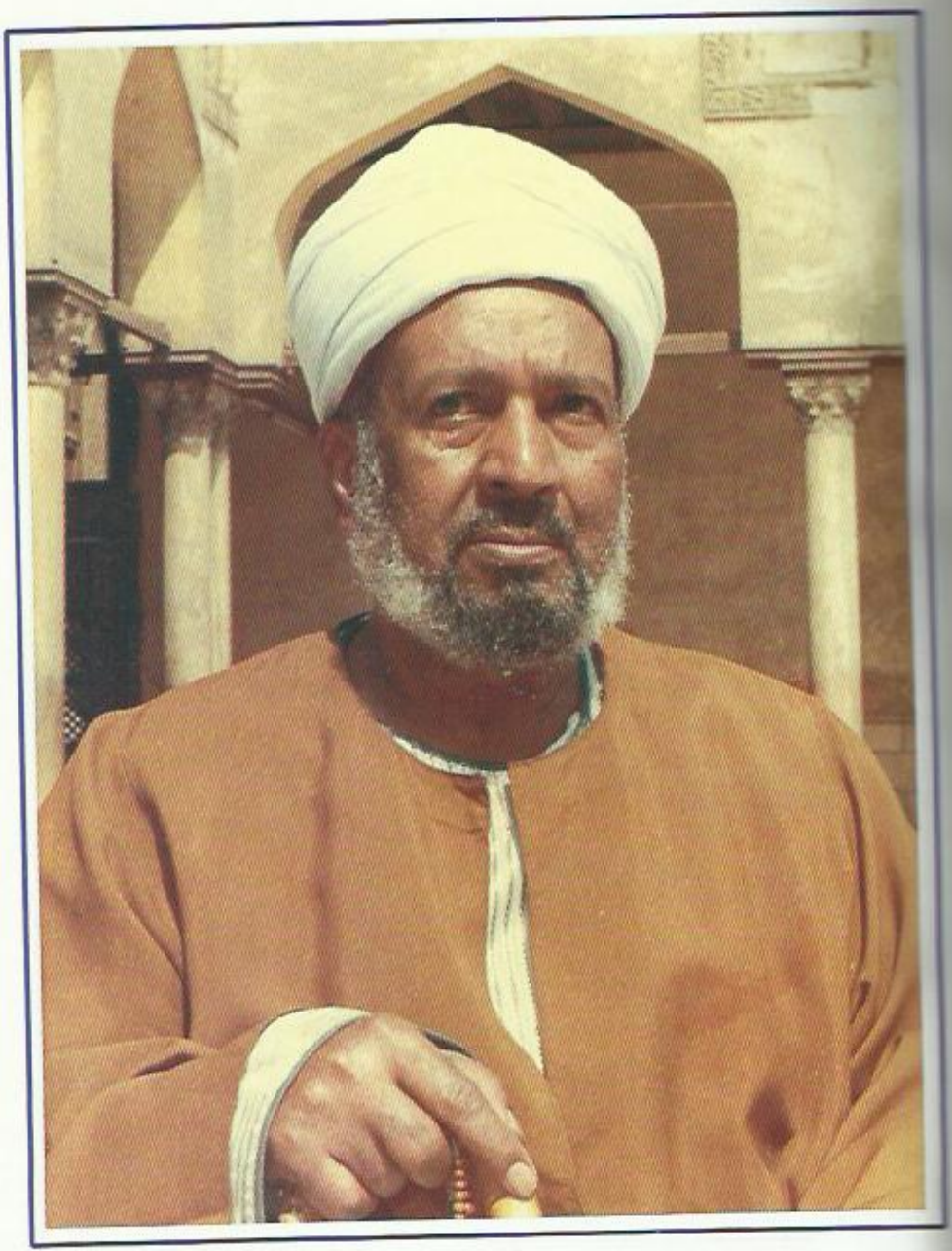

صورة العارف باللّه تعالى الإمام الأزهرى
الشيخ صالح الجعفرى رضى اللّه تعالى عنه
مؤسس الطريقة الجعفرية

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية الأحمدية
المحمدية بمصر والعالم الإسلامى

درس الجمعة بالأزهر

لإمام الجامع الأزهر

فضيلة الشيخ **صالح الجعفري** رضي الله تعالى عنه

الجزء الرابع

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ ش الشيخ صالح الجعفري الدراسة القاهرة ـ تليفون ٥٨٩٨٠٢٩

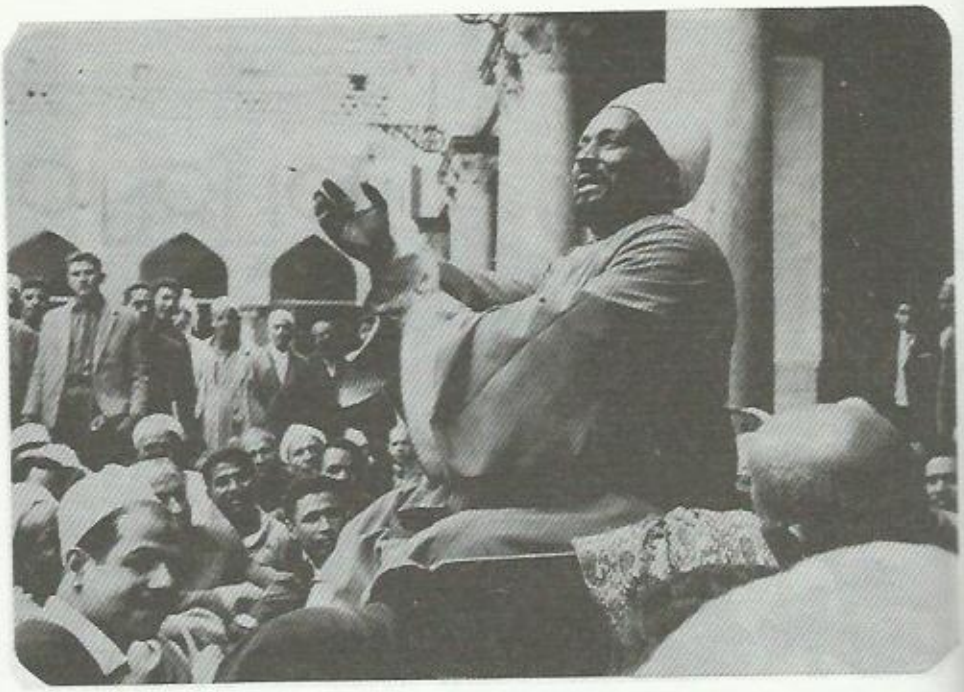

مع الشيخ فى حلقات درسه

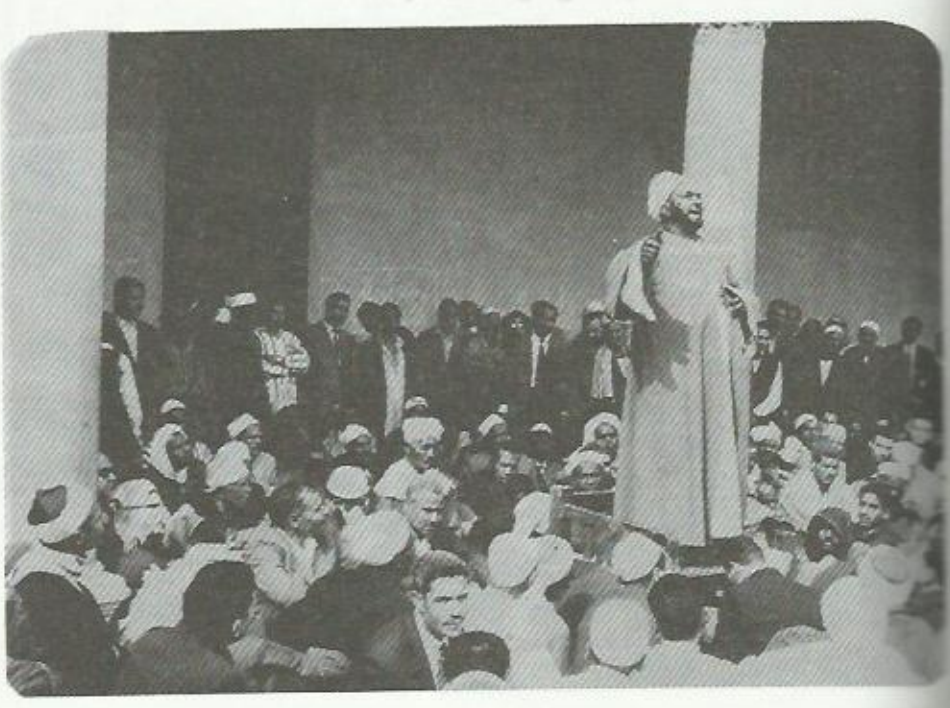

مع الشيخ فى حلقات درسه

مع الشيخ فى حلقات درسه

مع الشيخ فى حلقات درسه

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله أهل الحمد والثناء . . .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الأنبياء والأصفياء ورضي الله تبارك وتعالى عن آله وعترته الطاهرين الكرماء، وعن صحابته المخلصين النجباء، وعن التابعين، ومن تبع الجميع بإحسان إلى يوم اللقاء .

وبعد . . . .

فإن دار جوامع الكلم الجعفرية حريصة أشد الحرص على تتبع دروس شيخنا الإمام العالم العامل الوارث سليل بيت النبوة سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى الحسينى رضي الله تبارك وتعالى عنه فى أشرطة التسجيل، وفى تراث الشيخ، وفيما سجله العلماء الذين كانوا حريصين على حضور درسه وتدوينه .

وقد تم ـ بفضل الله تعالى ـ طباعة ثلاثة أجزاء من درس الجمعة وهاهو الجزء الرابع نقدمه هدية ثمينة غالية لكل مسلم بما يشتمل عليه من فتاوى وأحكام وإزالة للشبه فى العقائد وغيرها، وبما فيه من تفسير وتحرير لكثير من المسائل المشكلات، وما هذا إلا قطرة من بحر الشيخ الذى ظل يدرس بالأزهر أربعين عامًا أو تزيد .

نسأل الله تعالى أن يجزى شيخنا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن ينفعنا بعلمه، وأن يرزقنا محبته ومحبة أهل بيت النبوة أجمعين، إنه رءوف رحيم جواد كريم .

دار جوامع الكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، كرّم العلماء، فجعلهم ورثة الأنبياء، يحملون رسالتهم، ويدعون بدعوتهم، ويسيرون على نهجهم، يبلغون للناس ما أمروا به فهم الدعاة الهداة بين الناس .

والتوفيق من الله يخص منهم من يوقف حياته للدعوة والإرشاد والتبليغ ويجعلون من حياتهم بعدد أيامهم دعوة وقفًا لله .

وشيخنا عليه رضوان الله ــ تعالى ــ قضى خمسين عامًا في الأزهرالشريف طالبًا فعالمًا فمدرسًا وواعظًا وإمامًا إلى أن خرج نعشُه من الأزهر إلى مقره الأخير ، حيث كان مجاورًا بالأزهر لا يخرج منه إلا للحج وزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارة مقامات أهل البيت والأولياء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

فكان مقره بالرواق العباسي، ثم رواق المغاربة، وقد حفل بالكثير من اللقاءات مع العلماء من العالم الإسلامي ومن المستشرقين، حتى قال شيخ الأزهر د. عبد الرحمن بيصار: (الشيخ صالح هو الأزهر بوجوده فيه، وبعلمه، فكم من زائر للأزهر من بلاد متعددة يجدون الشيخ صالح ممثلاً للأزهر بعلمه، فكان وجوده بالأزهر رمزًا للأزهر، رضي الله عنه وكانت حلقة درسه يوميًا بعد صلاة المغرب، وفي المناسبات الإسلامية، ولقد اشتهر رضي الله عنه بدرس الجمعة) .

وعلى هـذا النبع الصافـى المتدفق الفيـاض، ومن أغواره وآثـاره، وما سجله تلاميذه على أشرطة الكاسيـت أو دونوه فى مذاكرتهم عكفت لجنة التراث الجعفرى من أبنائه ـ وهم دكاترة متخصصون كلٌّ فى تخصصه فى اللغة والحديث وعلوم القرآن والبلاغة والفقـه ـ حيث تناولوا هذه الدروس فراجعـوا المذكـرات المدونة مـع الأشرطة المسجلـة، وحققوا الأحـاديث والآيات، فجـاءت تلك الـدروس فى أصـح صورة وأمثلهـا تتحدث كمـا تحدث الشيخ .

ولاشـك أن إصدار الجـزء الرابـع مـن درس الجمعة تحفـة نادرة، بـل ذخيرة علمية، فيها ذكرى ونجوى للذين حضروا هذه الدروس، وفيها علم ومعرفة للذين لم يحضروا هذه الدروس .

ومازلنا فى أول الطريق نَحُتُّ الخُطَـى ونُقلِّب صفحات المذكرات التى كُتِبت بخط الشيخ رضى الله عنه، والتى عبرت عن إلهامات سطرت على أغلفة الكراسات وفى نوت صغيرة وأوراق، حيث كان شيخنا عليه رضوان الله يسجل خواطـره، وفى مقامات أهـل البيت وفى زيارات لـلأولياء كان قلمـه يسجـل الخـواطـر والإلهـامات التـى عبـرت عـن لقـاءات روحيـة وجـدانيـة .

ولقد قدمنـا للجزء الأول والثانى والثالـث بمقدمات أهمها مـا جاء فى الجـزء الأول، ولهذا فـإن مقدمـة الجـزء الأول من درس الجمعـة مرتبطـة ارتباطًـا توضيحيًا بدرس الجمعـة، ومن الضرورى الاطلاع عليهـا، ولهذا أضيفت إلى هذا الجزء كذلك .

ونحن نقدم الجزء الرابع من درس الجمعة الذى اشتهر به شيخنا وعرف به وكان بمثابة حلقة التعارف التى عرف بها الشيخ للعوام والخواص، وكثير من الناس عرفوا الشيخ عن طريق هذا الدرس .

والجزء الرابع فى ثوبه القشيب يتدفق بمدد شيخنا لأبنائه وأحبائه وللإخوان فى الطريق، وللمريدين بما فيه من علم غزير ، ومواعظ وإرشادات وفتاوى، وكشف للشبه عن بعض العقائد .

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدروس من قرأها وأن يوفقه للعمل بها إنه نعم المولى ونعم النصير ، ،

عبد ربه الغنى

عبد الغنى صالح الجعفرى

شيخ عموم الطريقة الجعفرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء، ورفعهم عنده إلى أعلى الدرجات، وحفظ بهم علوم الإسلام من البدع والضَّلالات، وبعث بعد كل مائة عام لهذه الأمة عالمًا يوضح لها ما خفى عليها من المسائل العويصات، وكرم العلم والعلماء، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِين آمنُوا مِنكُمْ والَّذِين أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، الذى بعثه الله مُعلِّمًا، ومُبيِّنًا للنَّاس ما نُزِّل إليهم، فهو القائل ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»[2]، وعلى آله وأصحابه الطيِّبين الطاهرين، الذين تعلَّمُوا العلم، وعملوا به، فنالوا رضا الله تعالى فى الدنيا والآخرة أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب.

أما بعد..

فلقد شهد الأزهر الشريف على مرِّ عصوره أعلامًا من أبنائه، يجوبون مشارق الأرض ومغاربها، رافعين راية الإسلام، داعين إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، حاملين أعلام الدعوة الإسلامية، كُتَّابًا وخُطَباء ومحاضرين ومُدرِّسين فى أقسامِ الوعظ، ولقد سطر التاريخ أسماء هؤلاء الأعلام بمداد من نور، ومن هؤلاء الأعلام الأفاضل: شيخنا

---

(١) سورة المجادلة: ١١

(٢) رواه ابن ماجة.

وأستاذنا العارف بالله تعالى سيدى ـ صالح الجعفرى ـ مؤسس الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية وصاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف، وشيخنا عليه رضوان الله تعالى يتصل نسبه الشريف بالإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن سيدنا الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

وقد ولد شيخنا عليه رضوان الله تعالى ببلدة «دنقلا» من السودان الشقيق فى الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ هـ، وبها حفظ القرآن الكريم وأتقنه فى مسجدها العتيق، ثم وفد إلى مصر ، ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف، واتصل بأهله المقيمين بقرية «السلمية» بمركز الأقصر من محافظة «قنا»، ويحدثنا الشيخ رضى الله تعالى عنه عن أهله وأجداده الجعافرة فى السلمية، فيقول عن أسرته :

«من بلدة الأقصر بصعيد مصر ، من القبيلة التى هى من الجعافرة، وتسمى «العلوية» وهم مفرقون بين الأقصر والحلة والحليلة والدير ، وقد قل عددهم والبقاء لله، وفى السلمية يوجد قبر جد والدى محمد رفاعى بمقبرة جد الجعافرة الشريف السيد الأمير «حَمَد»، حيث إنه كان يقيم هناك، وللجعافرة نسب كثيرة محفوظة قديمة ومن أشهرهم فى إظهار تلك النسب أخيرًا: الشريف السيد إسماعيل النقشبندى وتلميذه الشيخ موسى المرعيابى، ولا تزال ذرياتهم تحتفظ بتلك النسب كثيرة الفروع المباركة .

وقد أخذ شيخنا عليه رضوان الله ـ طريقة سيدى أحمد ابن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن سيدى محمد الشريف ـ رضى الله تعالى عنه ـ ويحدثنا شيخنا الإمام الجعفرى عن ذلك فيقول :

«وقد أجازنى بهـذا الطريق شيخى وأستاذى مربى المريـدين الشريف السيد محمـد عبد العـالى، عـن والده سيـدى عبد العـالى، عـن شيخه العلامة: السيـد محمد بن على السنوسـى عن شيخه العارف بـالله تعالى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه»[٣].

ثم كان حضوره إلى مصر للالتحاق بـالأزهر بإشارة من شيخه، سيدى عبد العـالى ـ رضى الله تعـالى عنه ـ وعـن ذلك يحدثنا شيخنـا رضى الله تعالى عنه فيقول:

«قبل مجيئى إلى الأزهـر جاء أحـد أهل البلـد، بأول جـزء من شـرح النووى علـى صحيح مسلـم، فاستعـرته منـه وصرت أذاكـر فيه، فـرأيت سيدى عبد العالى الادريسى ـ رضى الله تعالـى عنه ـ جالسًا على كرسى، وبجواره زاد للسفر، وسمعت من يقول: إن السيد يريد السفر إلى مصر، إلى الأزهـر، فجِئْتُ وسلمـتُ عليه، وقبلـتُ يده، فقـال لى مـع حِدَّة: «العلمُ يُؤْخَذُ من صُدُور الرجال لا من الكتب»، وكررها، فاستيقظت من منـامى، وقـد ألهمنى ربـى السفر إلـى الأزهر، وحضـرت الشيخ محمـد إبراهيـم السمالوطـى المُحدِّثَ، وهو يُـدرِّس شرح النووى علـى صحيح مسلم، فجلستُ عنده، وسمعتُه يقرأ حديث: «لا هجرةَ بعد الفتْح ولكن جِهَادٌ وَنِيَّة، وَإِن اسْتُنْفِرتُم فَانفِرُواْ»[٤] رواه مسلم.

وقد تلقى الشيخ ـ رضى الله تعالى عنـه ـ العلم بالأزهر الشريف، على

(٣) المنتقى النفيس ص ٢، ٣.

(٤) فتح وفيض: ص ١١، ١٢.

يد نخبة من كبار العلماء العاملين، الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة، ومنهم الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى، والشيخ محمد بخيت المطيعى، والشيخ حبيب الله الشنقيطى، العالِم المُحدِّث المشهور صاحب «زاد المسلم» وغيره من المصنفات المفيدة، الذى كان للشيخ معه لقاءات وكرامات، يحدثنا شيخنا ـ رضى الله تعالى عنه ـ فيقول:

«ذهبت إلى بيت الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى، بجوار القلعة، ناويًا بقلبى أن أستأذنه فى أن أكون مقرئًا له مَتْن حديث البخارى ومسلم، فلما وصلتُ البيت وجلستُ بغرفة الاستقبال، وهى أول مرة أزوره بها، جاءنى مُبْتَسِمًا، فلما سلَّمتُ عليه وقبَّلْت يدَه، قال لى: أنت الذى ـ إن شاء الله ـ ستكون سَرَّادًا لى فى هذا العام، ومعنى «سَرَّادًا»: مُقْرِئًا، والحمد لله قد لازمته خمس عشرة سنة، إلى الممات، ونزلت قبره، ولَحدتُه بيدى، والحمد لله، وكنت أقرأ للأخوان الحاضرين درسًا قبل حضوره بالمسجد الحسينى، فإذا عارضنى إنسان أو شاغبنى يهمس لى فى أذنى عند جلوسه على الكرسى بقوله: يُعاكسونك وأنت خير منهم، كأنه كان معى، ثم يأتى فى دروسه بكل موضوع قَصَّرْتُ فيه وقد حصل ذلك منه مرات كثيرة.

وكان إذا حصل له عذر يرسل تلميذًا أن اقرأ الدرس نيابة عن الشيخ، وفى يوم أرسل لى ورقة مكتوبة بخط يده، فيها: «قد وكلتك بقراءة الدرس» فتعجبت من ذلك، لماذا غَيَّرَ الشيخُ عادته من المُشَافهة إلى المُكَاتبة؟ وما أشعرُ إلا ومدير المساجد قد حضر وأنا أقرأ الدرس، فسألنى: وهل وكلك الشيخ؟ قلت: نعم، قال: وأين التوكيل؟ فقدمت

له الورقة المرسلة من الشيخ، ففرح بها، ودعا لى بخير، فكانت هذه كرامة منه ـ رحمه الله تعالى، وغفر له، وأسكنه فسيح الجنان ـ فإنه كان يحبنى كثيرًا ويقول لى: أنت بركة هذا الدرس، قد أجزتك بجميع إجازاتى ومؤلفاتى.

وكان يقول لى: عليك بشرحى على زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم، فإنى ما تركت فيه شاذة ولا فاذة»[٥].

ومن شيوخه الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله، الذى يقول عنه شيخنا رضى الله تعالى عنه:

«وكان أيضًا من العلماء العارفين، وقد لازمت درسه بعد صلاة الصبح بالجامع الأزهر الشريف، بالرواق العباسى سبع سنين، وكان السيد الحسن الإدريسى إذا جاء من السودان يلقانى فى درسه وبعد الدرس يسلم على الشيخ، فيفرح فرحًا عظيمًا، ويقول: السيد أحمد بن إدريس قطب، لا كالأقطاب..

وكان الشيخ الدجوى قد أخذ الطريقة الإدريسية عن شيخى السيد محمد الشريف ـ رضى الله تعالى عنه ـ والشيخ الدجوى من هيئة كبار علماء الأزهر وله مؤلفات نافعة، ومقالات قيمة فى مجلة الأزهر الشريف، وقد حضرت عليه التفسير من سورة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ شرح البخارى بعده، وكان يحفظ القرآن الكريم بالتجويد والقراءات، ويذكر أقوال المفسرين، ويعرب

---

(٥) الذخيرة المعجلة: ص ٢٨.

الآية إعرابًا دقيقًا، ويبين الألفاظ اللغوية فيها، ويتعرض للأحكام الفقهية على المذاهب، وكان يقرأ الحديث بالسند، ويترجم لرجاله ترجمة طريفة، ويذكر أقوالاً كثيرة قيِّمة فى أدِلَّة التوسُّل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذكر أكثرها فى مجلة الأزهر، المسماة (وقتها) نور الإسلام»[٦].

ولقد كان شيخنا ـ رضى الله عنه ـ يحضر دروس هؤلاء العلماء، حضور الواعى المُتفهِّم، المُحِبّ للعلم وأهله، فكان كثيرًا ما يناقش شيوخه ويحاورهم، وكانوا يعجبون به وبفطنته وقوة حافظته وحُجَّته، فَيُثْنُونَ عليه خَيْرًا ويَدْعُون له بالتوفيق والبركة.

ويذكر لنا شيخنا رضى الله عنه صورة من ذلك مع شيخه الدجوى السالف الذكر، فيقول:

«كان رحمه الله مرة يقرأ حديث سؤال القبر فى صحيح البخارى، وكنت قد ذاكرت شرح الكرمانى على البخارى ورأيت فيه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يظهر للمسئول عند قول الملك له: ما تقول فى هذا الرجل؟ وبعد انتهاء الدرس قبلت يده وقلت له: يقول الشيخ الكرمانى: إنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يظهر للمسئول، فوكزنى فى صدرى وقال لى: أنا ذاكرت شرح الكرمانى واطَّلَعْتُ فيه على هذه المسألة، لِمَ لَمْ تُذكِّرنى بها فى الدَّرْس حتى يَسْمعها مِنِّى النَّاس».

ومرة كان يتكلم على رؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منامًا

---

(٦) الذخيرة المعجلة: ٢٩.

فقال: وإن الشيطان لا يتمثل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا جاء فى صورته الأصلية، والمعتمد أيضًا أنه لا يتمثل به إذا جاء فى غير صورته الأصلية. فقلت له: روى شيخنا السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ فى كتابه المسمى «روح السنة» أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «من رآنى فقد رآنى فإنى أظهر فى كل صورة»، ففرح فرحًا عظيمًا، وقال لى: هذا الحديث هو الدليل على أن الشيطان لا يتمثل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولو جاء فى غير صورته الأصلية، أنت مُبَارك يا شيخ صالح، نفع الله بك المسلمين»(٧).

ومن شيوخه الشيخ على الشَّايِب ـ رحمه الله ـ الذى حضر عليه الشيخ شرح منظومة الشيخ اللَّقَانِى المسماة «جَوْهَرة التَّوْحِيد»، يقول عنه شيخنا:

«وكان يدرسها فى أول عام حضرت فيه إلى الأزهر الشريف، وكان يدرسها غيبًا، متنًا وشرحًا، وكان من العلماء الصَّالِحين، وكان إذا دخل قُبَّة سيدنا الحُسَين ـ رضى الله تعالى عنه ـ يحصل له حال خشوع عَجِيب، كأنه يشاهده وينزل عليه عرق كثير، وكنت أدرس عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وفى ليلة من الليالى رأيْتُ النبىَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال لى: يا ولد، وذلك من ضمن كلام يطول، فلما أصبحتُ وحضرتُ فى الدرس، قلت فى نفسى وأنا جالس: يقول لى النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: يا ولد، فهل أنا صغير؟ فالتفت إلى الشيخ ـ وهو يُدَرِّس ـ وقال: إنما قلنا لك يا ولد كعادة العرب، لا لأنك صغير..

---

(٧) الذخيرة المعجلة: ٢٩.

وأمثال هذا الشيخ عند الصوفية يُسَمّونَ أَرْبَابَ القلوب، ولعلهم أن يكونوا المُحدّثين الذين منهم سيدنا عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ كما فى حديث البخارى»[٨].

ومنهم الشيخ حسن مدكور، والشيخ عبد الرحمن عليش، والشيخ محمد أبو القاسم الحجازى، والشيخ عبد الحى الكتانى، والشيخ أبو الخير الميدانى، شيخ علماء سوريا، والشيخ أحمد الشريف الغمارى، وأخوه الشيخ عبد الله الغمارى، والشيخ على أدهم المالكى السودانى، والشيخ حسن المَشَّاط من علماء مكة المكرمة، والشيخ مصطفى صفوت، والشيخ عبد الحليم إبراهيم، والشيخ أبو يوسف، والشيخ محمد الحلبى، والسيد عبد الخالق الشبراوى، والشيخ محمد عطية البقلى، والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى، والشيخ محمد العنانى شيخ السادة المالكية، والشيخ الدليشنى، والشيخ سلامة العَزَّامِى، والشيخ صادق العدوى، والشيخ أحمد وديدى من بلدة «رومى» بالسودان، والشيخ على محمد إمام وخطيب مسجد «دنقلا»، والشيخ سيد حسن أفندى، والشيخ على بن عوف، والشيخ أحمد النجار، المدرسان بمسجد «دنقلا» ـ رحمهم الله تعالى ـ وغيرهم من مشايخ الأزهر الشريف.

هذه الكوكبة من العلماء العاملين العارفين كان لها عظيم الأثر فى سعة علم الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ مع ما وهبه الله من ذكاء وقوة حافظة، فأكبَّ الشيخ على دروسه وجاهد وثابر حتى نال الشهادتين العالية

---

(٨) فتح وفيض: ٢١ ـ ٢٢.

والعالمية من الأزهر الشريف ، ثم أصبح صاحب حلقة ومدرسًا بالأزهر الشريف .

أما قصة تعيين الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ مدرسًا بالجامع الأزهر الشريف فهى جديرة بأن تُرْوَى لما فيها من دليل ساطع على موهبة الشيخ العلمية ، ومحبته للعلم وشيوخه ، يحدثنا عنها الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى فيقول : «ومن مواقف الشيخ التى بلغ التأثير فيها روعته ، موقفه فى رثاء أستاذه الكبير الشيخ يوسف الدجوى ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقد كُنَّا طُلاَّبًا فى كلية اللغة العربية ، ونادى الناعى منذرًا بوفاة الشيخ الكبير ومحددًا ميعاد الجنازة ، فسارعت إلى توديعه ، وكان المشهد مؤثرًا ، تتقدمه جماعة كبار العلماء ، برئاسة أستاذهم الأكبر : الشيخ مصطفى عبد الرازق (شيخ الأزهر فى ذلك الوقت) وحين بلغ الموكب فيها نهايته عند القبر ، انتفض الشيخ صالح الجعفرى خطيبًا ، يرثى أستاذه ، فبدأ مرثيته ، مستشهدًا بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إن الله ـ تعالى ـ لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يَبْقَ عَالِمٌ ، اتخذ الناس رُؤَسَاءَ جُهَّالاً ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بغير علم ، فضَلُّوا وأَضَلُّوا»(٩) ، ثم أفاض فى إيضاح منزلة العالم الفقيد ، وأشاد ببعض مواقفه الجريئة أمام المبتدعة والملاحدة ، وكان جلال الموقف ورهبة المناسبة ، واحتشاد الجموع ، مما جعل نَفَس الرَّاثِى ممتدًا يتسع ويتدفق ويَجِيش ، وكان لِصَوْتِهِ

(٩) رواه البخارى ومسلم .

الحزين هزة تحرك النفوس، وتعصف بالألباب، وما أن انتهى الخطيب من مرثيته حتى سأل عنه الأستاذ الأكبر معجبًا، ثم بادر بتعيينه مدرسًا بالجامع الأزهر »[١٠].

ومنذ ذلك الوقت بدأ الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ يلقى دروسه بالجامع الأزهر الشريف، وقد أُشْرِبَتْ نَفْسُه حُبَّ العلم، اقتداءً برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول شيخنا رضى الله تعالى عنه :

«وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يرشد الناس بالدروس العلمية وبالقرآن العظيم، وقد تبعه شيخنا السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى ذلك، فكان يرشد الناس بالقرآن الكريم والعلم، واستمر على ذلك حتى لقى ربه، فقد سألتُ الله ـ تعالى ـ أن يوفقنى إلى ما كان عليه شيخنا العالِم السيد أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس ـ رضى الله تعالى عنه ـ.

فعلى جميع إخوانى أن يساعدونى فى حضور الدروس العلمية وأن يحفظوا شيئًا من القرآن الكريم، فما عندنا إلا الدروس وحفظ القرآن، فأعينونى بِعلُوِّ همتكم، فما جمعتُكم إلا على هذا الدرس، الذى فيه تفسيرُ القرآن، وشرحُ الأحاديث النبوية، والفقهُ فى الدين، وحفظُ القرآن وتلاوتُه، فالعبادة لله وحده والعلماء هم الوارثون المرشدون»[١١].

«والشريعة مدارها العلم والنبوة، والرسالة هى العلم، وإنما تشرف

---

(١٠) مجلة الأزهر العدد : شوال سنة ١٣٩٩ هـ سبتمبر سنة ١٩٧٩ م من مقال للدكتور محمد رجب البيومى.

(١١) أعطار أزهار أنوار حظيرة التقديس ١٤٣، ١٤٤.

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالعلم والنبوة والرسالة، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُورثُوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثُوا العلم، فمَنْ أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وَافِر»(١٢).

فيجب على كل عالم أن يُدرِّس ما استطاع، وأن يُعلِّم الناس الشريعة الغراء، ولو كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الآن لعلَّم الناس العلم؛ لأنها هى وظيفته، وقد دخل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المسجد، فوجد حلقتين: وجد قومًا يقرأون العلم ويتدارسونه فيما بينهم، ووجد قومًا يذكرون الله تبارك وتعالى، فأثنى على المجلسيْن خيرًا، ثم جلس مع الذين يتدارسون العِلْم، ثم قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»(١٣).

وقد خاطبه ربه بقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١٤).

ومن تعلم يوشك أن يعمل وأما الجاهل فبعيد عليه العمل، فعليكم أيها الناس بسماع العلم، ومذاكرة العلم؛ لأنه هو النور الذى يسترشد الإنسان به، قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه: «الناسُ مَوْتَى وأهلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ»(١٥).

ولقد كانت حلقة درس شيخنا الإمام الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ

---

(١٢) رواه الإمام أحمد وابن النجار عن أنس.

(١٣) رواه ابن ماجه.

(١٤) سورة النحل: ٤٤.

(١٥) منبر الأزهر: ١٧٤.

بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف جامعة إسلامية صوفية، تَعمَّقَتْ فيها أُصُول الدين والشريعة عِلْمًا، وكانت فيها أصول روحانية التصوف تربية، فكانت مظهرًا للحقيقة الصوفية، وكان منهجه: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى)، بما ورثه من هدى نبوى عظيم، من الدوحة المحمدية الطاهرة نسبًا، العظيمة أثرًا، نفخ فيها الإيمان من روحه، فخلصت خُلُوص الزهد والورع والتقوى والصلاح، وسطعت سُطُوع الهُدَى وصفت صفاء الفِطْرة، التى تَبلْوَرتْ فيها محمدية الإسلام الموروثة، وصوفية الصفاء الموهوبة فصار ـ رضى الله عنه ـ لسانًا لهداية الخلق، ففى دنيانا فجَّر للناس من ينابيع الحكمة وكنُوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن الكريم، فجاء بالجديد والغريب من التفسير الذى لم يسبقه إليه سابق؛ ذلك لأنه ــ رضى الله تعالى عنه ـ لم يكن يملك عقلاً مُكتَسبًا، وإنما كان يملك عقلاً موهوبًا مُلْهَمًا من الله ـ عز وجل ـ مُقتدِيًا برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكان يُعْطِى من كُنُوز عقله، ومواهب فكره، وفيوضات قلبه، وروحانيات روحه، ومن إنسانية نفسه، فكان يخاطب الخواطر والضمائر، ويجيب على تساؤلات العقول، وهواجس النفوس، فكانت حلقة درسه جامعة إسلامية، علمية المذهب، صوفية المشرب، تربط بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن، والنفس والروح، والعقل والخاطر.

وعن نفس هذا المعنى يحدثنا أحد العلماء الصالحين، الذين أحبوا الشيخ ــ رضى الله عنه ـ وحضروا دروسه وهو الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى ـ مدير الوعظ الأسبق بالقاهرة ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ فيقول فى كلمته التى ألقاها فى الاحتفال بمولد الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ سنة ١٤٠٣ هـ.

«دخلت يومًا مسجد الأزهر ، وكنت فى صباح ذلك اليوم أقرأ فى سورة الكهف، فلما وصلت إلى قوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[١٦] أردت أن أعرف معنى كلمة «الوصيد» ولما هممت أن آتى بالمصحف المفسر لأكشف عن معناها تذكرت أننى أقيم فى مكان بعيد، فقلت فى نفسى : أذهب لألقى درسى، ثم إذا عدت إلى البيت أكشف عن معنى هذه الكلمة، وكان شيخنا ـ الشيخ صالح الجعفرى ـ يلقى الدرس من الظهر إلى العصر كعادته، فدخلت عليه وجلست فى حلقته، وبينما يسير الدرس سَيْرًا متصلاً بتفسير آية من القرآن الكريم ـ ليست من سورة الكهف ـ سَكَتَ الشيخُ، فقلت : ماذا يقصد شيخنا بقطع درسه؟ ثم أخذ الشيخ يقرأ آيات مرتلة من سورة الكهف، إلى أن وصل إلى قوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وعند ذلك قال الشيخ : «إن الكلب بسط يديه على هيئة كذا وكذا، والوصيد هو الفناء . . نعود بعد ذلك إلى درسنا يا أحباب!!»، فقلت فى نفسى : جزاك الله تعالى خيرًا . . وهذا من نور الله » .

وقصة أخرى يرويها لنا رجل من أهل العلم وكان من تلاميذ العارف بالله سيدى محمد الشريف، وهو الشيخ محمد عبد الجواد العدوى، الذى كان يعمل موجهًا بوزارة التربية والتعليم، فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ: «كنت أسكن فى رواق الصعايدة، حينما كنت فى كلية اللغة

---

(١٦) سورة الكهف : ١٨ .

العربيةبالقاهرة، وكنت أحضر دروس الجمعة دائمًا، وقد رأيت كرامات عديدة من الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى دروسه، وهذه واحدة منها:

فى أحد الدروس سأله رجل من كبار المسئولين، وكان يعمل مستشارًا وكان يأتى بسيارته ليحضر الدرس، فقال للشيخ: هل من الممكن أن يظهر سيدنا الخضر فى صورة رجل أى رجل، أم أن له صورة معينة يظهر فيها؟ فلم يرد عليه الشيخ، ثم سأله رجل آخر كانت تبدو عليه آثار الفقر والحاجة، فأجابه الشيخ عن سؤاله، ومضى الرجل، ثم التفت الشيخ إلى السائل الأول قائلاً: أين الذى سأل السؤال الأول؟ فقال الرجل: أنا يا فضيلة الشيخ، فسأله الشيخ: ماذا كنت تقول؟ فأعاد الرجل السؤال عليه مرة أخرى، فأجابه الشيخ قائلاً: إن الذى سألنى بعدك هو سيدنا الخضر عليه السلام. فأخذ الرجل يتلفت يمنة ويسرة، باحثًا عن السائل فى حلقة الدرس، فلم يجده!!

هكذا كانت حلقات درس الشيخ رضى الله تعالى عنه، حافلة بالأسرار والكرامات، وكانت جامعة لشتَّى أنواع المعارف والعلوم، من علوم شرعية فيها الفقه المُبيِّن للحلال من الحرام، وتفسير لكتاب الله تعالى، وشرح لأحاديث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رواية ودراية، وشرح لمسائل التوحيد وتلقينها للسَّامعين، كما كان الشيخ رضى الله تعالى عنه يتناول فى درسه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حياته، وما يتعلق بحقوقه فى حياته وبعد مماته، وكذلك ما يتعلق بسيرة أهل البيت رضى الله تعالى عنهم أجمعين وسيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان شيخنا ــ عليه رضوان الله تعالى ـ يتناول فى درسه المشكلات الاجتماعية التى تحدث فى المجتمع، فيعالجها علاجًا ناجعًا، فكان كل من يحضر درسه يجد حلاً لمشكلته بالتصريح أو التلميح، وكان المهتم بالفقه يعرف الأحكام الشرعية من فقهه الجامع لمختلف المذاهب، وكان المتصوف يرتوى من أسراره وإشاراته لمعانى آيات كتاب الله تعالى الظاهرة والباطنة، وكان طلاب الحديث يجدون لديه بغيتهم من دقة الرواية، والفهم النافذ والبصيرة الثاقبة بمعانى الحديث، وكان المهتم بالتفسير يعرف من تفسير الشيخ معانى جديدة لم يقرأها ولم يسمع بها من قبل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، إذ القرآن الكريم لا يزال بكرًا إلى يوم القيامة، مع بصر الشيخ ومعرفته بأسرار اللغة ومعانيها وضبطه الدقيق لألفاظها وكلماتها .

وكان الشيخ ـ عليه رضوان الله تعالى ــ يخاطب السامعين بما يناسب فهمهم وإدراكهم، ويوصل العلم إلى عقولهم وقلوبهم بأسلوب سهل مبسط محبب إلى النفوس، ممزوج بالطرائف والنوادر التى تجذبهم وتروح عنهم وتدفع الفتور والملل . وهذه الدروس التى نقدمها بين يدى القراء المحبين للشيخ رضى الله تعالى عنه هى جزء من الدروس الكثيرة التى ألقاها الشيخ رضى الله تعالى عنه بالأزهر الشريف، جمعها ودونها بعض تلاميذ الشيخ، وقد أذن لهم بكتابتها أثناء حضورهم درسه المبارك بالأزهر الشريف . وقد روعى فى إخراجها منهج الاختزال المتعارف عليه عند أهل العلم .

فعليكم أيها الأحبة بقراءتها وفهمها وتبليغها للناس، فقد كان الشيخ رضى الله تعالى عنه يحث على ملازمة دروس العلم، فقال :

ولازِمِ العلمَ واجلِسْ فى مَجالسهِ لا تَشْتَغِلْ بِحُطَامِ المَالِ والنَّعَمِ

وكان يدعو لمن حضر درسه وانتفع به فيقول :

وارْضَ عَمَّنْ سَمِعُوا مِنِّى الهُدَى فِى دُرُوسِ العِلْمِ مِمَّنْ شغفَا
بِسَمَاعِ الدَّرْسِ فى إلقائِهِ دُرَرًا تُضْوِى ونُورًا صَدَفَا
مِن بحارِ المصطفى خيرِ الورى صاحبِ العلمِ الذى قَدْ أتْحفَا

فرضى الله تعالى عن شيخنا الإمام سيدى صالح الجعفرى وأرضاه وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء .

***

عبد ربه الغنى
عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية

افتتاحية الدرس

كان شيخنا ـ عليه رضوان الله ـ يقدم لدرسه بهذه المقدمة :

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (١).

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (٢).

وبالسند المتصل إلى أئمة التفسير والقراءات والفقه والحديث من علماء الأزهر الشريف وغيرهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم، نفعنا الله وإياكم بهم وبعلومهم آمين .

***

(١) سورة البقرة : ٣٢ .

(٢) الأنعام : ٥٩ .

الدرس الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

كـلامٌ قـديـمٌ لا يُمَـلُّ سمـاعُـه * تنـزَّه عـن قـولٍ وفعـلٍ ونيَّـةِ
بـه أتَّقـى مـن كـل سـوءٍ وأمـره * ضياءٌ لقلبى عند جهلى وحَيْرَتِى
فيـا ربِّ متِّعنـى بسـر حـروفـه * ونـوِّر بـه قلبـى وعقلـى ومقلتـى

قال عليه الصلاة والسلام :

«الأرواحُ جُنُـودٌ مُجنَّـدَةٌ مَـا تَعَـارَفَ مِنْهَـا ائْتَلَـفَ، وَمَـا تَنَـاكَـر منهـا اخْتَلَف»[1] .

هذا حـديث عظيـم، عن نبـيٍّ ذى خُلُقٍ عظيـم، يدلُّنـا على الـوفاق الحاصل بين المسلمين والتعارف الكائن بينهم . .

خلق الله تعالـى الأرواح فى عالم الأزل فهى مخلوقـة، وجعلها جنودًا مجنَّـدة، جماعـات جماعـات، فالأرواح التـى كانـت متقاربـة متآلفـة متحابة فى عالم الأزل كانت فى هذا العالم كذلك .

والأرواح التى كـانت متباعدة متنـافرة متباغضة كـانت فى هذا العـالم كذلك .

وأول شىء أكرم الله ـ تعـالى ـ به نبينا وحبيبنا ـ ﷺ ـ أن الله ـ تعالى ـ

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

فى عـالم الأزل جعل جميـع الأرواح التى ستؤمن بـه إلى يوم القيـامة قريبة من روحـه الشريفة، مُحِبَّة لها، فسرى النـور المحمدى إلى جميع الأرواح التى كـانت قريبـة منها، فهم لابد أن يُسْلِمُـوا وأن يُؤْمنوا إلـى يوم القيامة.

وأما الأرواح التى كانت بعيدة عـن الروح المحمدى فهى لا تُسلِم إلى يوم القيامة.

فـالصديـق، والفاروق، وعثمـان، وعلـىّ أمراء المـؤمنين رضـى الله عنهم، والمهاجـرون والأنصار، وسائر المؤمنيـن إلى يوم القيامـة سرى فيهم ذلك النور، فآمنوا بعد أن جاءوا إلى هذه الدنيا بإيمان كامل ومحبة خالصة.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (٢) وأكبر آية لله ـ تعالى ـ النبى ـ ﷺ ـ فلما ظهر فى الدنيا ورأته الأرواحُ التـى كانت بقربه فى عالم الأزل زادها ظهوره إيمانًا وحبًا.

وأما الأرواح التى كـانت بعيدة عنه ـ ﷺ ـ كأبى جهـل وعُتْبة وَشيبة، فإنهم كفروا وماتوا على الكفر، ولم تغن عنهم آية النبى ـ ﷺ ـ شيئًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) كأبى جهل وأمثاله من الذين كانوا بعيدًا عنك فى عالم الأرواح.

وأما الذين كانوا بقربك فبشرهم بالإيمان..

---

(٢) سورة الأنفال: آية ٢.

(٣) سورة البقرة: آية ٦.

﴿وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] الذين كانوا يعرفونك ويحبونك فى عالم الأزل، وكانوا بقرب منك، فإذا ذكرتهم نفعتهم تذكرتك وآمنوا بك بحب وإيمان وإخلاص.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّ نفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾[٥] وستنفع الذكرى من كانوا بقربك أزلا ﴿وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] الذين كانوا بقربك فى عالم الأزل فإذا شاهدوك فى الحياة الدنيا آمنوا بك وأحبوك وأسلموا لله رب العالمين، وإذا جاءوا من بعدك فالقرآن يذكرهم، والحديث يذكرهم، ويشاهدونك بقلوبهم وإن لم يروك، فإنك النور الساطع، والبرق اللامع.

وإنك النبى الصادق المصدوق، الحبيب المحبوب. فقد تصوَّرَتْك الأرواح فى عالم أزلها وأحبَّتْكَ، فهى اليَوْم أيضا تتصورُك وتحبُّك يارسول الله حبًّا عظيمًا، وهذه من معجزاتك الكبرى..

وإنك النافع الذى خلقه الله تعالى للمنفعة، فخلق الله روحك وقرَّب منها الأرواح فنفعتها، وكان مصيرها إلى جنات عدن، فأنت النبى النَّافِع، وأنت النبى الشَّافِع الذى يقول يوم القيامة: «أنالها.. أنالها»[٦].

والأنبياء والمرسلون ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ يعتذرون عن الشفاعة ويقولون: إن الله تعالى قد غضب غضبًا لم يغضب قبله

---

(٤) سورة الذاريات: آية ٥٥.

(٥) سورة الأعلى: آية: ١٠.

(٦) رواه البخارى وغيره.

مثله ولا بعـده، وحوّلوا الشفـاعة إليك يـا رسول الله، ياذا الجـاه العظيم والخُلُق العظيم، فقُمْتَ مُطمئِنًا بربِّك، وأنه يَقْبلُك وأنت تقول للخلق: «أنالها . . أنالها» ، وتسجدُ تحت العرش، وتُسبِّحُ ربَّك كثيرًا، ويفتح عليك بمحامد لم تقلها من قبل، فإذا النداء الأقدس من الكمال الإلهى المقدَّس: يا محمد: ارفع رأسك، واشفع تُشفَّعْ، وسَلْ تُعْطَه . .

لقد خلـق الله تعالى الأرض بقـوله: «كن» فكانت، وأمـر عزرائيل أن يقبض [منها] قبضة فخلق منها آدم عليـه السلام، وخلق الله تعالى النور بقوله «كن» فكان نـورًا، فقبض مـن هذا النـور قبضة فقـال لها: كـونى محمدًا فكانت .

فأبونا آدم ـ عليه السلام ـ كان قبضـة من تراب، وسيدنا ومولانا رسول الله ـ ﷺ ـ كان قبضة من النور ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

«كنتُ نبيًّا وآدم بين الروح والجسد» أخرجه الحافظ الترمذى فى سننه ويقول: «كنتُ نبيًا وآدم مُنْجَـدِلٌ فى طِيْنَتِهِ» وفى رواية: «وآدَمُ بَيْنَ المَاءِ والطِّين» .

وكلمة «النبوة» مشتقة مـن النَّبَأ أى الإخبـار، أو من النَّبْـوَة أى المكان المرتفع، ولا بـأس من الجمع بين المعنيين، أى: كنت نبيًّـا مخبرًا عن ربى بعلـوم أزلية، وكنت عـاليَ القـدر عند ربى قبـل أن يخلق الله آدم ـ عليه السلام ـ .

فهـو ـ ﷺ ـ أول مخـلوقـات الله ، وهـو مظـهر اسـم الله تعـالـى «الخالق» ، إذ أول ما خلق الله هـذا النبى ـ ﷺ ـ وهـو أول من صوَّره الله ،

فهو مظهر لاسمه تعالى «المصوِّر» ، وهو أول من علَّمه الله ، فهو مظهر لقوله تعالى : ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾(٧) .

ولقوله تعالى : ﴿وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(٨) .

ولذلك قال شيخ سيدنا الشاذلى وهو سيدى عبد السلام ابن مشيش ـ رضى الله عنهما ـ :

«اللهمَّ صلِّ على مَن منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق » .

قال الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ :

«وتنزلت علوم آدم من علوم النبى ﷺ فأعجز الخلائق الملائكة الكرامَ» .

قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

لك ذاتُ العلومِ من عالم الغيـ * ـــــب ومنها لآدمَ الأسماءُ

كنت شيئًا وآدم لم يك شئ ، فحويت الأسرار بالنشر والطىّ .

وقال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

وكلّهم من رسولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ * غَرْفًا مِن البَحْرِ أو رَشْفًا مِن الدِّيَمِ

---

(٧) سورة العلق : آية (٥) .

(٨) سورة النساء : آية (١١٣) .

وتلك أسرار ، وأنوار ، وعبارات ، وإشارات . .

كما قال ابن الفارض ـ رحمه الله ـ :

فثم وراء النقل علمًا يدق عن * مدارك غايات العقول السليمة

فكم لله من أسرار تظهر ، ومن عبارات تبهر تقف أمامها العقول صامتة ، والأفكار متحيرة . .

وجلَّ الله فى علاه ، سبحانه من إله كبير عظيم ، وأرسل النبى ـ ﷺ ـ مؤيدًا بالمعجزات الباهرات ، وجمع له فى القرآن العظيم علوم جميع الكتب التى أنزلها من لدنه ، وجمع له فى معجزاته جميع المعجزات التى مَنَّ بها على أنبيائه والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

يقول سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ : «**وَعُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ**»(٩) .

ونبيُّنا ـ ﷺ ـ خاطبه البعير ، وخاطبه الضب ، وخاطبه الجماد الحجر ، وكان يسلِّم عليه ، وحَنَّ له جذع النخلة وهو جماد . .

وإذا كان الماء قد خرج من الحجر لسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ فإن خروج الماء من الحجر ليس بعيدًا ؛ لأن الله تعالى قال عن الأحجار :

﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ**﴾(١٠) .

وأخرج الله تعالى لنبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ الماء من بين

---

(٩) سورة النمل : آية (١٦) .

(١٠) سورة البقرة : آية (٧٤) .

أصابعه، ولم يكن ذلك موضعًا لخروج الماء، فكانت معجزته أعلى وأرقى، وأسمى وأرفع، قال البرعى:

وَإِنْ يَكُ خَاطَبَ الأَمْوَاتَ عِيسَى * فَإِنَّ الجِذْعَ حَنَّ لِذَا وَأَنَّا

فالجسد الميت كان قبل ذلك حيًّا ناطقًا، فإذا صار حيًّا ناطقًا فليس بغريب جدًّا، وإنما الغريب أن يعقل وأن يتكلم جذع النخلة الذى هو جماد!

وقد أجابته الأشجار - ﷺ - حين ناداها كما قال البوصيرى - رحمه الله -:

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً * تَمْشِى إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلاَ قَدَمِ

فكيف أطاعته الجمادات ولم يطعه الكفار؟!، وفى هذا توبيخ لهم: هذا النبى الذى عرفته الجمادات فأطاعت أمره، فما بالكم لا تسمعون ولا تطيعون؟!

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾[11] فهذه مكة بلدى التى يأمن فيها الخائف فما بالكم روَّعتم نبيى وحبيبى وأخرجتموه منها مهاجرًا؟ أفلا تعقلون؟!

وما أبلغ القرآن فى عباراته وما أجله فى تشريعاته حينما يقول: ﴿وَلاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[12] وحينما يقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[13]

---

(١١) سورة التين: آية: ٣.

(١٢) سورة البقرة: آية: ٢٣٧.

(١٣) سورة البقرة: آية: ٨٣.

وحينما يقول: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾[١٤] وحينما يقول: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[١٥] وحينما يقول: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا﴾[١٦].

وإذا أنكر بعض الناس المعجزات فإنما ذلك من نَقْص عقولهم وضَعْف إيمانهم؛ لأن الله ـ تعالى ـ مدح المؤمنين بقوله: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[١٧] قال القرطبى: الغيب ما غاب عنا، قال الشاعر:

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا * يُصلُّون للأوثان قبل محمد

فمدح الله المؤمنين حيث إنهم يؤمنون بالغيب الذى لا يرونه، وإنما يخبرهم به ربهم سبحانه وتعالى ونبيه ﷺ، فإذا قال قائل: كيف جاءت الشجرة إلى النبى ﷺ تقول له: الذى جاء بها هو الله القادر، وهل أنت تريد أن تجعل قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ واقفة عند العادات؟! هلاَّ نظرت إلى السماء مرفوعة بغير عمد؟! هلاَّ نظرت إلى المرأة كيف يخرج من بطنها جنين حىٌّ بِسَمْعٍ، وبَصَرٍ؟ هلاَّ نظرت إلى نفسك كيف تأكل، وكيف تشرب، وكيف تنام، وكيف تستيقظ؟!.

أتريد أن تجعل قدرة الله محصورة أو واقفة عند الطبائع والفطريات؟! والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إن الله على كل شىءٍ قدير﴾..

---

(١٤) سورة الشورى: آية: ٣٧.
(١٥) سورة آل عمران: آية: ١٣٤.
(١٦) سورة الإسراء: آية: ٢٣.
(١٧) سورة البقرة: آية: ٣.

ولما استبعدت السيدة مريم خروج الجنين من بطنها من غير زوج أخبرها ربنا سبحانه وتعالى بأن هذا على قدرته هين، وكذلك سيدنا زكريا، وكذلك سيدنا إبراهيم، حصلت المعجزات لهم، وأخبرهم بأنه على كل شيء قدير. كيف تستبعد مجيء الشجرة إلى النبى ﷺ وهو أمر سَهْل ؟! أما بلغك أن جبريل جاءه من السماء السابعة؟، أتريد أن تستبعد مجيء جبريل عليه السلام كذلك؟ أما بلغك أنه كان يأتيه بالوحى من عند الله تعالى؟.

أما بلغك أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رقى السمٰوات السبع؟! فهل مجيء الشجرة أصعب أم رُقِيّ السمٰوات السبع؟! أفلا تتعقلون ؟ وهل بلغك أن الله تعالى ـ فى ليلة المعراج ـ رفع له الرتب وكشف له الحجب، ورأى ربه سبحانه وتعالى، وما رآه أحدٌ سواه.

أما المعجزات فكثيرة كما قال صاحب الجوهرة رحمه الله:

ومُعجزاتُهُ كَثيرةٌ غُرَرْ * منها كلامُ اللهِ مُعجِزُ البَشَرْ

وهى المعجزة الكبرى الباقية الدائمة، كما يقول البوصيرى ـ رحمه الله ـ:

آياتُ حقٍّ من الرحمن محدثةٌ * قديمةٌ صفةُ الموصوف بالقدمِ
لم تقترن بزمانٍ وهى تخبرنا * عن المعاد وعن عادٍ وعن إرمِ
دامت لدينا ففاقت كلَّ معجزة * من النبيِّن إذ جاءت ولم تدُمِ

من قرأ القرآن يسمعه صحيحًا منقحًا واضحًا، كأنه يسمعه من رسول الله ـ ﷺ ـ فرسالته لاتبلى؛ ولا تتبدل ولا تتغيَّر، ورسالته هى القرآن الكريم العظيم.

قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١٠]. وإذا حفظ الله قرآنه وكلامه فمن الذى يستطيع أن يدنُوَ منه بتبديل أو تغيير ؟ وإذا أبى الله إطفاء نور الإسلام فمن الذى يستطيع إطفاءه، قال سبحانه: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره﴾[١١].

ويقول سبحانه: ﴿ليظهره على الدين كله﴾[١٢] وهو الصادق فى قوله فلا تقوم القيامة حتى يظهر هذا الدين على جميع الأديان، ويأتى المهدى الذى أخبر عنه النبى ﷺ، يأتى فى آخر الزمان، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلِئت ظلمًا وجوْرًا..

فوعدنا الله ــ سبحانه وتعالى ـ بوعود صادقة: ﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾[١٣]، ﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾[١٤] ﴿ما يبدل القول لدىَّ﴾[١٥].

أخبرنا بأن نور الإسلام لا يُطفأ، وأخبرنا بأن الدين سيظهر على جميع الأديان، وأخبرنا بأنه قد حفظ القرآن، وهذا أعظم معجزة، فحِفْظ هذا الكتاب سيبقى إلى أن يرفع إلى السماء: كما قال ﷺ: «يوشك

(١٠) سورة الحجر: آية (٩).
(١١) سورة التوبة: آية (٣٢).
(١٢) سورة الفتح: آية (٢٨)
(١٣) سورة النساء: آية (١٢٢).
(١٤) سورة النساء: آية (٨٧).
(١٥) سورة ق: آية (٢٩).

أن يغضب الله لكتابه فيسرى به فى ليلة واحدة فيصعد إلى السماء وله دوى كدوى النحل، من الله نزل وإليه يعود، فلا تبقى فى مصحف آية ولا فى صدر حافظ، ومن أراد الله به خيرًا أبقى فى قلبه لا إله إلا الله».

وفى حديث آخر يقول صلوات الله وسلامه عليه:

«يدرُسُ الإسلام كما يدرُسُ وشيُ الثوبِ حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نُسُكٌ ولا صدقةٌ، ويُسْرَى بكتاب الله تعالى فى ليلة فلا يبقى منه فى الأرض آية»(١٦).

قال بعض العلماء: الأمة مرحومة ما لم يرفع القرآن؛ لأن الله تعالى وعدهم برحمته:

﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾(١٧).

فالرحمة لا تزال نازلة ما دام القرآن يتلى، وهذا وعد الله، والله لا يُخْلِفُ وُعُوده: ﴿وإنه لذِكْرٌ لك ولقومك﴾(١٨).

﴿ولقد يسَّرْنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكر﴾(١٩).

فهل من متذكر؟ وهل من قارىء؟ وهل من حافظ؟ فهذا كتابى فمن أراد حفظه يسرته له، ومن أراد فهمه يسرتُ عليه فهمه، وفتحت مسامع قلبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم افتح مسامع قلبى لذكرك»(٢٠).

---

(١٦) رواه ابن ماجة.
(١٧) سورة الأعراف: آية (٢٠٤).
(١٨) سورة الزخرف: آية (٤٤).
(١٩) سورة القمر: آية (٢٢).
(٢٠) رواه الطبرانى.

فالقلب له مسامع، فإذا فتحت عند قراءة القرآن أو سماعه ظهر العجبُ العجاب، وتلقى القلبُ عن ربّ الأرباب من المعانى ما يُعْجِزُ العلماءَ والحكماءَ والفقهاءَ؛ لأنه ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾[٢١]. ولأنه ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[٢١].

فإذا أردت أن تصرف الباطل عنك فعليك بالقرآن، وإذا أردت العلم فعليك بالقرآن، وإذا أردت الحفظ فعليك بالقرآن، وإذا أردت الرحمة فعليك بالقرآن، كل هذا مثبت فى كتاب الله . .

فالقرآن محفوظٌ، وموعودٌ بالحفظ، فإذا أتيت له حفظك الله، والقرآنُ نورٌ، فإذا أتيت له نوَّرك الله، والقرآنُ رحمةٌ، فإذا أتيت القرآن رحمك الله، والقرآنُ شفاءٌ، فإذا أتيت القرآن شفاك الله، والقرآنُ نصرٌ، فإذا أتيت القرآن نصرك الله، والقرآن ذكرٌ، فإذا أتيت القرآن ذكَّرك الله، والقرآنُ عنايةٌ، فإذا أتيت القرآن ظهرت لك عناية الله، والقرآنُ أمانٌ، فإذا أتيت القرآن أمَّنَ الله خوفَك فى الدنيا والآخرة . .

فلا تغفلْ عن القرآن، فإنه السراج المنير، والشمس المشرقة والبدور الشارقة، والأنوار المتكاثفة، والعلوم المتزاحمة والأسرار الباهرة، والعلوم النافعة، فاقرأ من القرآن ما شئت، فمن قرأ شيئًا من القرآن أخذ من القرآن بقدر ما قرأ من بحره الزاخر، ومن لم يحفظ شيئًا من القرآن خرج من الدنيا مفلسًا.

يقول النبى ﷺ: «القرآن حبل الله»[٢٢].

---

(٢١) سورة فصلت: آية (٤٢).

(٢٢) رواه الدارمى.

يعنى : الواسطة والسبب الموصل إلى رضوان الله هذا القرآن .

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «من أراد أن يتكلم مع الله فليقرأ القرآن» .

فإذا قرأت القرآن فأنت تتكلم مع ربك وهو يكلمك ، تقرأ على لسانك ، والكلام له ، وخلق لك لسانًا تقرأ به كلامه ، وخلق لك سمعًا تسمع به كلامه ، فإذا قال لسانك :

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾(٢٣) .

قرأ لسانك كلام الله هذا ، وسمعته أُذناك ، والله معك يسمعك ويراك ، فكيف حالك إذ ذاك ؟!

لقد رفعت لك الحُجُب ، وسطعت لك الأنوار ، فلا تغفل عن سطوع الأنوار عند التلاوة ، ولا تفكر فى شيءٍ دنيوى فإنك إذا قرأت القرآن فقد تكلمت مع الله ، فكنت فى حضرة مكالمة ربّانية ، وكنت فى وادٍ مقدسٍ أى مُطهَّر مُنوَّر ، فلا تأت بالأدناس من حوائج الدنيا ووساوسها ، فإن الدنيا فتنة ، ولا تشتغل بالفانى مع الباقى ، فإن الله لا يقبل أن تذكر الفانى الدنيىء مع ذكره الباقى العظيم .

وقد قال الصوفية ـ رحمهم الله ـ : لا يجتمع حب الله مع حب الدنيا فى قلبٍ ؛ لأن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، فكيف تحبها وتحب رب السمٰوات والأرض مع حب الدنيا؟!

---

(٢٣) سورة الحج : آية (٧٧) .

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**احذروا الدنيا فإنها اسحر من هاروت وماروت**»[٢٤].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا**»[٢٥].

فطريق الله صعب وعر، ولكنه تولى الهداية فيسر الصعب للذين يأتون إليه ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾.

وهو الذى يتولى الهداية، يزلل لك الصعب وييسر لك العسير فلا تغفل عن قولى هذا فإنه نافع إن شاء الله وإذا نظرت إلى الدنيا عرفت العبر التى فيها، فهذه البرتقالة إنما تأكلها بأسنانك وتشرب ماءها الحلو وينتفع بذلك جسدك، فأين أنت من هذا المثل فى أسماء الله تعالى وآياته فإنها مملوءة بالفيتامينات، مملوءة بالأسرار والأنوار والبركات، فإذا ذكرت اسمًا لله تعالى فإياك أن تغفل عما يأتى به ذلك الاسم من الأنوار والبركات والخيرات، فإذا قلت: يا غفور، يا غفور، يا غفور، لابد أن تشعر روحك وقلبك بالمغفرة، وأن الله قد غفر لك، وعند ذلك يَنْشرح صدرك ويفرح قلبك، ويطيب خاطرك، لأن المغفرة تسرُّ ولا تضرُّ..

وإذا قلت: يا لطيف، يا لطيف، نزل عليك اللطف الظاهر والخفى، ولابد أن تحسّ بذلك، فاللطف شىء عظيم؛ والكون مملوء

---

(٢٤) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان.

(٢٥) رواه ابن ماجه والترمذى.

بالأوباء والأدواء والشياطين والمعاصى والأهواء، ولكن بلطف الله تعالى تحفظ وتكرم، وبلطف الله تعالى تُمْنَع.

وسمَّى نفسه «المانع» يمنع عنك الأشرار، ويمنع روحك عن الأضرار..

وسمَّى نفسه «النافع» لينفعك بالعلوم والأذكار، ويجعل روحك ترد موارد الأخيار، لتنتفع بتلك الموارد، وتتغذى بتلك الموائد، فهو سبحانه وتعالى ملأ الكون من الخيرات والأنوار، والبركات، والنفحات، فإذا قلت: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وسلم: صلى الله عليك بها عشرًا، وأنزل عليك عشر بركات ورحمات، ومغفرة ورضوانًا، فلا تغفل عن الدنيا فإنها مزرعة الآخرة، واعلم بأنه لا عمل بعد الموت، إنما العمل فى هذه الحياة.. اهـ.

الدرس الرابع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ما يُبَدَّلُ القولُ لَدَىَّ وما أنا بظلاَّم للعبيد﴾[1] . سبحان الله ! خلق الخلق، وقبل أن يَخلقهم قدَّر آجالهم وأرزاقهم ومعيشتهم فى الحياة الدنيا . .

﴿ما يبدل القول لدىّ﴾ . . ما كتبه الله أزلاً سيحصل لك كما هو من غير تبديل ولا تغيير . .

﴿ما يبدل القول لدىّ﴾ كتب لك أن تعيش مائة سنة : تعيش مائة سنة، كتب لك أن تعيش غنيًا : تعيش غنيًا، كتب لك أن تعيش فقيرًا تعيش فقيرًا، كتب لك الصحة . . . وهكذا كل شىء قد كتبه الله ـ عز وجل ـ فى الأزل، جل الله عز وجل .

لا أحد له مع الله فى هذا الكون مثقالُ ذرة، ولو كان نبيًا أو رسولاً أو ملكًا أو عالِمًا . .

ومن اعتقد أن أحدًا خلق مع الله شيئًا ـ ولو نملة صغيرة ـ فلو اعتقد أن نبيًا أو رسولاً أو ملكًا خلق لها رجلاً واحدة فقد كفر . .

فهذا العالَم إنما هو لله تعالى وحده . .

---

(١) سورة ق : آية ٢٩ .

قال تعالى: ﴿هل مِنْ خالقٍ غَيْرُ الله﴾ [٢] . والجواب: لا وكذلك يجاب عن كل ما فى هذا الكون :

هل من رازقٍ غَيْرُ الله ؟ . . لا .

هل من شافٍ غَيْرُ الله ؟ . . لا .

هل من مميت غَيْرُ الله ؟ . . لا .

هل من مُحْيٍ غَيْرُ الله ؟ . . لا .

فالكون كله ليس له من الأمر شىء، إنما الأمر كله لله الموت، والحياة، والرزق، والآجال، والصحة، والعافية والإحياء، والإماتة، . . .

وعند الموت تتحقق من هذا وترى ذلك بعينك، فالملائكة تحضر عند الموت وتراهم، وبأمر الله تعالى يأخذون الروح ولا تستطيع الملائكة أن تُميت أحدًا إلا بأمر الله، ولا يستطيع ملَك أن يُحْيِىَ طِفْلاً فى بطن أمه إلا بأمر الله . .

فكل شىءٍ بأمره ومنقاد لقدرته، يا سلام !

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[٣]. وما أوسع علمه ! يدبر أمر النملة فى جحرها ويرسل إليها رزقها، سبحان الله ! قولوا: سبحان الله !، يعلم ما فى البحار من مخلوقات، ويرسل إليها أرزاقها، ويعلم ما فى القفار (الجبال) من وحوش، ويرسل إليها رزقها، ويعلم بأمر الطير فى وُكُناتِها، ويرسل إليها رزقها، ويعلم حال الأجنة فى بطون أمهاتها، ويرسل إليها رزقها .

---

(٢) سورة فاطر : آية ٣ .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٨ .

فسبحان الله، ليس لأحد معه شيء لا فى صغير ولا فى كبير . . قال تعالى: ﴿الله خالق كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ وكيل﴾[٤]. لم يخلقهم ليتركهم، كلا. ولكن خلقهم ويرقبهم، ودبَّر أمرهم وتكفَّل بأرزاقهم وآجالهم، خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . .

﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[٥] هو الله، إذا كان لا يضيع النملة، فكيف يضيعك يا ابن آدم؟! بطولك وعرضك!.

والله تعالى يقول: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾[٦] فكيف يضيعك الله الذى كرَّمك . .

سبحانه وتعالى: ﴿وخلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا﴾[٧].

لا خالق إلا مَنْ ؟ الله . لا رازق إلا مَنْ ؟ الله .

لا محيى إلا مَنْ ؟ الله . لا مميت إلا مَنْ ؟ الله .

﴿وخلق كلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ تقديرًا﴾ من الذى يُمِيت الرسل؟ الله. مَن الذى يُمِيت الأنبياء ؟ الله. مَن الذى يُمِيت الأولياء؟ الله . مَنْ صاحب الأمر ؟ الله . .

﴿وخلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا﴾ .

الملائكة يخافون من الله: ﴿يخافون ربَّهم من فوقهم ويفعلون ما يُؤْمَرُون﴾[٨] .

---

(٤) سورة الزمر: آية ٦٢ .

(٥) سورة آل عمران: آية ١٧٣ .

(٦) سورة الإسراء: آية ٧٠ .

(٧) سورة الفرقان: آية ٢ .

(٨) سورة النحل: آية ٥ .

والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول :

«أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له»[٩] .

ويعلمنا ـ ﷺ ـ أن ندعو ونحسن الدعاء، يقول عليه الصلاة والسلام :

«وأشهد أنَّك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضَيْعَةٍ وعورةٍ وذنبٍ وخطيئةٍ، وإنى لا أثق إلا برحمتك فاغفر لى ذنبى كُلَّه، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتُبْ علىّ إنك أنت التواب الرحيم»[١٠] .

رسول الله يخاطب ربه ـ سبحانه وتعالى ـ .

النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان دائمًا يخاطب ربه، إما بالقرآن وإما بالدعاء، وكان هذا غذاء روحه . .

«وجُعِلَت قُرَّة عينى فى الصلاة»[١١] .

كان يحبها الله، وكان إذا دخل ـ ﷺ ـ فى الصلاة سمع مَنْ خلفه تقاطُرَ دموعه وهو يُصَلِّى، خوفًا من مقام الله، ومن جلالِ الله .

سبحان الله ! سبحان الله ! سبحان الله !

سبحان الله ! حُبُّهُ يملأ القلوب، وتوحيدُهُ يملأ القلوب . .

والله يقول : ﴿فبذلك فليفرحوا﴾[١٢] أى : مَن عرفونى ووحدونى

---

(٩) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه .

(١٠) رواه أحمد فى مسنده عن أبى الدرداء عن زيد بن ثابت .

(١١) رواه النسائى وأحمد .

(١٢) سورة يونس : آية ٥٨ .

فليفرحوا، فهؤلاء يفرحون فى الدنيا والآخرة، من عرف أن الله واحد لا شريك له، له البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

لا إله إلا الله ﴿فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾(١٣) . فليفرحوا بالله وبقرآن الله، بكلام الله، بعبادة الله . .

فالمحروم فى الدنيا حقًّا مَن حُرِم فيها من عبادة ربه، ليس المحروم مَنْ حُرِم العمارات أو آلاف الجنيهات . لا، إنما المحروم من حُرِم من عبادة ربه؛ لأنه إذا وُفِّق للعبادة فلا أحد أفضل منه . لقد أعطاه الله تعالى خير الدنيا والآخرة . .

وقد قيل: من صلَّى الصبح أو الظهر أو وقتًا غيرهما، فقال: لقد أعطانى ربى شيئًا لا يفضله شىء فى الدنيا فقد صدق إذ أفضل شىءٍ فى الدنيا: الصلاة . .

فمن توضأ وصلَّى فقد أنعم الله عليه بأعظم نعمة ! دعك من الجنيهات ودعك من الوظائف، فهذه أعظم نعمة .

لأن الصلاة صلة بين العبد وربه، ومادامت لناصلة مع الله عز وجل فعلى الدنيا السلام، مادامت لناصلة مع خالقنا، مع مالك المُلْك مع ذى الجلال والإكرام، فلا نسأل عن الدنيا ولا عما فيها . لماذا؟ ﴿كُلُّ من عليها فانٍ * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾(١٤) .

هل تريد أن تعرف حقيقة الدنيا؟ هذه حقيقتها: إنها فانية بما عليها

---

(١٣) سورة يونس: آية ٥٨ .

(١٤) سورة الرحمن: الآيتان: ٢٦، ٢٧ .

من ملوك وسلاطين وباشاوات وأملاك! أين هم؟ ﴿كُلُّ من عليها فانٍ﴾ يفنى ويتلاشى ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وجه ربك العظيم الأعظم ذو الجلال والإكرام ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ يخاف من ربه فيقول :

﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علاَّم الغيوب﴾[١٤]. يا أله . .

كل الأنبياء كانوا يسألون الله، ويفرحون بالله، ومن عرف الله ولم يفرح فلا عرف الفرح! وبأى شيء بعد ذلك سيفرح؟ لو جعلوه مَلِكًا فلا يفرح، يفرح بالله وحده .

من عرف الله أزال التهمة * وقال كل فعله لحكمة

هو الخالق، هو الرازق، هو المعافى، هو الشافى، هو الباقى اقْرَأْ أسماءه تعرفه، اقرأ صفاته تعرفه، اقرأ كتابه تعرفه، صفات الله فى كتابه، الخلق لم يقدروا على وصفه، فوصف سبحانه وتعالى ـ نفسه، اقرأ القرآن تجد صفات الله فى القرآن، تملأ القلب، تفرح النفس، تشرح الصدر ﴿الله لا إله إلا هو الحَىُّ القيومُ لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السمواتِ ومافى الأرضِ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ المعنى: إذا سأل أحد الشفاعة لأحد فلا يشفع إلا بإذنه سبحانه وتعالى، فليست المسألة فوضى! ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من

---

(١٤) سورة المائدة : آية : ١١٦ .

علمه إلا بما شاء وسع كُرسِيُّه السماوات والأرض ولا يَـؤُدُهُ ﴾ أى : لا يُعجِزه ﴿حفظهما وهو العلىُّ العظيمُ﴾ (١٥).

مَن له السماوات غير الله ؟ مَن له الأرضون غير الله ؟ مَن له الأمر من قبل ومن بعد ؟

ينبهنا ويذكرنا ويعلمنا ـ سبحانه وتعالى ـ لتملأ عظمته قلوبنا فلا ننظر إلى عظيم سواه . العظيم هو الله !

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

«إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة » (١٦).

أى : من حفظها .

الرحمن الله ، الرحيم الله ، الملِك الله ، القدوس (يعنى المُنزه) الله ، السلام الله ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار الله . .

لماذا تحزن إذا عرفت أن الله الذى خلقك وملكك ربك وسيدك رحيم ورحمن ، كان حقك الفرح ، رحمن ، رحيم ، غفور ، قدير ، على كل شىءٍ قدير . تفرح بالله ، وبصفات الله ، الله ! سبحان الله ، قولوا : سبحان الله !

ومعنى «سبحان الله» : تنزه لا يشاركه أحد فى صفاته ، له صفات عليا لا يشاركه فيها أحد ، لا ملَك ، ولا إنس ، ولا جنّ ، أبدًا . .

---

(١٥) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(١٦) رواه الترمذى والحاكم والبيهقى وابن حبان .

نموت ونحن نـؤمن بأن الله لا يشبهه شيء، وليس كمثلـه شيء، وله الأسماء الحسنى، ولـه الصفات العليا، ونفرح به وبأسمـائه وبصفاته، وإن شاء الله نلقاه وهو راضٍ عنَّا .

فقط . اجْعَلْ يقينك بالله تجده إن شاء الله راضيًا عنك .

وعندما حاول الكفار مضايقة النبى ـ ﷺ ـ جاءه التأييد ﴿وتوكَّلْ على العزيز الرحيم * الذى يراك حين تقوم * وتَقَلُّبَكَ فى الساجدين * إنه هـو السميـع العليم﴾(١٧) .

يا رسول الله : ﴿توكل على العزيز﴾ الذى لا يغلبه شيء ﴿الرحيم﴾ صاحب الرحمة، ﴿الذى يراك﴾ إذا قمت مـن الليل تتهجـد وتصلى، ﴿وتقلبك فى السـاجدين﴾ . ويراك حينمـا تسجد لـه . فهل يضيعـك ربك يا رسول الله ؟ لا. أنت تسجد له، تتهجد وتصلى .

لا يضيعك مادمت له مطيعًا . .

﴿إنا لا نُضِيعُ أجر مـن أحسن عملاً﴾ (١٨) فمن يعمل عمـلاً طيبًا لا يضيعه الله لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

﴿إنه هو السميع العليم﴾ هو السميع :

ومما يروى :

(أصاب الناس قحط علـى عهد سليمان ـ عليه السلام ـ فأمر الناس

---

(١٧) سورة الشعراء : آيات ٢١٧ : ٢٢٠ .

(١٨) سورة الكهف : آية ٣٠ .

فخرجوا، فإذا بنملة قائمة على رجليْها باسطة يديها وهى تقول: «اللهم إنا خَلْقٌ من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك!» قال: فصب عليهم المطر). رواه عبد الرزاق وابن عساكر.

النملة عرفت ربها ودَعَتْهُ، فالإنسان الذى لا يعرف ربه لا يساوى نملة! النملة عرفته ودعته فأجابها، يا شيخ!

ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ اعتنى بالنملة سمع دعاءها وأجابها. فكيف بك أنت يا مؤمن؟! لأن النملة عرفته وأنت ما عرفته ولا دعوته، فكن فى حالك! ما دمت لم تعرفه ولم تدعه فأنت غارق فى أوحالك، لكن النملة لمّا عرفته ودعته أنقذها وأجاب دعاءها. سبحان الله! سبحان الله الكريم! هذا كرم عظيم، كرمه عظيم عندما يسمع دعاء نملة صغيرة ويجيبها وينزل المطر بسببها، الله! لم تَدْعُ أحدًا غيرَ الله؛ لأن النملة تعرف أنه لا إله غيره.

اللهم يا رازق الطيور فى أوكارها.. ويا رازق الأسماك فى بحارها ويارازق الوحوش فى قفارها.. ويا رازق الأجنة فى بطون أمهاتها.. ويارازق الحشرات تحت أحجارها، اجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجًا..

صفات الله إذا قرأها المؤمن يشبع ويطمئن، يتنوَّر ويفرح الفرح النافع، تفرح بالله، بربك وبصفات ربك، وتفرح بصفاته وتطمئن، قال تعالى:

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [١٩] عندما تخاف القلوب فعند ذكرها لله تطمئن، فإذا ذكر العبدُ ربَّه يقول له قلبه:

---

(١٩) سورة الرعد: آية ٢٨.

مِمَّ تخاف؟! مِن أى شىء؟! كل شىء بيد الله، فعلام الخوف ؟!

﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكَّلِ المؤمنون﴾(٢٠).

يا رسول الله: قل لأصحابك ولأمتك: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا أزلاً ﴿هو مولانا﴾ سيدنا وخالقنا ﴿وعلى الله فليتوكَّلِ المؤمنون﴾ المؤمن يتوكل على ربه، لا يتوكل على الفانى، وإنما يتوكل على الباقى . .

ربنا سبحانه وتعالى علَّم نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول عز وجل: ﴿وعلَّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾(٢١).

ويقول عز وجل: ﴿وتوكَّلْ على الحىِّ الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرًا﴾(٢٢).

لا تتوكل على الذى يموت، العالم كله يموت، فالذى يتوكل على الميت ميت، لكن توكل على الحىّ سبحانه وتعالى، إذا توكلت على إنسان وجعلت رزقك عليه ثم مات فى اليوم التالى فبماذا ينفعك توكلك؟

توكلك يكون على الحى الباقى الذى لا يموت ﴿وتوكل على الحى الذى لا يموت﴾ الله! مَن خلقك؟ الله. مَن رزقك؟ الله. مَن يميتك؟ الله. ومصيرك إلى مَن؟ الله. ﴿وأن مردَّنا إلى الله﴾(٢٣).

---

(٢٠) سورة التوبة: آية ٥١.

(٢١) سورة النساء: آية ١١٣.

(٢٢) سورة الفرقان: آية ٥٨.

(٢٣) سورة غافر: آية ٤٤.

خَلَقَنا ومرجعنا إليه، لا أحد غيره، لا أم ولا أب ولا شيخ، الله! ﴿وأن مردنا إلى الله﴾.

خلقك من نطفة، ثم جعلك علقة، ثم مضغة، ثم خلق المضغة عظامًا ﴿فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (٢٤).

ولم لا تفكر ؟!.

مَن الذى جعل النطفة علقة؟ (قطعة دم)؟ الله. مَن الذى جعل العلقة مضغة (قطعة لحم)؟ الله. من الذى خلق المضغة عظامًا؟ الله. مَن الذى كسا العظام لحمًا؟ الله.

مَن الذى خلق الروح وأتى بها من السماء ؟ الله.

كيف يتركك وقد صنعك صنعة محكمة ؟

﴿صنع الله الذى أتقن كل شىء﴾ (٢٥).

أبدًا، أبدًا ! إن كلامه حق، قال: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (٢٦).

السيدة هاجر أتى بها نبى الله إبراهيم عليه السلام من الشام إلى مكة هى وولدها الصغير سيدنا إسماعيل عليه السلام، نصب لها خيمة،

---

(٢٤) سورة المؤمنون : آية ١٤.

(٢٥) سورة النمل : آية ٨٨.

(٢٦) سورة الكهف : آية ٣٠.

وأعطاها قربة ماء، وقربة فيها تمر ، وأمرها بالبقاء فى هذا المكان الموحش .

ثم ركب البراق وتهيأ للعودة إلى الشام، فقالت له امرأته : يا إبراهيم : آلله أمرك بهذا ؟ قال لها : نعم . يا هاجر ، الله ! فقالت له : اذهب - إذن - فهو لا يضيعنا !

فهى لا تريد أن يكون اعتمادها وتوكلها على زوجها - وهو نبى ورسول - لم تقل له : لمن ستتركنا؟ ولكنها قالت له : مادام ربك قد أمرك، فاذهب إلى حال سبيلك، فإن الذى خلقنا لن يضيعنا ! وقد كان .

فهذا هو الإيمان، هذا هو الإيمان الخالص، الإيمان الحق ! ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾ (٢٧) .

لم يكلفنا بأمر صعب لا نستطيعه، نحن نريد أن ننام ! ناموا ولكن قوموا لصلاة الصبح .

وإنما قال الله تعالى للنبى ﷺ :

﴿قم اللَّيل إلا قليلاً﴾ (٢٨) . لأنه يستطيع ذلك بما أعطاه الله من قدرة على ذلك، أما نحن فلا نقدر ، والله سبحانه وتعالى لطيف بالعباد خبير ، يعلم بكل شىء، لو أمرنا بقيام الليل فلن نستطيع القيام !

---

(٢٧) سورة التغابن : آية ١٦ .

(٢٨) سورة المزمل : آية ٢ .

إنه فقط يأمرنا أن نصلى الصبح قبل طلوع الشمس، و٩٠٪ من المسلمين يصلون بعد الشمس ! وهم يعتقدون فى أنفسهم الصلاح .

كيف هذا؟! أو إيش هذا (بلغة المغاربة) .

نصلى الصبح بعد طلوع الشمس؟! وفى حديث البخارى عن النبى عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن مسعود رضى الله عنه قال: «**ذُكِر عند النبى ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح قال: ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه أو قال فى أذنه**»(٢٩).

وفى رواية: «**فيصبح خبيث النفس كسلان**» .

(**ما يبدل القول لدىَّ وما أنا بظلاَّمٍ للعبيد**) .

سبحانك يا رب! سبحانك ! كتب لك فى اللوح المحفوظ أنك فى الدنيا ستنجب ولدين وبنتين فقط ، فلا تبحث عن ولد خامس، لا تتعب نفسك، لقد كتب لك ألا زيادة فلا زيادة ، إنه أمر مكتوب .

الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل، يأتى إليك ولو كان فى جبهة الأسد .

كل الرزق: ذرية، أموال، صحة ! كل ذلك مكتوب، فلا تفكر فيما سيأتيك فإنه آتيك لا محالة ! سواء طلبت أم لم تطلب ! تفكر فى نفسك !

تفكر فيما هو مطلوب منك، لا تفكر فيما هو مطلوب منه سبحانه وتعالى! لماذا ؟ لأنه قال :

---

(٢٩) متفق عليه .

﴿ما يُبَدَّلُ القول لدى﴾ ﴿وما من دابَّةٍ فى الأرض إلا على الله رزقها﴾[٣٠]. وأنت رزقك على الله، فلا تفكر فى الذى عليه ! لأنه سبحانه صادق فيما قال، إنما التفكير فى المطلوب منك ﴿وأقيموا الصلاة﴾[٣١]. فهل تصلى؟ ﴿وأنفقوا﴾[٣٢] فهل أنت تنفق؟ ﴿ولله على الناس حج البيت﴾[٣٣] فهل حججت؟ فكر فيما طلب منك ولا تفكر فى الشىء الذى جعله على نفسه تفضُّلاً وإحسانًا.

س: قال سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ: (فصبر جميل)[٣٤].

فهل هناك صبر جميل وآخر ليس بجميل؟

جـ: قال العلماء: الصبر الجميل: الذى لا تصحبه شكوى لغير الله.

مثلاً: لم نجد عشاء فى البيت ! صبرنا يا رب. فهذا صبر جميل لكن لو لم يجد عشاء، فذهب إلى جاره وطلب منه عشاء فهذا صبر فحسب، لا صبر جميل !

إنما يسمى صبرًا جميلاً إذا تحمل ولم يدفعه الجوع إلى كسر دكان، أو الهجوم على بيت، ولكن صبر لله ولم يَشْكُ حاله إلا لله. فهذا هو الصبر الجميل، فإذا شكى للخلق فهو صبر فقط لا صبر جميل.

---

(٣٠) سورة هود: آية ٦.

(٣١) سورة المزمل: آية ٢٠.

(٣٢) سورة المنافقون: آية ١٠.

(٣٣) سورة آل عمران: آية ٩٧.

(٣٤) سورة يوسف: آية ١٨.

وقد اعترض بعضهم بأن يعقوب ـ عليه السلام ـ قال :

﴿إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله﴾ (٣٥) . فهل يتعارض ذلك مع الصبر الجميل! قالوا: لا؛ لأنه لم يشك إلى أحد وإنما شكا إلى الله، فهذا صبر جميل . .

وإنما الصبر غير الجميل أن تشكو إلى غيره سبحانه وتعالى : ﴿فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ .

عليك الصلاة والسلام يا سيدى يا رسول الله! وعلى سيدنا يعقوب الصلاة والسلام . إنهم عباد الله الصالحون ! سلَّم عليهم ربهم ﴿وسلامٌ على عباده الذين اصطفى﴾ (٣٦) . سلَّم عليهم فى القرآن، فقال عزّ وجلّ : ﴿الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ ﴿سبحان ربِّك ربِّ العزّة عمّا يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين﴾ (٣٧) .

سلام على مَنْ ؟ على المرسلين، لا على العابثين اللاهين، سلام على المرسلين الطاهرين الطيبين الصالحين العاملين، ربهم يسلم عليهم، وقد أمر النبى ﷺ الصحابة أن يقولوا فى الصلاة :

﴿السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين﴾ (٣٨) .

---

(٣٥) سورة يوسف : آية ٨٦ .

(٣٦) سورة النمل : آية ٥٩ .

(٣٧) سورة الصافات : آيات ١٨٠ ـ ١٨٢ .

(٣٨) رواه البخارى .

ليس السلام على أرباب المقاهى أو الخمارات أو تاركى الصلاة، وما معنى «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؟

السلام معناه: الأمان . أى: يا رب اجعل الأمان علينا وعلى عباد الله الصالحين . ومِمَّ الأمان ؟

من عذاب النار ، وهل هناك شىء أشد من عذاب النار ؟! ولذلك أمرنا أن ندعوا الله فى الصلوات دائمًا أن يؤمننا من عذاب النار .

س : عن تفسير ﴿والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ .

ما هو العصر ؟ وما المراد بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر ؟

جـ : قال العلماء : معنى ﴿والعصر﴾ أن الله تعالى يقسم بالعصر .

المعنى أُقسم برب العصر ، فالمقسم به هو الله رب العصر ! وقال بعضهم : بل إن المعنى ﴿والعصر﴾ أقسم بالعصر ، والله يحلف بما يشاء ، وأما الخلق فلا يحلفون إلا بالخالق .

أما هو سبحانه وتعالى فيحلف بما يشاء ﴿والليل﴾ ﴿والشمس وضحاها﴾ أما العصر فقيل : هو عصر أى : زمن النبى عليه الصلاة والسلام ، لماذا؟ لأنه أفضل العصور فى الدنيا . فالعصر : معناه الزمن . فأفضل الأزمنة فى الدنيا : زمن النبى .

مَن أفضل مخلوق مشى على الأرض من يوم أن خلق الله الأرض ومَنْ عليها؟ النبى ﷺ، وأفضل زمن فى الدنيا زمن من ؟ زمن النبى ﷺ، وخير أمةٍ أمةُ مَنْ ؟ أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

نعم . كل ذلك موجود فى القرآن .

الله ـ سبحانه وتعالى ـ حلف بزمن النبى ﷺ؛ لأنه أفضل الأزمنة، وحلف ببلده مكة، وقال: ﴿وهذا البَلدِ الأمين﴾[٣٩]. والمعنى: وأحلف بالبلد الأمين الذى هو مكة . وحلف بذاته ـ ﷺ ـ فقال: ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾[٤٠] يعنى : حياتك قسمى .

فحلف بذاته، وحلف ببلده، وحلف بزمنه، حلف بزمنه؛ لأنه أفضل الأزمنة، وحلف ببلده؛ لأنها أفضل البلاد، وحلف بذاته؛ لأنها أفضل الذوات .

وقيل: العصر هو الزمن كله، فأقسم بالزمن كله؛ لأنه مظهر العجائب .

وقيل: المراد وقت صلاة العصر ؛ لأن الناس تنشغل فيه بأعمالها، فمن يترك العمل ليصلى فإنه يعمل عملاً صالحًا طيبًا نفيسًا له قيمته عند الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى: ﴿حافظواْ على الصلوات والصلاة الوسطى﴾[٤١] .

فاختلفواْ فى تفسير «الوسطى» :

فقال الإمام مالك: هى صلاة الصبح . لماذا ؟

---

(٣٩) سورة التين : آية ٣ .

(٤٠) سورة الحجر : آية ٧٢ .

(٤١) سورة البقرة : ٢٣٨ .

لأن الله تعالى يقول: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾(٤٢).

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه: هى صلاة العصر.

وقال الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه: هى صلاة الظهر؟ لأنها أول وقت فُرِض: يوم الإسراء والمعراج.

«عن مالك بن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخَّر الصلاة يومًا فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخَّر الصلاة يومًا، وهو بالكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصارى فقال: ما هذا يا مغيرة؟ أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ يعنى الظهر، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ يعنى العصر، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ يعنى المغرب، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ يعنى العشاء، ثم نزل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ يعنى الصبح، ثم قال: بهذا أُمِرْت»(٤٣).

فأول صلاة صلاها رسول الله ﷺ من الفرائض هى صلاة الظهر.

فلذلك جاءت الوصية عليها ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾. ﴿والعصر﴾ قسم، وفائدة القسم تقوية وتأكيد، والإنسان يلجأ إلى القسم عادة إذا أراد أن يصدقه السامع فى أمرٍ نفيس غالٍ ذى قيمة فبمجرد النطق بلفظ القسم يدخل اليقين فى قلبك ولا تشك فيه..

---

(٤٣) رواه البخارى فى باب (مواقيت الصلاة).

فالله تعالى يحلف لكى نسمع الكلام الذى بعد الحلف بقلب سليم ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ الخسر : هو الضياع، فالله تعالى يحلف ويقول : ابن آدم هذا منغمس فى الضياع، كما يدخل فى البحر، و﴿فى﴾ تفيد الظرفية، فهو غارق فى الضياع إلى أُذنيه، ولكن هل هذا مصير الناس جميعًا؟ كلا. فهناك طائفة ناجية وهم الذين حدثنا الله تعالى عنهم بقوله :

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى : آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات التى أمرتهم بها، ﴿وتواصوا بالحق﴾ فيما بينهم ﴿وتواصوا بالصبر﴾.

وإنما قدم الحق على الصبر ؛ لأنه الطريق الموصل إليه، فإنك إذا عرفت الحق صبرت.

مثلاً : إذا مات لك ولد، فإنك تعرف الحق، وهو أنه مات بقضاء الله وهذا أجله، فيأتيك الصبر بسبب معرفتك للحق.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ وما حقيقة هذا الإيمان ؟ هل هو مجرد قولك أنا مؤمن ؟ لا. ، وإنما هو كما فسَّره النبى ﷺ سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله»(٤٤). فهذا هو معنى الإيمان.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ آمنوا بالله وملائكته.

---

(٤٤) رواه مسلم فى كتاب الإيمان.

ـ أريد أن أفهم معنى الإيمان بطريقة مبسطة :

الإيمان معناه فى الأصل : التصديق . ألا تعرف معنى : فلان صدَّق فلانًا، صدقه فى كلامه يعنى : لم يكذبه .

فـ ﴿الذين آمنوا﴾ أى : الذين صدقوا النبى ـ ﷺ ـ فى كل ما جاء به، وصدقوا بالقرآن .

والعامة عندنا فى الصعيد يقولون : صدِّق وآمِن يا شيخ .

يعنى : صدِّق كلامى وآمِن بأنه حصل !

﴿آمنوا﴾ أى : صدقوا بما قاله الله تعالى فى كتابه العزيز ، وصدقوا ما قاله النبى ـ ﷺ ـ فى سنته .

يا طيِّب الوجه !

كل بيت أنت ساكنه * غير محتاج إلى السُّرُجِ
ومريضٌ أنت عائدُهُ * قد أتاه الله بالفرجِ
وجهُك المأمول حجتُنا * يوم يأتى الناس بالحُجَجِ

هل نقدر على شكر ربنا على نعمه ؟! كيف ونحن لا نحصيها ! أليس مجرد هدايتنا إلى معرفته ـ سبحانه وتعالى ـ نعمة بل أجلّ النعمة ؟ لو لم نكن نعرف ربنا لكنا أقل من الكلاب، بل إن الكلب يعرف الله خالقه ورازقه !

وكونه ـ سبحانه وتعالى ـ جعلنا من أمة هذا النبى ـ سيدنا محمد ﷺ فهذه نعمة من عند الله، اللهم لك الحمد !

والناس الذين يفرحون بالجنيهات والعمارات ـ هؤلاء لا يعرفون الفرح الحق، وفرحهم بذلك من الجهل .

قال تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾ (٤٥) .

وما معنى (بذلك) أى : بالله وبرسوله ﷺ .

الذى يريد الفرح يفرح بربه، وإذا لم يجد الفرح بربه فلا عرف الفرح !

فلنفرح بالله تعالى أن جعلنا مسلمين ومؤمنين !

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبدًا ولكن الله يزكّى من يشاء﴾ (٤٦) .

بفضل الله وبرحمته أسلمنا وآمنا ليس بالقوة، ولا بالعلم، لا، لا ﴿بفضل الله وبرحمته﴾ .

وما معنى الفضل؟ عندما تطلب خدمة من أحد فيقوم بها بأجر معين فهذه خدمة قد اشتريتها بمالك، وأما إذا قدمت لك الخدمة بدون مقابل فهذا هو الذى يسمى (الفضل)، فالشىء الذى يكون بلا مقابل من الفضل، والشىء الذى يكون بثمن ليس من الفضل، فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : بفضلى وبرحمتى من غير مقابل منكم جعلتكم مسلمين ومؤمنين، تعرفون القرآن، وتحبون القرآن، كل ذلك يقدمه لكم

---

(٤٥) سورة يونس : آية ٥٨ .

(٤٦) سورة النور : آية ٢١ .

ربكم من غير مقابل، وإنما بفضل الله تعالى وكرمه ورحمته، وحلمه ورأفته وعطفه .

هو ـ سبحانه وتعالى ـ يتكرم على العباد ولا يأخذ من أحد شيئًا . .

وماذا عن دخول الجنة ؟ لماذا لا يتبرع لنا ربنا بالجنة ؟

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

«لن يُدْخِل أحدًا عملُهُ الجنة، ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته»(٤٧) .

إذن فأعمالنا وحدها لا تدخلنا الجنة ولا تجعلنا مستحقين لدخولها . لماذا ؟ لأن الأعمال لا توفى بثمن دخولها ، فدخول الجنة برحمته، يارسول الله وأنت أعمالك لا تدخلك الجنة ؟ ولا أنا، أنا أرجو أن أدخل برحمة الله ؛ لأن رحمة الله أوسع وأعظم، فلا تفكر فى عملك، لأن دخولك الجنة برحمة الله، والمدار على دخولك الجنة من الباب كما تدخل الأزهر مثلاً فتحصل من العلم ما تريد، فالجنة المدار كله على دخولها من الباب، ودخولها من الباب برحمة الله، وعندما تدخل من الباب تتحقق بقول الله تعالى : **﴿وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون﴾**(٤٨) فكل من قدم عملاً ينفعه، فعلى قدر ما قدمت تلقى فى الجنة ؛ إنما الدخول غالٍ .

---

(٤٧) متفق عليه .

(٤٨) سورة الزخرف : آية ٧٢ .

كما أن تذكرة الحج ثمنها غالٍ، أما إذا وصلت فالأمور سهلة، ولك حرية التنقُّل والطواف والزيارة .

س : ما معنى (أعوذ بك منك)[٤٩]؟

جـ (أعوذ بك) أنت يا رب (منك) أى : من غضبك .

(أعوذ برضاك من سخطك) أى : ارض علىّ يا رب ولا تسخط علىّ، ولا تغضب علىّ ! . ، وبك منك أى : من غضبك وعذابك .

س : ربنا سبحانه وتعالى يقول : ﴿ما يبدل القول لدىّ﴾ فما فائدة الدعاء إذن ؟

جـ : ندعو تعبُّدًا واستجابة لأمر الله، وهو سبحانه وتعالى يستجيب بما هو مكتوب فى اللوح المحفوظ :

كتب لك ـ مثلاً ـ أنك تدعو فى يوم كذا بكذا، فتُعْطَى سُؤْلك فى يوم كذا، فالدعاء إذن سبب، وهو نفسه من القدر مكتوب فى الأزل أن ناسًا يركبون البحر ، فتثور الرياح وتضطرب السفينة وتوشك على الغرق، فيدعو الركاب : يارب . يارب، فينجيهم ربهم .

وكلٌّ مكتوب : الدعاء، والنجاة . .

لما ألقى سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى النار . ماذا قال ؟

(حسبى الله ونعم الوكيل)، فإلقاؤه فى النار : قضاء وقدر مكتوب، ودعاؤه وقوله مكتوب أيضًا .

---

(٤٩) بعض حديث رواه الأربعة عن عائشة رضى الله عنها ولفظه : (اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك).

(حسبى الله ونعم الوكيل) أى : كافينى الله وحده، لا أحد غيره . فجاءه الفرج والعون والنجاة ﴿قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم﴾(٥٠) .

الله !! ما أحلى كلامك يا رب ! يا من ينجى من النار !

سبحانك لا يعجزك شىء، نحن فرحون بك فلا تُخيِّب رجاءنا !

نعم . إن السعيد من عرفك! أنت الرءوف ﴿والله رءوف بالعباد﴾(٥١). ياسلام ! ما هذا ! رءوف بالعباد قبل أن تشفق على نفسك فإنه يشفق عليك!

﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا﴾(٥٢) .

لا تميتوا أنفسكم ؛ لأننى أرحمكم ورحيم بكم، ولا أرضى لكم أن تعذبوا أنفسكم !

﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾(٥٣) .

أنا لا أحتاج إلى تعذيبكم ما دمتم قد شكرتم وآمنتم، وإنما أُعذِّب عبادًا بغوا وعصوا ، جزاء البغى، فالعذاب إنما هو جزاء لهم، والله تعالى لا يحب أن يعذب أحدًا .

﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ لا أريد تعذيبكم لا فى

---

(٥٠) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

(٥١) سورة آل عمران : آية ٣٠ .

(٥٢) سورة النساء : آية ٢٩ .

(٥٣) سورة النساء : آية ١٤٧ .

الدنيا ولا فى الآخرة، ولكنه الجزاء والحساب، تعمل خيرًا تجد خيرًا فى الدنيا والآخرة، فمن سار مستقيمًا وجد خيرًا، ومن سار على عوج وجد جزاءه، كما تدين تدان .

س: ما تفسير قوله تعالى : ﴿وتلك القرى أهلكناهم لمَّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدًا﴾(٥٤)؟

جـ: المعنى أن ربنا سبحانه وتعالى عندما يريد إهلاك قرية بسبب تكذيبهم لرسولهم يبعث إليهم الرسول منذرًا ومحذرًا بأن موعد العذاب الذى حدده الله تعالى قريب ﴿فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب﴾(٥٥) .

﴿وجعلنا لمهْلِكِهِمْ موعدًا﴾ يحدد لهم الرسول موعد نزول العذاب ويعطيهم إنذارًا ومع ذلك لم يلتفتوا إلى كلامه ولم يصدقوه فى وعيده . إن أمرهم عجيب حقًا، يأتيهم رسول من عند الله يخبرهم بأن العذاب آتيهم بعد ثلاثة أيام، ورسول آخر ـ وهو هود عليه السلام ـ ينذرهم بأن ريح العذاب قادمة إليهم، فلم يصدقوه، ولما رأوا الريح قادمة إليهم من بعيد قالوا: هذا ريح طيب يحمل لنا المطر والخير !!

﴿فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا﴾ . فلما وصل إليهم إذا هو عذاب أليم ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾(٥٦) .

---

(٥٤) سورة الكهف : آية ٥٩ .

(٥٥) سورة هود : آية ٦٥ .

(٥٦) سورة الأحقاف : آية ٢٤ .

فمن رحمة الله تعالى بعباده ورأفته بهم ـ وإن كفروا وكذبوا رسله ـ أن يبعث إليهم الرسل ينذرونهم ويخوفونهم بالعذاب .

ونبيُّ الله صالح ـ عليه السلام ـ أعطاهم مهلة ـ ثلاثة أيام ـ لعلهم يسلمون أو يرجعون عن كفرهم ، ولكنهم أصرُّوا على كفرهم وعنادهم ولم يلتفتوا إلى كلامه !

س : عندما نخرج من الدرس نأخذ معنا طاقة كبيرة ، وشحنة هائلة من الروحانية ، وبمرور الوقت وقبل أن نعود إلى هذا المكان مرة أخرى يحس الواحد منا بفتور ، وكأن حلاوة العبادة والتلاوة قد ذابت ! فكيف يمكننا تلافي ذلك ؟!

جـ : «عن حنظلة الأُسيدى قال : لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة؟ قال : قلت : نافق حنظلة ! قال : سبحان الله ! ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأى العين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيرًا . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ .

قلتُ : نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : وماذاك؟ قلت : يا رسول الله : نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيرًا . فقال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (ثلاث مرات) »[٥٧] .

---

(٥٧) رواه مسلم .

أى : يا حنظلة اجعل ساعة لربك تتعبد وتذكر ، وساعة لقلبك وشئون معاشك ، والله لطيف بعباده لا يكلفهم ما لا يطيقون ، وهم لا يطيقون أن يظلُّوا على حالة واحدة ، وإلا فمتى يأكل الإنسان أو يشرب ، أو يباشر شئون زوجته وأولاده !

فليس هذا نفاقًا ، ولكنها طبيعة الحياة ، والدين الإسلامى سمح ، يقوم على التيسير ولا يعرف التشدُّد ، والمؤمن لا يغضب لأتفه الأسباب .

بعض الناس يثور إذا تأخرت زوجته فى إعداد الطعام ، أو لم يجد صنفًا من الطعام يحبه ! وربما يشتم امرأته ويغلى دمه ، وينسى بسبب الغضب المسجد والدرس ! ليس هكذا يا أخى المسلم .

س : بعض الناس إذا حلَّ به بلاء ، فإنه يستشعر حلاوة العبادة ويحس بالقرب من الله ، فهل يطلب من الله تعالى استمرار البلاء؟

جـ : لا ، عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من أصحابه يعوده فقال له : هل سألت الله عز وجل ؟

«قال : قلت : اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعاقبنى به فى الدنيا . فقال له رسول الله ﷺ : لا طاقة لك بعذاب الله . هلاَّ قلت : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »(٥٨) .

هل تقدر على عذاب الله ؟ سل الله العافية ! قل يا رب ارحمنى ! يارب الطف !

---

(٥٨) رواه أحمد ومسلم .

الكفار هم الذين قالوا «اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»[٥٩] .

فانظر إلى كفرهم وعنادهم ! بدلاً من أن يقولوا : يا ربّ، إن كان القرآن منزلاً من عندك، والنبى ـ ﷺ ـ مرسلاً من عندك فأنزل علينا رحمة وبركة، قالوا العكس ! أمطر علينا ـ أى أنزل ـ علينا حجارة من السماء، أو ائتنا ـ أى أنزل علينا عذابًا أليمًا !!، هذا من الجهل .

ولكن الله لا ينظر إلى هؤلاء الكفرة الفجرة، وجهنم فى انتظارهم، وينظر ـ برحمته ـ إلى باقى الخلق ! كيف ينزل حجارة على هذا البلد، وفيه أنعام وطيور ومخلوقات ـ فلماذا يعذبهم؟ أما أنتم فعذابكم ينتظركم فى جهنم يوم القيامة !

س : يا مولانا الشيخ ! هناك آية فى القرآن الكريم فيها :

﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾ [٦٠] وآية أخرى فيها : ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [٦١] . نريد أن نعرف ما «القاسطون» وما «المقسطين» ؟

جـ: أُخبرك عن معنى القاسط بهذه الحكاية المعبّرة :

دخل سعيد بن جبير ـ رضى الله عنه ـ على الحجاج بن يوسف، فسأله الحجاج : ماذا تقول فىَّ يا سعيد؟! قال : قاسط عادل !!

---

(٥٩) سورة الأنفال : آية ٣٢ .

(٦٠) سورة الجن : آية ١٥ .

(٦١) سورة الحجرات : آية ٩ .

فالتفت الحجاج إلى جلسائه قائلاً : ما رأيكم فى مقالته ؟

قالوا : مدحك يا أمير المؤمنين وأثنى عليك . فقال لهم الحجاج : لا . لا . بل ذمَّنِى بأبلغ ذمّ! قال تعالى : ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾[٦٢] وقال عزّ وجلّ : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾ . فقد ذمَّنِى سعيد بأبلغ ذمّ !!

فكلمة «مقسط» بمعنى : عادل منصف ، وعلى ذلك ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ . أى : اعدلوا فإن الله تعالى يحب العادلين .

وأما «قاسط» فمعناها : الظالم الجائر ، وعلى ذلك ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾ فالقاسطون هم : الظالمون فمادة «القسط» لها فى كل من الآيتين معنى يخالف الأخرى .

س : ما حكم قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ؟

جـ : قال عليه الصلاة والسلام : «من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[٦٣] .

وقد رأى العلماء ـ ورأيهم صحيح ـ أن الزمان قد تأخر ، والحفظة تناقص عددهم إلى درجة كبيرة : يعنى لو هناك ألف واحد فعدد الذين يحفظون سورة الكهف كاملة يُعّد على أصابع اليد الواحدة ، فما العمل إذن؟ قالوا : نأتى بقارىء حافظ ، يقرأ السورة ، والحاضرون يستمعون له ، والقارىء والسامع ثوابهما واحد .

---

(٦٢) سورة الأنعام : آية ١ .

(٦٣) رواه الحاكم والبيهقى فى السنن .

وقد قالوا: إن القارىء كالحالب، والسامع كالشارب.

س: فلماذا ـ إذن ـ يعترضون على قراءتها فى المساجد؟

جـ: لا تهتم بكلامهم، ولكن استفت قلبك وتعالَ لتسمع السورة فى المسجد، فإن وجدت قلبك قد انبسط وأنصتت روحك فاجلس، فى الجامع الأزهر ـ أكبر مسجد جامع فى مصر ـ يصلى فيه شيخ الأزهر ورئيس الجمهورية، ومسجد سيدنا الحسين، ومسجد السيدة زينب ومسجد الإمام الشافعى، وغيرها فى مصر أكثر من ٤٠ ألف مسجد كبير تقرأ فيها سورة الكهف ولا يعجب ذلك بعض الناس.

ولنتأمل قول النبى ﷺ: «من قرأ سورة الكهف».

إذن: من لا يستطيع القراءة ماذا نصنع معه؟ لماذا نحرمه من ثواب القراءة؟! هو لا يحفظ سورة الكهف ولا يمكنه حفظها، فالحل أن نحضر له من يقرأ وهو يسمع..

س: والذى يقول: إن قراءة السورة بهذه الكيفية بدعة ـ بماذا نرد عليه؟

جـ: لا. ليس ذلك ببدعة بالمعنى المفهوم لديهم ـ وما معنى البدعة؟ أُريدك أن تفهم معناها:

قال عليه الصلاة والسلام: «مَن سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أُجُورهم شىء»(٦٤).

---

(٦٤) رواه مسلم.

وضربوا لشرح هذا الحديث أمثلة، فقالوا: إن المصحف فى زمن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن مكتوبًا على الورق، فأين كان إذن؟ كان فى صدور الصحابة: ﴿**بل هو آيات بيِّنات فى صدور الذين أُوتُوا العلم**﴾[٦٥]. حفظه القرآن.

وفى زمن سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ ظهرت المصاحف ـ فهل نقول على هذه المصاحف إنها بدعة؛ وضلالة؟ لأنها لم تكن موجودة فى حياة النبى ﷺ؟! كلا بل سنة حسنة، وبعد ذلك ظهر النقط والشكل فى زمن الحجاج!

العلوم تتطور وتستحدث أشياء بين وقت وآخر!

فى زمن النبى ـ ﷺ ـ كان العلم فى الصدور، يعتمد على الإلقاء والتلقى، فكان الرجل يجلس فى المسجد فيتعلم التفسير ويسمع الحديث ويتفقه فى الدين من غير كتاب ولا خطّ.

وفى هذه الأيام القراءة والكتابة ووسائل التعليم المختلفة فهل هذا بدعة بمعنى مخالفة السنة أم بدعة حسنة تخدم الدين وتساعد على نشر العلوم؟!

فى زمن الصحابة لم تكن هناك مآذن، ثم استحدثت المآذن ليسمع الأذان أكبر عدد من الناس، وزيادة فى عمارة المساجد. فهل هذه بدعة (بمعنى الشر والضلالة كما يقولون)؟ بل هو بدعة حسنة.

---

(٦٥) سورة العنكبوت: آية ٤٩.

س: هل مات الحجاج مسلمًا ؟

جـ: ما لنا بـه؟ هل سنُسأل عنه يـوم القيامة ؟ لقد مـات وأصبح أمره موكـولاً إلى ربه، ونحن لـم نعش فى زمنـه حتى نحكم عليه أوْلـه . وقد تكلم بعضهـم مع الإمام مالـك ـ رضى الله عنـه ـ فى أمر الحجـاج فقال أحد الحاضريـن: إن الحجاج منع الناس من زيارة النبـى ـ ﷺ ـ، وقال لهم: إنكم تزورون جيفة !!

فقال الإمـام مالك: إن كـان قال هذه الكلمة فهـو كافر ، ونحـن مع الإمام مالك فـى هذا الحكم العادل، فالحجاج مجـازى بعمله ومؤاخذ بما قاله . .

س: مـا تفسير قـوله تعـالى: ﴿إنـى أعوذ بـالرحمـن منك إن كنـت تَقِيًّا﴾[٦٦] . ؟

جـ: أرسل الله تعالى سيـدنا جبريل إلى السيدة مريـم فى صورة رجل فظنت أنه بَشَـرٌ فاجر يريـد بها سوءًا، فقالـت له: إنى أستعيذ بـالرحمن منك، فـإن كنت تخاف الله وتتقيـه فابتعد عنى، فقـال لها جبريـل عليه السلام: لا تخافـى، فلست برجل فاسد، ولا أريـد بك سوءًا ﴿إنما أنا رسول ربك﴾ يعنى: أنا ملَك مرسل ولست ببشر ، وإنما جئت ﴿لأهب لكِ غلامًا زكيًا﴾[٦٧]. فهذا هو معنى الآية ، والله أعلم . .

---

(٦٦) سورة مريم : آية ١٨ .

(٦٧) سورة مريم : آية ١٩ .

س: أليس المراد بـ ﴿ تَقِيًّا ﴾ أنه اسم رجل فاسق كان يعيش فى ذلك الوقت ؟

جـ: لا . لا . ليس هـذا، وإنما المعنـى كما ذكـرت لكم ﴿إن كنت تقيًّا﴾، أى: إن كـانت عنـدك تقوى، إن كنـت تعظّم الله فـإنى أُعيـذك بالله .

س: ما الحكم لو لمس رجل متوضىء امرأة بيده ؟

جـ: على مـذهب الإمام الشافعـى: ينتقض وضوؤه، وعلى مـذهب الإمام مالك: إذا قصد اللذة باللمـس ووجدها ينتقض وضوؤه . أما على مذهب الإمام أبى حنيفة فلا ينتقض الوضوء باللمس ولو بالسلام .

س: ما المراد بالنفس ، والروح ؟

جـ: أنا أسألك أنت: هل تتكلم بروحك أم بجسمك ؟ ربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾[٦٨]. فقف عندها ولا تسأل! أنا وأنت لا نعرف أمر الروح . .

س: ولكن النفس غيـر الروح ؛ لأن النفس أمَّارة بالسـوء، والروح من أمر الله ؟

جـ: الـروح تسمى: الـروح، وتسمى النفـس، مثـل أحمد والحـاج أحمد فهمـا واحد، فتسمى الـروح؛ لأنها شفافـة لا ترى، قالـوا: لأنها تشبه الهواء، والهواء لا يُرَى فسميت الروح ؛ لأنها لطيفة .

(٦٨) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

وتسمى أيضًا: النفس ؛ لأنها منفوسة أى مخلوقة ، وفى الحديث: «ما من نفس منفوسة»[٦٩]. ونحن لا نعلم من أى شىء خُلِقت، وهناك أشياء كثيرة فى هذا الكون لا نعرف حقيقة خَلْقها ـ السماء والأرض ـ نحن نعلم ونؤمن بأنها مخلوقة لله، ولكن من أين وكيف ؟ الله سبحانه وتعالى أعلم .

وهل يطيق مخلوق أن يُحيط بعلم الله ؟ كلا .

س: فما معنى : ﴿ونفخنا فيه من روحنا﴾ ؟

جـ: ونفخنا فيه من روحنا معناه: أدخلنا فيه من روحنا .

س: ماذا يفعل الإنسان عند دخول دورة المياه ؟

جـ: الشيخ أبو البركات الدردير رضى الله عنه قال: عندما يدخل الواحد منا المرحاض يقول: «اللهم إنِّى أعوذ بك من الخُبُثِ والخبائث»[٧٠]. قال: الخُبُث: ذكور الجن، والخبائث: إناثها .

س: فى أثناء قراءة القرآن يوم الجمعة دخل رجل المسجد وأوقف المقرىء عن القراءة، واستشهد بحديث قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «ويل للتالى من المصلِّى»[٧١] فهل هذا الحديث صحيح ؟

جـ: نعم ! وله سبب ؛ لأن المقرىء يوم الجمعة يبدأ القراءة قبل الصلاة بفترة (ثلث ساعة على الأقل) فلا يكون أحد فى صلاة وعندئذ

---

(٦٩) رواه أحمد بن حنبل والترمذى .

(٧٠) رواه البخارى ومسلم وغيرها .

(٧١) لم نجد له تخريجًا فيما اطلعنا عليه من كتب .

يستحب الإنصات للقراءة ومن جاء متأخرًا يصلى بعيدًا ولا يتخطى الرقاب لأن ذلك حرام، فلا يدخل عند القارىء أما لو حدث ذلك فى صلاة العصر مثلاً والناس يصلون أربع ركعات قبل العصر وأراد أن يقرأ القرآن فلا يفعل ذلك لانشغال الناس بالصلاة النافلة؛ فلا يقرأ .

فالحديث ورد فى حالة خاصة كان القارىء يقرأ والمصلى يتنفل . .

س: رجل كان يُقبِّل المقصورة، ثم طاف حولها فنهاه رجل آخر عن ذلك وقال: هذا شرك ـ فما حكم ذلك ؟

جـ: هذا لا يسمى طوافًا، فإنما يسمى الطواف شرعًا إذا كان حول الكعبة، ولا ينعقد إلا بالنية، فهذا الذى تسأل عنه دوران لا طواف، ومن قال إنه طواف فهو جاهل .

س: ولكنه يدور حول المقصورة ؟

جـ: الناس تدور حول المقصورة عند الزيارة ليس بقصد الطواف المعروف، وإنما يدورون وهم يقرأون ويدعون ويتبركون ولا يدور فى خاطر واحد منهم أنه يطوف طواف عبادة !!

أنت مثلاً إذا دخلت الأزهر ودرت حول أعمدته تتفرج وتتأمل ثم خرجت، فهل فعلك هذا يسمى طوافًا ؟ .

س: وما حكم تقبيل المقصورة ؟

جـ: التقبيل مسألة أخرى، ولنصل إلى حكم التقبيل نتذكر بأن الأحكام الشرعية خمسة أقسام :

واجب، حرام، مندوب، مكروه، مباح .

فالواجب: ما أمرنا الله به أن نفعله وقال: افعلوه نحو ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾[٧٢]. أى الصلاة الواجبة.

والحرام: ما نهانا الله عن فعله وقال: لا تفعلوه نحو ﴿**ولا تقربوا الزنا**﴾[٧٣]. أى الزنا حرام.

فهل جاء فى القرآن والسنة أن التقبيل حرام؟ إذن فالتقبيل ليس بحرام.

ومن يدعى ذلك قل له: هات آية من القرآن الكريم فيها أن تقبيل المقصورة حرام!

والمكروه: ما نهانا النبى ﷺ عن فعله، فهل هناك حديث صحيح فيه أن النبى ﷺ قال: لا تُقَبِّلوا المقصورة؟!

وهل هناك حديث يأمرنا بالتقبيل؟ لا.

ولو كان لأصبح التقبيل سنة!

فما حكم التقبيل إذن؟ ما خرج عن الأحكام الأربعة فهو مباح. وما معنى المباح؟

معناه: أنك لا تثاب على فعله، ولا تعاقب على تركه، كما تُقبِّل ولدك الصغير، فهو مباح فهذا الرأى القائل بتحريم التقبيل جاء به أُناس

---

(٧٢) سورة المزمل: آية ٢٠.

(٧٣) سورة الإسراء: آية ٣٢.

من غير دعوى أو بينة، ولكن الله تعالى يقول: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾(٧٤).

والذين يحبون سيدنا الحسين ـ رضى الله تعالى عنه ـ، ويأتون لزيارته جاءوا بقلوبهم وأرواحهم، لم يعلمهم مُعلِّم، ولا أقرأهم مقرىء ولكنهم جاءوا لله، وبالحب لله، الذى ملأ قلوبهم بالسكينة، تتزلزل الجبال ولا يتزلزلون !، ترى الواحد منهم عندما يدخل عند سيدنا الحسين يشعر وكأنه دخل الجنة !

ولم لا ؟ وهو ابن النبى ! ونحن نحب النبى عليه الصلاة والسلام فحبه هو الذى جاء بنا .

س: فما قول فضيلتكم فى الحديث الذى معناه أن أحد الصحابة سأل رسول الله ﷺ، إذا كان صاحبى غائبًا وحضر أأعانقه فقال: لا، فقال: أأقبله قال: لا، فقال: أأصافحه قال: نعم .

جـ: هذا الحديث لا أعرفه، هناك حديث صحيح فى غزوة خيبر أن سيدنا جعفر الطيار أخا سيدنا على كرم الله وجهه ورضى الله عنهم أجمعين كان بالحبشة وجاء وصادف فتوح خيبر فالنبى ﷺ عانقه ثم قال بأيهما أفرح أزداد فرحًا بفتوح خيبر أم بمجىء جعفر ، فرفع سيدنا جعفر رجله من الفرح .

ولما نقل عن الإمام مالك أنه كره المعانقة وأجازها ابن عيينة قال

---

(٧٤) سورة الإسراء : آية ٨١ .

سيدى أحمد زروق رضى الله عنه : إن ابن عيينة يعمل بالحديث أن النبى ﷺ عانق سيدنا جعفرًا رضى الله عنه .

س : هل هناك أحاديث عن تقبيل اليد ؟

جـ: نعم ورد حديث أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فوضع النبى ﷺ يده فى يده فوجدها خشنة فسأله عن سبب ذلك فأخبره أن ذلك من العمل فقبل ﷺ يده وقال : هذه يد من أهل الجنة (لأنها يد عاملة فيها أثر العمل) وفى كتاب الأدب المفرد للبخارى قال : «باب تقبيل اليد » وأتى بالأحاديث «باب تقبيل الرِّجل» وأتى بالأحاديث ، ومن أرادها فليحضر لندله عليها .

س : سؤال حول ضرب اليهود للعرب فى لبنان ولماذا سلطوا عليهم؟

جـ: سلطوا عليهم بسبب فسق بعضهم وأن أحدهم يسب الدين ورب الدين ، كما أن لبنان أغلب سكانها نصارى .

س : ربنا سبحانه وتعالى يقول : ﴿ما يبدل القول لدىَّ﴾ فكيف ينصر اليهود على المسلمين ؟

جـ: لم ينتصروا وقد رأى بعضهم فى المنام قائلاً يقول : قوموا أيها اليهود فقاتلوا اليهود ، ألم تسمع الحديث الذى يقول : «لا تُسَلِّمُواْ على يهود أمتى ! قالوا يا رسول الله : ومَن يهود أمتك ؟ قال : الذين يتركون صلاة العصر مع الجماعة »(٧٥).

(٧٥) ذكره العجلونى فى كشف الخفا .

فالمسلمون الذين يضربون الآن أغلبهم لا يذهب إلى المساجد فهم يهود هذه الأمة .

س : كيف تتفوق الأمم الكافرة الملحدة وتتأخر الأمم المسلمة ؟

جـ : ألم يقل الله تعالى : ﴿لا يغرنك تقلُّب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ (٧٦) .

ألم يقل الله تعالى ذلك ؟

فلا تغترّبهم وإن تقلبوا في طائرات أو غيرها ! لأن متاع الدنيا قليل ، وهم صائرون إلى جهنم .

س : هل هناك نافلة ركعتين قبل صلاة المغرب ؟

جـ : لا سنة قبل المغرب عند الإمام مالك ؛ لأنه لم يأخذ بحديث : «صلوا قبل المغرب ركعتين» ثم قال : «لمن شاء» .

س : لو رجل كان يصلي مع صلاة الظهر ، صلاة ظهر فائتة عليه ، فهل عليه صلاة نافلة ؟

جـ : قال العلماء من كانت عليه فائتة فلا نافلة له ، عليه أولاً أن يقضي الدين الذي عليه .

ماذا جرى للناس ؟ الربا ظاهر ، والخمر ، والزنا ، وعرى النساء منتشر ، وقد سكتوا عن ذلك كله ، ولم يبق أمامهم إلا الطواف حول المقام ! زيارة المقام ، قراءة سورة الكهف . كلام الله !

---

(٧٦) سورة آل عمران : آيتا ١٩٦ ، ١٩٧ .

ما الذى يفيدكم من الجدال الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع !!

ـ صلُّوا على النبى، واقرأوا الفاتحة بنية الهداية للأمة، اللهم اهد الأمة الإسلامية وألِّف بين قلوبهم واهدهم ـ آمين .

س : أين دفن الإمام على ؟

جـ: فى مكان اسمه النجف بالعراق، وله مقام عظيم يُزَار هناك وله مقام عظيم، رضى الله عن سيدنا على !

يلقاك بسَّامًا إذا * لا قيته وله احترامْ

ربَّاه النبى ـ ﷺ ـ فكانت أفعاله تشبه أفعاله، واتصف رضى الله عنه ـ بصفات النبى ـ ﷺ ـ، فكان رءوفًا رحيمًا بالمؤمنين، وكان دائمًا ـ يُدخِل السرور عليهم . .

س : هل تركت السيدة زينب ذرية من بعدها ؟

جـ: سمعت الشيخ السمالوطى ـ رحمة الله عليه ـ يقول : إن السيدة زينب رضى الله عنه ـ تزوجها السيد عبد الله بن جعفر الطيار، وأنجب منها ذرية يُسمَّوْن الجعافرة، وعاشوا فى بلاد معروفة، وهذا من زمن بعيد.

وأهل الصعيد يقولون إن الجعافرة الذين يعيشون فى الصعيد هم أولاد سيدنا جعفر الصادق، وهم يتفرعون من نسل الأمير (حمد) ولهم دفاتر يحفظون بها هذه النسبة، والله أعلم بذلك . .

وقد رأيت رؤيا عظيمة هنا فى الأزهر : رأيتُ النبىَّ ﷺ والخلفاء الأربعة، وعندما جئتُ لكى أُسلِّم على النبى ﷺ قبلت يده، فاشتكانى

الصديق رضى الله عنه إلى النبى ﷺ قائلاً : هذا يستعمل النشوق - وكنت فعلاً أستعين به على السهر لأجل مذاكرة العلم، فرأيت النبى ﷺ يضع يده على أنفه ويقول: وأنا ما تنشقت أبدًا، إنه مُضِرٌّ بالبصر[1] . .

(١) تكملة الرؤيا ص ٢٣٧، ٢٣٨ .

الدرس الخامس والثلاثون
الدعاء عند قبور الصالحين

الدعاء عند قبور الصالحين مستجاب لأنهم فى روضات من الجنات، وقف النبى ﷺ عندهم وبشرهم فنحن إذا زرنا قبور الصالحين، وسلمنا عليهم نكون مقتدين بفعل النبى - ﷺ - حيث أمره سيدنا جبريل أن يذهب إلى البقيع ويزور أهله، فالزيارة إذن: أمر إلهى وسنة نبوية . .

ويا مَنْ ترى من بعض الزائرين أفعالاً مخالفة للشرع أعرض عنهم، وزر زيارة شرعية، تعالَ وزر أهل البيت وسلِّم عليهم كما سلم عليهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين والعلماء العاملون وسلم وزر زيارة شرعية ولك الثواب، وقل عند الزيارة:

«السلام عليك يا سيدنا الحسين . . السلام عليك يا ابن بنت رسول الله . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

هل ترى فى هذا مخالفة؟

ادع عند الزيارة: «اللهم ارض عنهم وارض عنَّا بهم».

هل فى هذا مخالفة؟ هل فى هذا شرك أو كفر؟ لا . بل فيه رحمات وبركات . .

لكن ماذا نفعل مع أهل الإنكار؟! فكما قال الشاعر:

* إنَّ الطيورَ على أشكالها تقعُ *

ربنا يحفظنا ويحفظكم من هذا المرض . .

بعض الناس يغترّ ويعتقد فى نفسه أنه من أولياء الله الكبار ، ولا يعتقد الخير فى أحد أبدًا ، وكأنه يقول : يا أرض ما عليك إلا أنا .

نقول له : لماذا هذا الغرور ؟ وماذا فعلت ؟ لا شىء . ألم تسمع قول النبى عليه الصلاة والسلام :

«أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له» (١) .

كلما ازداد قربُ العبد من ربه كلما اشتدَّ خوفه من ربه فقل لهؤلاء المغرورين : خافوا من الله ، واخضعوا لله ، ودعكم من التكبُّر والعجرفة . .

ومن العجيب أنك إذا ذكرت أمام بعض المنكرين سيرة سيدنا الحسين ــ رضى الله عنه ـ تكبر وغضب وأشاح ويقول لك : هو عبد مثلك ، اعبد ربك تكن مثله أو أحسن منه ، وكذلك إذا ذكر عنده السيد البدوى رضى الله عنه . . يقول لك بإنكار : مَن هو السيد البدوى؟! اعرفوهم بصفاتهم تجد وجه مَن يقول ذلك عليه غبرة . النبى ـ ﷺ ـ كان يزور شهداء بدر كل عام مرة ، وكان يزور شهداء أُحُد كل عام مرة ، وزار أهل البقيع مرَّات كثيرة . .

إذن : زيارة الصالحين سنة يا أخى ، كما أن زيارة مقابر المؤمنين

---

(١) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه .

سنة، فلماذا إذن تُكَفِّرُونَ المسلمين بفعل السنة ؟! لماذا ؟ الله يهديكم، إذا لم تزوروا سيدنا الحسين فجده ﷺ يزوره، وهو يساوى ملايين الملايين.

وسيدنا الحسين ــ رضى الله عنه ـ يزوره الملايين، وهو فى غِنًى عن زيارتكم، وكما أنكم لا تريدون المجىء إليه فهو أيضًا لا يريدكم . . وكما تكرهونه كذلك هو يكرهكم . .

والمحب لأهل البيت ــ رضى الله عنهم ـ يحب أحبابَهم وزوَّارَهم ويكره مَن فى قلبه شىءٌ من بُغْضهم . .

هذا سرٌّ ربَّانىّ . . سرٌّ سارٍ من الله، قلبُ المحب دائمًا يعرف المُحبِّين للنبى وأهل بيته من المبغضين . .

فإن للبغض رائحةً كرائحة الجِيَف المنتة ــ عافانا الله وإياكم ـ ومَنْ أحب أهل البيت وجاورهم سعد بهم، فمن جاور السعيد يسعد، ومن يبيع المسك تَفُوحُ رائحته عليه . .

وهؤلاء أهل بيت النبوة رضى الله عنهم، وبدافع المحبة نحتفل بالمولد فنجمع الناس، ونطعم الطعام شكرًا على هذه النعمة، ماذا فى ذلك ؟! ونقرأ قصة المولد النبوى أنه ﷺ ولد فى شهر ربيع الأول وظهرت أنواره ومعجزاته . . فهل فى هذا شىءٌ من الشرك ؟!

ربنا يقول: ﴿وافعلوا الخير﴾[٢] وهذا خير، ويقول: ﴿فبذلك فليفرحوا﴾[٣]. أى: بالله ورسوله . .

---

(٢) سورة الحج: آية (٧٧).

أى إنسان يفرح بمولد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ له ثواب هذا الفرح.

فاللهم لك الحمد على هذا الحب . . اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ـ اللهم صل عليك يا رسول الله ماذا يريد هؤلاء ؟! يريدون أن يكونوا أولياء بالقوة، يريدون أن يكونوا مثل سيدنا الحسين بالقوة، لن تبلغوا غبارًا فى عينيه، والقيامة لها علامات ومن علاماتها خراب الأزهر، وخراب مساجد أهل البيت.

اللهم عافنا من هذا ـ لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا كان ربنا نوَّرَ لَهُ الدنيا فى ليلةِ مولدِهِ، فماذا على من أضاء الأنوارَ فى بيته ليلة مولده الشريف؟!

إذا ثبت فى الحديث أن كثيرًا من المخلوقات هتفت ليلة مولده الشريف ـ فلماذا لا نهتف بقصائد الحب لرسول الله ـ ﷺ ـ ؟!

كيف لا ؟ وهو رحمة للعالمين: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(٤).

والعالمون: السموات والأرضون وما فيهما حتى الكفار . . رُحِمُوا به ـ ﷺ ـ من عذاب الدنيا، ومن آمن به من الكفار واليهود والنصارى فقد أدركته الرحمة المحمدية.

فالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ رحمة، والقرآن الذى نزل عليه

---

(٤) سورة الأنبياء: آية (١٠٧).

رحمة : ﴿وننزِّلُ من القرآن ما هـو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[٥] . والذى أرسل النبى ـ ﷺ ـ وأنزل القرآن اسمه «الرحمن الرحيم» الـرحمن الرحيم أرسل سيـدنا محمدًا رحمـة ، وأنزل القرآن رحمـة . . فلا تضيع أمـة فى وسط هذه الـرحمات ، الإله رحمن رحيم ، والرسـول ﷺ رحمة ، والقرآن رحمة عظيمة لا يتفلت منها إلا شقى ! فما أعظم هذه الرحمات ! ! رحمة الـرحمن سبحـانـه ! ، رحمـة النبىِّ ـ عليـه الصـلاة والسلام ـ ، رحمـة القرآن . . فلا يتخلف عن هذه الرحمة إلا شقىٌّ . .

وقد وصفه ربه بقوله : ﴿بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ﴾[٦] . جعله الله رءوفًا بالمؤمنين ، وجعله الله رحيمًا بالمؤمنين ، وجعله الله شفيعًا للمؤمنين يوم القيامة . .

قال الله تعالى فى سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ :

﴿وجيهًا فى الدنيا والآخرة﴾[٧] . أى ذوجاه عند الله فى الـدنيا والآخرة ونبيُّنا ـ عليـه الصلاة والسلام ـ وجيهٌ فـى الدنيا والآخرة ، له جـاه عند ربه فى الدنيا والآخـرة ، ولولا جاهه ما قَبِل الله أمته ، فالأمـة الإسلامية يقبلها الله بجاه النبى عليه الصلاة والسلام . . وبتعليمه وبإرشاداته وعلى منهج سنته ـ عليه الصلاة والسلام ـ نعبد الله تعالى ، فنُصَلِّى ونُعَمِّرُ المساجد ، اقتداءً به ـ ﷺ ـ ، فهو السبب وهو الإمام ، وهو المبيّن للناس .

والمحبة شىء عظيم ، ولكـى نتبين عظمة المحبة نستمع إلى قـوله ـ

---

(٥) سورة الإسراء : آية (٨٢) .

(٦) سورة التوبة : آية (١٢٨) .

(٧) سورة آل عمران : آية (٤٥) .

عليه الصلاة والسلام ـ: «من أحبَّ هذيْن ــ وأشار إلى حسن وحسين ـ وأباهما وأمَّهما كان معى فى درجتى يوم القيامة»(٨).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

«ألا لا إيمان لمن لا محبة له».

الخطأ جاء للمنكر لما رأى نفسه مثل سيدنا الحسين، بل ظن أنه خيرٌ منه، وكأنه لا يعترف بولايته، ولا يزوره، لأنه مغتر بنفسه مثل الديك الرومى عندما انتفش وتشبه بالأسد فأكله الأسد من رأسه.

نسأل الله السلامة والعافية..

أهل البيت هم مصدر النور والخير لنا ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ـ هناك أناس يتكلمون كلامًا ــ نسأل الله العافية كلامًا سيئًا ربنا يصرف كلامهم عنا وعن أحبائنا، وكله كلام كذب، ليس له أساس من الصحة حتى زيارة النبى ﷺ يتكلمون عليها ولا يريدون أحدًا يزوره ﷺ.

وإذا زرت سيدنا الحسين وقلت: السلام عليكم يا سيدنا الحسين يقول لك: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

هو ابن النبى، هذا مقامه وهذه درجته، انظر له وانظر لنفسك.

هو ابن النبى، فى حياته وبعد مماته بمقامه، وبدرجته عند الله.

سلم عليه وقل له: السلام عليك يا ابن رسول الله.

أسأل الله لى ولكم الرضوان، زيارة جميلة تفرح بها الروح.

---

(٨) رواه الترمذى وأحمد.

زيارة أهل البيت تجلب السرور والفرح، أرواح المحبين حساسة شفَّافة ذوَّاقة، إذا دخلَتْ مقامات أهل البيت أحسَّت بالأرواح الطاهرة الطيبة الموجودة فى المقام، والقلب يتنوَّر بأنوارهم، والروح تنتعش !

قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه :

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميِّتٍ * لعادت إليه الروح وانتعش الجسمُ

أى خمرة الصالحين (لو نضحواْ منها) أى: رشواْ على القبر، (ثرى): تراب (قبر ميت لعادت إليه الروح وانتعش الجسم) الخمرة هى المحبة: تحب الله حبًا دائمًا. يحدث هذا لمن أحب النبى ـ ﷺ ـ وأهل بيت النبوة ـ رضى الله عنهم ـ . .

«صاحب المحبة طاير . . صاحب المحبة ما ترك ولا حبة»

(روى): أن شيخًا همَّ بالسفر إلى الحج مع مريديه فحضروا كلهم وتأخر مريد منهم، وتحركت الباخرة ثم اضطرتها أشياء للرجوع إلى الشاطىء، فلما رأى الشيخ مريدَه المحب فى انتظارهم قال: صاحب المحبة ما ترك ولا حبة . . صاحب المحبة طائِر . .

يعنى: أنك لما أحببتنى أكثر من إخوانك كلهم، حبك الزائد لى جرَّ الباخرة، وأرجعها لكى تركب . .

الأولياء لهم كرامات من الله عجيبة، وقد غلط من غلط؛ وأنكر المنكر لظنه أن الكرامة من فعل الولىِّ . . وهذا خطأ كبير فالكرامة فعلُ الله يجريه على يد ظاهر الصلاح، فالذى ينكر الكرامة ينكر على الله، ومن ينكر على قدرة الله يكفر . .

وهذا هو صاحب سليمان ـ عليه السلام ـ الذى عنده علم الكتاب قال لسُليمان ـ عليه السلام ـ لما طلب عرش بلقيس : ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك﴾ (١٠) .

أتى بالعرش الذى فيه ثمانون غرفة من اليمن إلى الشام ـ بينهما مسيرة شهر ـ جاء به فى لحظة واحدة ـ مَن الذى أتى بالعرش ؟ «آصف» أم الله؟

بل الله كرامةً لآصف ، أما قول آصف ﴿أنا آتيك به﴾ فقد نسب الفعل لنفسه على سبيل المجاز الذى يشيع فى لغة العرب ـ كما تقول : أنا أعطيك كذا . . والعبد لا يعطى وإنما المعطى هو الله ، يقول الرجل زوجتى أتت لى بولد ، والزوجة لا تأتى به ، بل هو من عند الله ، سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ لم يقل له : شكرًا لك يا آصف : ﴿فلما رآه مستقرًا عنده قال هذا من فضل ربى﴾(١١) .

ردَّ الكرامة إلى الله ، وكأنه قال : ربى هو الذى عمل هذا ـ أجرى الكرامة على يد آصف ـ . .

فالأولياء كالآلة يظهر الله عليهم الكرامات ، والذى ينكر على الأولياء فهو فى الحقيقة ينكر على الله ، وقدرة الله تظهر على يد الولى .

ولله فى ملكه أسرار عظيمة ، يظهرها على يد أوليائه ، فتظهر خوارق العادات على أيدى الأنبياء فتسمى «معجزات» ، وتظهر خوارق العادات

---

(١٠) سورة النمل : آية (٤٠) .

(١١) سورة النمل : آية (٤٠) .

على أيدى الأولياء فتسمى «كرامات» وفى الحالين : الفعَّال هو الله . .

قال تعالى مخاطبًا نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

﴿وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى﴾(١٢) .

فى غزوة بدر أخذ النبى ـ ﷺ ـ قبضة من تراب ورماها تجاه الأعداء وقال : شاهت الوجوه .

فذهب أثرها للجيش كله ماتخلف واحد منهم حيث دخلت فى عيونهم معجزة من الله . .

وعقولنا تتساءل : كيف تذهب قبضة من تراب فتدخل فى عيون تسعمائة فرد ؟

فجاء البيان بأن هذا من الله : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ . نفى وإثبات : نفى للتأثير مع إثبات ظاهر الفعل . .

فهذه معجزة ظهرت على يد النبى ـ ﷺ ـ والخالق هو الله ، فالمعجزة يخلقها الله ، والكرامة يخلقها الله . . فلا تخلط ولا تنكر:

(وأثبتنْ للأوليا الكرامهْ * ومَنْ نفاها فَانْبِذَنْ كلامَهْ)

لأن منكر الكرامة مغالط ، فكل الكرامات والمعجزات من الله . . والله يريد أن يبين للناس قدرته فى إجراء الكون على العادة وعلى خرق العادة .

---

(١٢) سورة الأنفال : آية (١٧) .

والله تعالى أعطى القرآن لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لكي يبين للناس كلامه وأحكامه . .

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتُبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم﴾(١٣).

فهو ﷺ ـ المنزَّل عليه القرآن . . لا نحن؛ لأننا لا نستحق هذه الدرجة، وقد تمنَّى بعض الكفار ذلك كما حكت الآية : ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفًا منشرة﴾(١٤).

الجواب : لا . الصحف والآيات تنزل على الخواص من الأنبياء والمرسلين، والمعجزات للرسل فقط، والكرامات للأولياء فقط .

فلا يستطيع العبد أن يعمل معجزة أو كرامة إلا بإذن الله .

فمثلاً : الأولياء يشمُّون رائحة مولانا الإمام الحسين من مكان بعيد، وقد يُمَكَّنُ بعض الأولياء من توصيل هذا لأحبابه وجلسائه :

النور من هذا المقام يلوح * والمسك من هذا المقام يفوحُ
النور من عند الحسين يلوح * والمسك من طيب الحسين يفوحُ
يرتاح قلبى إن دخلت مقامه * وعليه عينى إن نأيتُ تنوحُ

الله !! لأجل الله نحب سيدنا الحسين، وبمحبة سيدنا رسول الله نحب سيدنا الحسين، فارْضَ علينا بهم يا رب . .

---

(١٣) سورة النحل : آية (٤٤) .

(١٤) سورة المدثر : آية (٥٢) .

«عن أبى موسى قال: قيل للنبى ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، قال: المرء مع من أحب»(١٥).

جاء رجل ثائر الرأس نسمع صوته ولا نفقه قوله، جاء يهدر كالجمل أين رسول الله، فدل عليه فقال: يا محمد ـ وأطال صوته ـ، فأجابه الرسول ﷺ بنحو قوله، ولم يعجب الصحابة علو صوته أمام النبى ﷺ، ثم قال الرجل: (الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم) يعنى رجل يحب أناسًا طيبين صالحين وماتوا قبله فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت» ففرح الصحابة فرحًا عظيمًا فى ذلك اليوم من هذه الكلمة.

وقد فرح الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فرحًا عظيمًا فى هذا اليوم لما بُشِّروا به..

وفى صحيح مسلم يروى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يقول بعد فراغه من رواية الحديث:

«وأنا أُحِبُّ النبى ـ ﷺ ـ وأبا بكر وعمر، وأسأل الله أن يدخلنى الجنة معهم، وإن لم أعمل مثل عملهم».

«الرجل يحب القوم ولمَّا يلحق بهم»: أى: جاء من بعدهم ولم يدركهم فى زمانهم، أو لم يلحق بهم فى اجتهادهم..

«أنت مع مَنْ أحببت»: أى أنت مع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أنت مع الصحابة، أنت مع أهل البيت.. لماذا؟ لأنك تحبهم!..

---

(١٥) رواه البخارى ومسلم.

نحن لم نحضر زمن سيدنا الحسين ــ رضى الله عنه ـ ولكنا نحبُّه حبًّا شديدًا فيقال لنا: «أنت مع مَنْ أحببت» صدق رسول الله فمادمت تحبهم أنت معهم فافرح وأبشر. والذى لا يحبهم بعيد عنهم ـ نعوذ بالله من البعد.

فيا أخانا: ألزمْ قلبك محبتهم، ولا تحب غيرهم.

حذار أن تحب غيرهم أو أن تشغلك بنت.. لأن الحب معنى سامٍ عند الله ولكن: ناس تستعمله فى الذهب.. وناس تستعمله فى النحاس:

هُمُ ذَهَبٌ وَغَيْرُهُمُ نُحَاسٌ * بطُهْرِ اللهِ صَارُواْ طَاهِرِينَا

سُئِل ابن مسعود رضى الله عنه: ما علامة حب الله، وما علامة حب رسول الله ﷺ؟

فقال: علامة حب الله: حب القرآن، وعلامة حب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حب السنة..

فإذا رأيت قلبك يحب القرآن تلاوةً وسماعًا، فهذا دليل على أنك تحب الله، وإذا رأيت قلبك يحب الأحاديث النبوية فهذا دليل على أنك تحب النبى عليه الصلاة والسلام..

ثم ما موقف المُحِب؟ الحب يضاعف فإذا أحببت الله مثل «القمحة» أحبك مثل الجبل، وإذا أحببت النبى ـ ﷺ ـ مثل القمحة أحبك مثل الجبل، الحب مضاعف: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾(١٦).

وهذه هى الدرجات العُلَى.. المحبة أعلى درجة، ولها علامات،

---

(١٦) سورة البقرة: آية (٢٦١).

فإذا رأيت قلبك يحب القرآن يسمع ويقرأ فاعلم أنك تحب الله، وحبك هذا لا يساوى شيئًا لأن الله قد سبقت محبَّتُهُ لك، فلو لم يكن أحبَّك هو ما أحببته ولا أسلمت ولا آمنت، قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾(١٧). فى الأزل سبق لك حب الله فأحببته..

والله - سبحانه - محيط بخلقه جميعًا، يعرف أحبابه فردًا فردًا يعرفك من وسط الملايين: ﴿ألاَ يعلم مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير﴾(١٨).

صنعك وصوَّرك: ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾(١٩).

هو عالم بك قبل أن تُخْلَق وأنت فى صلب أبيك وبطن أمك.. وقبل ذلك فى عالم الأزل ناداك وعرفته وأجبته: ﴿ألستُ بربكم قالوا بلى﴾(٢٠).

جميع الأرواح سمعتْ وأجابتْ، وهذا حق، قصَّه القرآن فى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربُّكَ من بنى آدم من ظهورهم ذرِّيَّتَهُمْ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾.

فكل إنسان خاطبه الله فى الأزل، وسمع الخطاب وأجاب، قال له ربه: اعترف بأننى ربك. فقال: نعم أنت ربى. كل الأرواح المخلوقة من لدن آدم إلى يوم القيامة سمعت: (ألستُ بربكم) وأجابت (بَلَى) أى: أنت ربنا.

---

(١٧) سورة المائدة: آية (٥٤).

(١٨) سورة الملك: آية (١٤).

(١٩) سورة آل عمران: آية (٦).

(٢٠) سورة الأعراف: آية (١٧٢).

﴿أن تقولواْ يوم القيامة إنَّا كنَّا عن هذا غافلين﴾.

﴿إنَّ الله يدافع عن الذين آمنواْ﴾[٢١] ضد شياطين الجن وشياطين الإنس يدفعهم الله عنك إذا كنت معه، وينصرك عليهم..

﴿إنَّ الله هو الرزَّاق ذو القوَّة المتين﴾[٢٢].

المتين: القوى. ﴿إن الله هو الرزَّاق﴾ الرزَّاق أى: يرزق الكثير جدًا، ويشمل رزقه كُلَّ مخلوق، فإنه سبحانه ـ لا ينسى أحدًا أبدًا.. فكل أحد له رزق معلوم.

سبحان مَنْ خلق الخلق وأحصاهم عددًا. سبحان مَن قسم الأرزاق ولم يَنْس أحدًا! سبحانه!! قولوا سبحان الله!

ابنك لما كان فى بطن أمه هل كنت تحضر له الغذاء؟ كلا! لو أنصفت لتركته بعد الولادة يتولاه مولاه.. الذى تكفل برزقه فى بطن أمه يتكفل برزقه فى الدنيا.. فلماذا تحمل الهمّ إذن.. تَحْمِلُ هَمَّ الرزق وهذا ممنوع شرعًا؛ لأنه مناقض للإيمان، إذ الرازق هو الله، وتخاف من الخلق مع أن المؤمن يجب ألاَّ يخاف إلا من الله، أما الرزق فهو موجود.

يا أخانا: علِّم امرأتك أحكام الشرع؛ لأنها لو اهتدت تكون من نصيبك؛ لأن المرأة إذا اهتدت تكون من حظ الرجل فى الجنة، وإذا ضلَّتْ تكون من نحسه..

---

(٢١) سورة الحج: آية (٣٨).

(٢٢) سورة الذاريات: آية (٥٨).

فعلِّمْ امرأتك لعل الله يكتب لها الهداية، فهى رفيقتك فى الدنيا والآخرة.

ألا تعرفون أن المرأة فى الجنة مع الرجل؟ ـ التى معك فى السكن الآن سوف تكون معك فى الجنة إن شاء الله ـ، فعلمها الأمور الشرعية حتى تكون رفيقتك فى الجنة..

س: لماذا خصَّ (الفَلَق) من بين المخلوقات فى قوله تعالى: ﴿قل أعوذ بربِّ الفلق﴾؟

ج: إذا كان عندك عشرة «دكاكين» وقالوا: هذه «دكان فلان» هل معنى ذلك أنك تملك دكانًا واحدًا فقط..

وإذا كان عندك سبعة أولاد.. وقالوا: هذا علىّ بن فلان هل المعنى: أنه ليس لديك غيره..

إذن: المعنى ربّ الفلق وغير الفلق.

الفلق: الصبح أى: رب الصبح.

ولِمَ اقتصر على الفلق فقط؟

قالوا: لأنَّ الصبح عظيم. الليل والنهار عظيمان فجاء بهما معًا (الفلق) و (غاسق)..

ومن غير المناسب أن يقول: ربّ الصبح وربّ العصافير..

أين العصافير من الصبح؟

فالفلق: معناه الصبح أى: رب الصبح وما حواه الصبح رب الصباح وكل من أصبح، كما أنه رب الليل ورب كل ما سكن فيه..

﴿وله ما سكن فى الليل والنهار﴾[٢٣].

س: هل البسملة آية من القرآن؟ وما حكم البدء بها فى الصلاة؟

جـ: البسملة التى فى سورة النمل آية عند الجميع ﴿قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[٢٤].

وعند الإمام الشافعى: البسملة آية فى سورة الفاتحة أيضًا.

وعند الإمام مالك: البسملة آية فى سورة النمل فقط، أما فى باقى السور فلا..

فعند الإمام الشافعى تقول: الله أكبر.. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الحمد لله رب العالمين﴾..

وعند الإمام مالك تقول: الله أكبر ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

فعند الإمام مالك: البسملة ليست واجبة لا فى الفاتحة ولا فى السورة، وعند الإمام الشافعى: البسملة واجبة فى الفاتحة، سنة فى السورة.

س: ما معنى كلمة «مدد»؟

جـ: العاقل إذا تكلم بكلمة فعليه أن يعرف معناها، فأنا أسألك: إذا كنت جوعان، وقلت لأمك: «مدد» فماذا تعنى؟ المعنى: هاتِ طعامًا..

---

(٢٣) سورة الأنعام: آية (١٣).

(٢٤) سورة النمل: الآيتان: ٢٩، ٣٠.

إذن : المدد أى : امددنى مما أنت فيه ، أو مما معك .

رجل يأكل بلحًا ، فإذا قلت له : «مدد» أى : مدنى بتمرة .

رجل يشرب ماءً . . فإذا قلت له : «مدد» أى : مدنى بكوب .

أفهمت يا مَنْ تسأل ؟!

وولىّ الله فى ذكر لله ودعاء . . فإذا قلت له : « مدد » أى : مدنى بدعوة . .

سيدى إبراهيم الدسوقى ــ رضى الله عنه ـ يذكر ربه فى روضته ليلاً ونهارًا . . فإذا قلت له : «مدد» يا سيدى إبراهيم معناه : مدنى بدعوة . .

سيدى إبراهيم ليس لديه طعام ولا شراب . . بل لديه دعوات مستجابة فقط ـ أفهمت يا مَنْ تسأل ؟!

س : ما الفرق بين الإرادة والأمر المتعلقين بذات الله سبحانه ؟

جـ: فى صفات الله ومتعلقاتها هنالك إرادة ، وأمر ، وقدرة . .

قال الشيخ اللقانى :

وقدرةٌ إرادةٌ وغايرتْ * أمرًا وعلمًا والرضا كما ثَبتْ

فلله قدرة ، وإرادة ، وعلم ، ورضا ، وغضب . . ــ . وكل له متعلق . .

ـ فربنا ــ سبحانه ـ يريد شيئًا ولا يأمر به مثل : كفر أبى جهل أراد له الكفر ولم يأمر به . .

ـ ويريد الشيء ويأمر به : كإيمان الصِّدِّيق . . أراد له الإيمان وأمره به . .

ـ لا يريد ولا يأمر : ككفر المسلمين : لم يرد لهم الكفر ولم يأمرهم به . .

ـ لا يريد ويأمر : كإيمان أبى جهل . . لم يرد له الإيمان وأمره به .

هذه قسمة رباعية ما بين القدرة والإرادة والعلم والأمر . .

س : رجل نذر شيئًا للسيد البدوى . . فهل يجوز له أن يذهب به إلى غيره ؟

جـ : ليس له ذلك ، بل عليه أن يذهب بهذا النذر ويتصدق به على الخدم والفقراء الموجودين عند سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ـ ، وإهداء الثواب له ـ رضى الله عنه ـ فالطعام للفقراء ، والثواب من الله للسيد البدوى . .

س : ما معنى «الغَيْن» فى قوله عليه الصلاة والسلام :

«إنه ليغان على قلبى ، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»[٢٥] .

جـ : «الغَيْن» فى حقنا نحن : غَيْن ظلمات ، نشتغل بالمعصية عن الطاعة . .

لكن ـ الغين فى حق النبى ـ ﷺ ـ اشتغاله بنور عن نور ، وبطاعة عن طاعة . .

---

(٢٥) رواه مسلم .

وقد تشرفت الأرض بمجىء النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعرج به ـ سبحانه ـ إلى السماوات السبع ؛ لتتشرف السمٰوات به ـ ﷺ ـ كما تشرفت به الأرض . .

فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ المحبوب إلى الإنس ، وإلى الجنّ ، وإلى السمٰوات ، وإلى الأرضين ، وإلى الأشجار ، وإلى الأحجار ، وإلى الوحوش فى القفار . . فقد ألقى الله محبته ـ ﷺ ـ فى قلوب جميع العوالم ماعدا الكفار . . لماذا ؟

لأن محبته سعادة ، ولو شاء الله لهم السعادة لألقى محبته ـ ﷺ ـ فى قلوبهم . .

ومن عجائب الزمن أن يظهر أناس بعد الأئمة الأربعة بألف وثلثمائة سنة ليقولوا النبى بشر مثلنا ، ولا داعى للاحتفال بمولده . .

هؤلاء الجاحدون اختلف العلماء فى الحكم عليهم :

فمنهم من جعلهم عُصَاةً مؤمنين ، ومنهم مَنْ كَفَّرَهُمْ .

وحجة الفريق الثانى : أن الإنسان إذا انتقص من قدر النبى ـ ﷺ ـ أو ازدراه أو جعله مساويًا للناس فقد كفر . .

ومن جهل الجاحدين : أنهم يستدلون بآية قرآنية فى غير محلها ، ويقفون عند ظاهر قوله تعالى على لسان نبيه : ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم﴾(٢٦) . .

---

(٢٦) سورة فصلت : آية (٦) .

فيامن تقف عند ظاهر قوله تعالى: ﴿بشر مثلكم﴾ هل أرسل الله إليك سيدنا جبريل ؟ هل أنت رسول مثله ؟ هل عرج الله بك إلى السمٰوات السبع كما عرج به ؟

من هنا قرر العلماء أنه مَن اعتقد الآية على ظاهرها كفر . . ومن قال: نحن مثل النبى كفر ؛ لأن هذا رسول قد اختاره الله فى الأزل ونبأه . . فهل أنت نبى ؟!

ومما يقال على ألسنة هؤلاء المنكرين : اعبد ربك تصبح مثل سيدنا الحسين !!

قائل هذا الكلام كذَّابٌ أشر . . هل العبادة تجعل أمَّك الزهراء ؟ هل العبادة تجعل أباك سيدنا عليًّا ؟ هل العبادة تجعل جدك سيدنا النبى ﷺ ؟!

فى كل زمن سفاهة ، وهذه سفاهة زماننا ، سفهاء زماننا يزعمون مساواتهم للنبى ـ ﷺ ـ . .

ولهم علامات . . يقول عليه الصلاة والسلام ـ :

«يخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول الناس ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن لقيهم فليقتلهم ، فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم»(٢٧).

---

(٢٧) رواه البخارى ومسلم وابن ماجة وغيرهم .

وعلة خروجهم من الدين أنهم يُكَفِّرُونَ معظمَ المسلمين، وحكموا على الأمة بالكفر، فكان الجزاء من جنس العمل، فكما أنهم كفَّرُوا الناس حُكِمَ عليهم بالكفر، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**» وكما أن الإنكار له علامات، فالإيمان له علامات:

من علاماته: حب الله، ومن علاماته: حب النبى ﷺ ومن علاماته: حب آل بيت النبى ﷺ، ومن علاماته: حب أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام.. قال عليه الصلاة والسلام: «**حب الأنصار إيمان وبغضهم كفر**»(٢٨).

وجعل حب أهل بيته من الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى تكون ذاتى أحب إليه من ذاته، وعترتى - أى قرابتى - أحب إليه من قرابته**»(٢٩).

قال الفرزدق رحمه الله لسيدنا على زين العابدين رضى الله عنه:

مِن معشرٍ حبهم دِينٌ وبُغْضهمُ * كفرٌ وهم للورى مأوى ومُعْتَصَمُ

القضية لدى هذا المنكر: أنه نظر فوجد الناس مجتمعين لدى الإمام الحسين فقال - حقدًا وحسدًا -: لِمَ هذا المجىء والاجتماع؟ ولو تدبر لعرف أن مجيئهم لابن النبى ﷺ، ولأدرك أنه مجرد حاسد..

بل تعدَّى حسده إلى أهل العلم من أهل البيت!

---

(٢٨) رواه البخارى ومسلم.

(٢٩) رواه البخارى وغيره.

يا هذا: لم تحسدهم على علمهم، ربهم أعطاهم ومَنَّ عليهم من الأزل فقال:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾[٣٠].

فعاش أهل البيت فى الحياة مطهرين مكرمين: كان سيدنا الحسين فى مكة يلتف حوله أهلها وينظرون إليه ويفيدون منه؛ لأنه ابن النبى عليه الصلاة والسلام.

فهم فى الحياة هكذا.. وفى الممات هكذا، ويوم القيامة هكذا.. وفى الجنة أخبر جَدُّهم فقال عليه الصلاة والسلام: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[٣١].

والمؤمن العادى إذا دخل الجنة لا يُعْرَف فيها، لكن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة..

هذا مقام عالٍ! فكيف تكون مثلهم؟! كيف؟! ولتعلم أن المحبين الزائرين لأهل البيت إنما هم مُحِبّون لمن أحبهم الله، مُوَقِّرون لمن عظمهم الله، وهم منتشرون فى الشام واليمن والهند وأفغانستان، وبين أهل المشرق وأهل المغرب.. العالم كله يحب أهل البيت.

ثم إن المحبين الذين يزورون أهل البيت من قديم الزمان قبل أن يخلق أهل الإنكار بمئات السنين..

---

(٣٠) سورة الأحزاب: آية (٣٣).

(٣١) أخرجه الترمذى.

إذا احتفل الناس بمولد النبى ﷺ وفرحوا به فى مشارق الأرض ومغاربها قال لهم المنكرون: المولد بدعة . .

ليست البدعة فى الاحتفال بالمولد، ولكن البدعة هى وجودكم فى الدنيا، حيث ظننتم فى أمة النبى ﷺ الكفر والشرك والأمة ـ ولله الحمد ـ بريئة من ذلك كله . .

إن النور المحمدى أنار قلب الفلاحة، وملأه توحيدًا ومعرفة بربها .

فالعوام إذا دخلوا مقام سيدنا الحسين وزاروه لم يعتقدوا أنه إله، وإنما يزورونه ؛ لأن الله أحبه وكرَّمه . .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتانى جبريل . . . فقال: إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت ـ أى السيدة عائشة ـ: قلت كيف أقول لهم يا رسول الله، قال: قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»(٣٢) .

قال ابن الحاج المالكى :

«إنما دعا النبىُّ عليه الصلاة والسلام ربه عند قبُور الصَّالحين ؛ لأن الدعاء عند قبور الصالحين يُسْتَجَاب ؛ لأنهم فى رَوْضَات من الجنَّات . .

«اهـ»

---

(٣٢) رواه مسلم وابن ماجه .

الدرس السادس والثلاثون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[1] .

صدق الله العظيم

القرآن كله خيرات وبركات ، وأوامر ونواهٍ من الله ، وهذه من المعجزات النبوية والبركات المحمدية الباقية إلى يومنا هذا . . أن هذه الأمة المحمدية تسمع من ربها الأوامر والنواهى ، فإذا قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ، فقد نادى على كل مسلم ومسلمة لله ، فى مشارق الأرض ومغاربها وهذه المعجزة تبقى إلى يوم القيامة ببركة هذا النبى . . ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يفتح مسامع قلبه عند هذا النداء . ومَن المنادِى ؟ الله . ومَن المنادَىٰ عليهم؟ الذين آمنوا .

وهل هم الرجال فقط ؟ لا . بل الرجال والنساء . ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أى : من ذكر وأنثى ، فإذا نادى الحقّ العليم ، وهو ربّ العرش العظيم ورب السماوات السبع وما فيهن ، إذا نادى فنداؤه عظيم ، وإذا أمر فأمره عظيم ، وإذا نهى فنهيه عظيم .

---

(١) سورة الحج : آية ٧٧ .

وإذا تلوت القرآن فإن لك بكل حرف عشر حسنات بمجرد التلاوة وقبل أن تَعِى، وإذا سمعته تُرْحَمُ قبل أن تعمل به، وإذا فعلت ما أُمِرت به كان الجزاء عظيمًا؛ لأن الأمر عظيم، وإذا خالفت كان العذاب عظيمًا؛ لأن النهي عظيم، ﴿ولا تقربوا الزنا﴾[1] هذا نهى، نهى عظيم لأن مَن يخالفه يُعذَّب عذابًا عظيمًا، ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرَّم الله إلا بالحق﴾[2] هذا نهى عظيم؛ لأن مخالفته عليها عذاب عظيم.

فأوامر القرآن عظيمة، ونواهى القرآن عظيمة، وما الذى يتفرع عن هذا؟

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا﴾ أمر، إذا ركعت فحدِّث نفسك بأنك امتثلت أمرًا عظيمًا لعظيم ـ سبحانه وتعالى ـ فلابد أن تُثَاب ثوابًا عظيمًا إذا فعلت..

﴿ولا تقربوا الزنا﴾ لابد أن تتكلم مع نفسك لأنك نُهِيتَ نَهْيًا عظيمًا؛ لأنه من عظيم، فإذا خالفت فقد استوجبت العذاب العظيم..

والإنسان قد يحتار فى معرفة «المؤمن» فهل هو يا ترى من يشارِكُ المُصَلِّين فى حركاتهم وسكناتهم فحسب؟

لا. إنَّ الإيمان أعمق من ذلك، وهو لا يُرَى؛ لأن محله القلب، أين الإيمان؟ فى القلب، فما هو الإيمان إذن؟

الإيمان: تصديق بأن الله تعالى موجود، يسمع ويرى، تصديق بأن

---

(١) سورة الإسراء: آية ٣٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ٣٣.

القرآن كلام الله، أمَرَ فيه ونهى، فما دُمْتُ مؤمنًا حقًا فأنا مصدِّقٌ بأن هذا القرآن كلام الله :

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اركعوا﴾ [1] مَن المتكلم ؟ الله . ماذا يقول؟ (اركعوا) ويقولها لمَنْ ؟ للمؤمن، فابحث عن قلبك أولاً أيها المؤمن، وانظر إلى نفسك سَلْهَا : هل أنا داخل فى هذا النداء الإلهى أم لا ؟ إذن هل عندى إيمان ؟ نعم !

إن الإيمان كما عرفت هو التصديق بالقلب، وأنا مصدق بأن الله معى ويسمع ويرى، ومصدق بأن هذا القرآن كلامه ـ سبحانه ـ وفيه أمر ونهى . .

إذا وجدت فيك كل ذلك فأنت فى الصف الأول من المؤمنين ، وتستحق أن تأخذ «نيشانًا»!! ما هذا النيشان ؟ هل هو نيشان أفندينا؟ كَلاَّ، وإنما هو نيشان ربَّانىّ ، وما حقيقته ؟

هى دخولك فى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ، تدخل معهم إذا كان عندك إيمان، تكون من المخاطبين بالنداء الإلهى، من المُكرَّمِين من قِبَلِ الله عزَّ وجلّ . .

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نعم أنا منهم، عند ذلك يدخل هذا الكلام فى قلبك فيعرف شيئين :

أن الله موجود يَسْمَعُ وَيَرَى، وأن القرآن كلام الله، فعندما يؤمن القلب بهذيْن الأمريْن يدخل فى النداء :

---

(١) سورة الحج : آية ٧٧ .

يا عبدى : أنت مؤمن ؟ نعم يا رب ! هل تؤمن بأن هذا القرآن كلامى ؟ نعم يا رب!

إذن كن مع المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يا عبدى : هل سمعت كلامى ؟ نعم يا رب! فهل فهمته أم سمعته فقط ؟

لا يا ربِّ إنك تقول : ﴿بلسانٍ عربىٍّ مُبِين﴾ (١). وأنا سمعت وفهمت ؛ لأن القرآن بلسان عربى مبين .

وأنا رجل جئت من الهند لا أعرف شيئًا عن اللغة العربية ولكنى مؤمن ـ فماذا أصنع ؟ أنت تدخل معهم ، ويمكن لأى شخص أن يُتَرْجِم لك ، فالله ـ سبحانه ـ جعل للأعاجم مترجمين من العرب ، وما أيسر ترجمة معانى القرآن من اللغة العربية إلى غيرها من اللغات الأجنبية ، والله تعالى قد يَسَّر فهم القرآن للناس جميعًا ، للأعجمىّ والعربى ، فالقرآن ليس للعرب وحدهم . .

وبعض الناس يخلط فى التعبير ويقصر الإسلام على الأمة العربية ، وهذا ليس صحيحًا . هناك فقط : «الأمة الإسلامية» . تشمل كل المسلمين وليس العرب وحدهم ، وربنا ـ سبحانه وتعالى ـ لم يقل فى القرآن : يا عرب ! وإنما قال : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فتشمل الأمة المؤمنة ـ أمة سيدنا محمد ﷺ ـ العربى ، والأعجمى ، الأبيض والأسود ، لا فضل لعربىٍّ على عجمىٍّ إلا بالتقوى ، والكل مسلمون . .

---

(١) سورة الشعراء : آية ١٩٥ .

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يا أمَّةَ سيِّدنا محمد ﷺ نعم! يا عرب، يا أهل مكة، يا أهل المدينة، يا أهل المغرب، يا أهل تونس، يا أهل الجزائر، يا أهل السودان، يا أهل الهند، يا أهل باكستان، يا أهل إيران، يا أهل تشاد، يا كل من ينطق بـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أنتم جميعًا عند الله إخوة، ليس هناك فرق عندى بين العرب والعجم ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[1].

يعنى: العجمى، والهندى، والسندى، والحجازى، والسودانى كلهم جميعًا إخوة..

والآن جمعنا بين مصر والسودان، على أى طريق يا أخى؟ على طريقة القرآن، الذى آخى بين مصر والسودان هو القرآن، والذى فرق بينهما هو الاستعمار.

وعندما تتحد مصر والسودان، ويتعاون أهلها على البِرِّ والتقوى لا يوجد فرق بينهما، فيا أيها العرب، يا أيها المسلمون، تعاونوا على البِرِّ والتقوى يا مسلمين، فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أمر بالتعاون على البر والتقوى بين جميع الأمم الإسلامية، وهو سبحانه وتعالى قال: ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانًا﴾[2]. بهذا القرآن، وبهذا النبى عليه الصلاة والسلام..

وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فإذا قال السودانى: المصرى

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

أخى . فقد اتبع القرآن ، وإذا قالت المرأة السودانية : المرأة المصرية أختى . فقد امتثلت للقرآن . . هذا الذى نرجوه للمسلمين ، أن يقول الليبى : المصرى أخى ، وأن تقول المرأة الليبية : المصرية أختى ، هذا الذى نرجوه امتثالاً للقرآن الذى يدعو إلى الأخوة بين جميع المسلمين . . تزور أخاك المسلم وتضيفه أيًّا كان جنسُهُ ولونُهُ !

وهناك تطبيق عملى فى الحج ، وعلى جبل عرفات تجد الهندى والسندى ، والشامى ، واليمنى ، كل هؤلاء المسلمين يطوفون بالبيت سويًّا طوافًا واحدًا ، ويقفون موقفًا واحدًا ، لا أحد يقول : لِيَطُفِ العرب أولاً ، ثم بعد ذلك الهنود . كَلاَّ . كلهم يطوفون متجاورين .

وهذا يشبه يوم القيامة ، يكون الموقف واحدًا ، بلا تفرقة أو تمييز ، فيقال لرضوان : أدخل المسلمين الجنة ، ولا يقال له أدخل العرب أو العجم . فنسأل الله تعالى بجاه هذا النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنده أن يحقق للعرب ما قاله فى الكتاب المبين ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وهو الأخوة فى الإسلام ، فتلك هى حقيقة الإيمان ، وتلك هى صورة أمة الإسلام المثلى ، نحنُ نتبع القرآن ، فأول شىء نفعله قبل العمل بالقرآن أن نتآخى كما يأمرنا به القرآن ، وكل شعائر الإسلام تدعو إلى الوحدة . .

نحنُ العرب نتجه فى صلاتنا إلى أين ؟ إلى الكعبة . وأنتم يا أهلَ باكستان تصلون إلى أين ؟ إلى الكعبة . سكان ماليزيا إلى أين قبلتكم؟ إلى الكعبة .

وأنتم يا أهل تشاد : تصلون إلى أىِّ جهة؟ إلى الكعبة . مَن أمركم بهذا؟ الله ! لماذا؟ للإشارة إلى الوحدة الإسلامية ، إشارة إلى التآزر

الإسلامى، إشارة إلى التآخى الإسلامى، إشارة إلى المساعدة الإسلامية.

يا إخواننا المسلمين: علام نتقاتل؟!

إن ربَّنا واحد، ونبيَّنا واحد، وكتابنا واحد، وقبلتَنا واحدة، لماذا يضرب المسلم أخاه المسلم بالنار؟!

لو ثبت الإيمان فى قلوبكم ما فعلتم هذا أبدًا، أَبَعْدَ قول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.

يضرب بعضكم بعضًا، ويحرق بعضكم بعضًا؟!

ما بهذا أمَرَنا ربُّنا، ولا نزل القرآن من أجل هذا، وما دمتم لا تنفذون ما أمركم به الله فلا نصر لكم، ولا هدوء، ولا راحة، ولا بلوغ للمقاصد، ما دمتم تركتم القرآن، وأصبحتم تمشون وراء عقولكم، فليس الله معكم، من يكن مع القرآن يكن الله معه، وهل تدرى معنى «الله معه»؟

مثلاً: الصلاة خير من النوم، رجل قام فى الفجر، وتوضَّأ وقال: يا رب لا أحد من الخلق يرانى، وها أنذا أقوم لأصلى مع الجماعة ـ فى مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه ـ وهذا كله لك يا رب سبحانك!

فهذا الرجل عندما توضأ وخرج ـ مَنْ كان معه؟ الله! أين وَصَّلَه؟ إلى المسجد وعندما وقف وصلَّى فى الصف جاءته البشارة من النبى ﷺ: هل صليت الصبح فى جماعة؟ نعم! إذن أبْشِرْ!

فقد قلت فى الحديث: «مَنْ صلَّى الصبح فى جماعة فهو فى ذمة الله حتَّى يمسى»[1].

(١) رواه مسلم والطبرانى.

هو فى ضمان الله وفى حفظه ، فإذا توضَّأتَ وصليتَ الصبح فى جماعة وحلفت يميناً بأنك فى ذمة الله فأنت صادق فى يمينك؛ لأن الذى أخبر بذلك هو الصادق المصدوق رسول الله ﷺ - فيا عرب، يا عجم: إن الله تعالى يقول: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فنحن ينبغى أن نتحد مع السودان، ومع الهند، ومع السند، لماذا؟ لأننا نمتثل أمره - سبحانه وتعالى - والذى يمتثل أمرك يا رب ترضى عنه، وتكون معه .

﴿والله معكم﴾ وقد آمنا وصدقنا بأنك معنا . .

اقرأ قوله تعالى : ﴿ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم﴾ (١) . فهو معكم، حفيظ عليكم، وعلى أعمالكم، فهو حفيظ على كل شىء، حتى امرأتك التى تتركها فى البيت يحرسها لك . من أين هذا ؟ قال النبى - عليه الصلاة والسلام - :

«احفظ الله يحفظك» (٢) .

قال شيخنا الشيخ السمالوطى - رضى الله تعالى عنه - فى معنى هذا الحديث : «احفظ الله فى بنات الناس يحفظك الله فى بناتك، احفظ الله فى نساء الناس يحفظك الله فى زوجتك، احفظ الله فى أموال الناس يحفظك الله فى أموالك، احفظ الله فى أعراض الناس يحفظك الله فى عرضك» .

وهذا كلام محقق وثابت لا شك فيه - لماذا ؟ لأنه عن الله عزّ وجلّ :

---

(١) سورة محمد : آية ٣٥ .

(٢) رواه الترمذى وأحمد .

﴿ومَن أصدقُ مِن الله قيلاً﴾[1]، وعن رسول الله ـ ﷺ ـ فهل تريد أن تتبع الله ورسوله أم تريد أن تتبع الشيطان ؟! احفظ نفسك عن التطلُّع لنساء المؤمنين يحفظ اللهُ زوجتك بدلاً من شغل نفسك بالوساوس اشغل نفسك بتقوى الله، لكن إذا كنت تنظر إلى نساء المؤمنين، فإذا خرجت زوجتك من البيت فإنها ستجد مَن ينظر إليها !! لماذا ؟

(جزاءً وفاقًا) ، فإذا غضضت طرفك عن بنات الناس فإنهم يغضُّون طرفهم عن زوجتك .

وأهل الصعيد يقولون : «عملك عمَّالك يا ابن آدم» .

ما معنى هذا ؟ أى : ما تعمله تجد جزاءه أمامك .

(وقد حكى) : لنا المشايخ حكاية مضمونها أن رجلاً «سقَّاء» كان يحمل القربة ـ وقد حضرتُ زمن حمل الماء فى «القِرَب» ـ، وكان يُفْرِغُ قِرْبَتَهُ كل يوم فى بيت بقَّالٍ، فجاءته بنت لتشترى منه شيئًا فمدَّ يده إلى صدرها، وفى نفس اليوم جاء السقَّاء إلى بيت البقَّال ليملأ «الزير» فجاءت زوجة البقَّال، ففوجئت بالسقَّاء ــ الذى ظل يملأ لها الماء طيلة عشرين عامًا ـ يمدّ يده إلى صدرها، فثارت عليه وشتمته، فلما جاء الليل شكت إلى زوجها ما حدث من السقاء، فقال لها زوجها متذكرًا ما حدث منه أولاً: اسكتى ولا تغضبى : «دقَّةٌ بدقة، ولو زدنا لزاد السَّقَّا» فصارت مثلاً . .

فالبقال يقول : أنا مددت يدى إلى واحدة من بنات الناس فسلَّط الله

---

(١) سورة النساء : ١٢٢ .

علىَّ هـذا السقَّاء ليمـد يده إلى امـرأتى ! وعنـدما كنت أحفظ يـدى عن بنات الناس ، حفظ الله زوجتى .

فهذا كلام مطابق للواقع . .

فإياك أن تعتقد أن الله بعيد عنك ؛ لأن من يعتقد أن الله بعيد فقد كفر! ومن ظن أن الله يغفل عنه فقد كفر ! ، ومن عمل شيئًا وظن أن الله لا يراه فقد كفر ! ومن قال كلمة وظن أن الله لا يسمعها فقد كفر والعياذ بالله !

وتيهتمونى فى بديع جمالكم * فلم أدر فى بحر الهوى أين موضعى

أنا أنظر إلى السماء فأجد فيها بديع جمال خلقك ، فأتعجب وأتيه فى الدنيـا ، ولم أدر فى بحـر الهوى أين مـوضعى ، أيـن خالقهـا ؟ كيـف خلقهـا ؟ وهل لها من نهاية ؟

إن كل شىء يعمله المخلـوق فى الدنيا فلـه بداية ، وله نهـاية . لكن ربنا سبحانه وتعالى له خَلْقٌ لا نهاية له ، فالخلق كلهم لهم بداية وليست لهم نهاية .

وهناك خَلْق له بـداية وله نهاية : فـالسماوات لها بداية ، ولهـا نهاية ، فالعقل يتـوه عندمـا يفكر فى خلق السمٰوات ، هل تـريد أن تعـرف ربنا سبحانـه وتعالى ؟ اعرف أولاً سمـاءَه فإنَّ خَلْقها يحيِّـرُك ، ولا تدرى أين أنت ! فتعالى الله أن تتصوره العقول ، تعالى الله ! !

هو معك وأنت لا تـراه . . إن يدك لا تُرْفَع إلا إذا رفعها لك هـو ـ عز وجل ـ فهو يخلق فيك الحركة وأنت عنه غافل ولا تشعر ، والشعور بعدم المعرفة والحيرة هو العلم الحقيقى !

العلم بالله هو الإيمان ؛ لأنه يعرفنا بأنه معنا ونحن غافلون عنه .

السيدة رابعة العدوية ـ رضى الله عنها ـ كانت عندها خادمة فجاءت إليها يومًا بالقهوة ! فقالت لها : يا فتاة : نتمنى أن يأتينا أحد فيذكرنا حبيبنا ! فقالت الفتاة : يا سيدتى هو معنا ولكن الدنيا شغلتنا عنه .

فالإنسان وهو جائع لا يفكر إلا فى اللقمة ، يفكر فى الأكل ولا يفكر فى الحق ! والأتراك يقولون : «الخبزاية هى الإفادة لولا الخبزاية ما كان صلاة ولا عبادة» .

وبعض الناس يُسَمُّون الخبز فى لغتهم «أغروم» فيقولون : «أغروم أغروم» !! لولا الأغروم ما كان صلاة ولا صوم !! وهذا ليس بكلام !

إن الصحابة رضى الله عنهم قالوا وهم يحفرون الخندق والنبى ﷺ معهم :

لولاك لولاك ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلنْ سكينة علينا * وثبت الأقدام إنْ لاقينا

(لولاك) أى : لولا أنت يا أله ، وليس : لولا الرغيف .

هؤلاء هم الصحابة ، هم المؤمنون حقًا .

فأنزلَنْ سكينة علينا * وثبِّتْ الأقدام إنْ لاقينا

يعنى : أنزل علينا السكينة ، وثبت أقدامنا إن لاقينا العدو لا إن لاقينا إخواننا المسلمين ، فيحارب أهلُ الشمال أهلَ الجنوب ، ويقتل المسلمون بعضهم بعضًا بالطائرات والصواريخ وكيف يفعلون ذلك؟

لأنهم يجهلون أمر دينهم ! يجهلون الحديث الذى جاء فى صحيح البخارى، قال النبى عليه الصلاة والسلام:

«**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار**»[1] فأين أنت أيها الحاكم المسلم ! يا من وجهت جيشك ليقتل إخوانك من المسلمين، إنك الآن تحت التراب، هل كنت تظن أن حكمك أبدىّ؟ ألم تكن تعرف أن هناك موتًا وبعده لقاء الله ! هل هذا معقول ؟

جيش مسلم يدخل على بلاد المسلمين فيقتلون المسلمين وهم فى المساجد يصلون ويقرأون القرآن ؟!

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

إن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يذكّر الصحابة رضى الله عنهم أن من علامات قرب الساعة أى قرب مجىء القيامة: «**يكثر الهَرْج قالوا: يا رسول الله: وما الهرْج؟ قال: القتل . القتل**»[2] يعنى: عندما يكثر القتل فى الدنيا فإن القيامة تقترب، والقنبلة الآن تقتل آلاف الناس، وكذلك الصواريخ ، والقنبلة الذرية !

فكثرة القتل فى الدنيا علامة على قرب القيامة، فصدق هذا الرسول الصادق المصدوق ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقد قال: «**يكثر الهرج**» أى: القتل، وفى عصره ﷺ كان القتل بالسيف، ولكن تغير الزمان، وأصبح القتل الجماعى بالقنبلة والمدفع، وكثر القتل، وهو علامة على قرب القيامة .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الشيخان .

مِمّن هؤلاء الجنود ؟ من اليمن الجنوبية . أين هم ذاهبون ؟ إلى اليمن الشمالية .

ما دين الفريقين ؟ إنه الإسلام! إذن فقد اقتربت القيامة . كثرة الجيوش والسلاح النارى والقتل من علامات قرب القيامة .

ويجب ألا ننسى الله مهما حدث، إذا عمرت الدنيا أو خربت فالله خالقها ومالكها وحده، لا أحد غيره، والاختلاف فقط فى مصير الناس، فإذا عمرت الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة ، وإذا خربت تفتح لهم أبواب جهنم .

وهل كل إنسان تفتح له أبواب السماء ؟ كلا . إن المؤمنين وحدهم هم الذين تفتح لهم أبواب السماء، أما الكافرون فلا تفتح لهم أبواب السماء . .

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ .

المراد: صلُّوا؛ لأنه لا ركوع ولا سجود من غير صلاة، فإذا أقمتم الصلاة ركعتم فيها وسجدتم، والركوع والسجود يدل على التواضع لله، والله تعالى يحب المتواضعين له .

وفى الحديث: قال عليه الصلاة والسلام: «من تواضع لله رفعه ومن تكبر خفضه»[1] .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة .

ويقول ابن الفارض رضى الله عنه :

تواضعتُ ذُلاًّ وانخفاضًا لعِزِّها * فشرَّفَ قدرى فى هواها التواضعُ
فقلت لها يا قُرَّةَ العين هل إلى * لقاكِ سبيل ليس فيه موانعُ

والسبيل هو الطريق، ولا يوجد سبيل ليس فيه موانع، حتى طريق العبادة، أنت ذاهب إلى المسجد، متوضىء تتهيأ للصلاة، فتجد مَنْ تضع الأحمر، والأصفر !! فهذه موانع إذا صادفتها فتمثل ببيت ابن الفارض السابق :

فقلت لها يا قرة العين هل إلى * لقاك سبيل ليس فيه موانعُ

ومن أراد أن يصل فى طريق الله فليبتعد عن الموانع .

س : ما فائدة صلاة الجنازة على الميت ؟

جـ : إذا كنت عطشان واشتد بك العطش، واستغثت بالناس فأعطوك كوب ماء - فهل ينفعك شرب هذا الكوب ؟ فكذلك ينتفع الميت بصلاة الجنازة كما تنتفع أنت بشرب الماء على العطش .

وقد قال العلماء : صلاة الجنازة بمنزلة الزاد للمسافر ، وورد فى الحديث أن الميت يقول لمن يمشون معه : قدمونى قدمونى، ويعرف من يصلون عليه .

الدرس السابع والثلاثون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ﴾ (١) .

صدق الله العظيم

أعطاك الله العقل ؛ لكى تفكر به فى ملكوته بما يدفعك إلى عبادته . . فلا تشغله بالتفكير فى أمور ليست لك . كيف تتعب عقلك فى أمور لا تعود عليك بمنفعة ؟!

لا تدبِّرْ مع الله الذى دبَّر . قال ـ تعالى ـ :

﴿يدبِّرُ الأمر من السماء إلى الأرض﴾ (٢) .

دع أمر الزوجة والأولاد للهِ الذى خلقهم ، وما عليك إلا أن تقوم بما أوجبه الله عليك . الله ! الله ! يعددُ اللهُ الرحمنُ الرحيمُ على خليقته نعمه . . ومن هذه النعم أن أرسل إلينا سيِّدنَا ومولانا محمدًا ﷺ .

فتجب علينا مداومة الشكر ، كما كان يفعل سلف الأمة رضى الله عنهم . .

---

(١) سورة التوبة : آية (١٢٨) .

(٢) سورة السجدة : آية (٥) .

كان مشايخنا الذين حضرنا عليهم كالشيخ سلامة العزامى، من علماء الأزهر، والشيخ محمد إبراهيم السمالوطى، وغيرهما من تلاميذ الشيخ عليش كانوا إذا قال أحدهم: قال سيِّدُنا ومولانا رسول الله ـ ﷺ ـ تهتز لذكر اسمه الشريف روحه وبدنه. يا سلام! رحمةُ الله عليكم يا مشايخنا، وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

وفى هذه الأيام تحتفل الأمة الإسلامية بمولد خير البرية.. وإذا سأل سائل: ما فائدة الاحتفال بالمولد؟ ماذا يعود على الأمة منه؟

نقول له: أما سمعت البوصيرى ـ رحمه الله ـ يقول:

دع ما ادعته النصارى فى نبيِّهِم * واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكمِ

النصارى يقولون: عيسى بن الله، وهو برىء..

والأمَّةُ الإسلامية بعد مئات السنين تحتفل بأنه ﷺ وُلِد، وأن النبى ﷺ مخلوق لله، وولدته امرأة من إماء الله، أن النبى عليه الصلاة والسلام وُلِدَ فهو مولود ومخلوق، فهذا يشرفه عند الله، وأنه من خلق الله..

ونحن نحتفل بمولده، لا نحتفل بشىء آخر، بأنه وُلِد.. الله ـ تعالى ـ أراد أن يُولَد صغيرًا، وأن يُرَبَّى بمكة وأن يخرج إلى الناس بشيرًا ونذيرًا، وحفظ أمته أن تقول فيه ما قالته النصارى فى عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه دعا الله، كما نقل عنه أبو عبد الله الإمام مالك رحمه الله فى الموطأ أنه يقول:

«اللهُمَّ لا تجعلْ قبرى وثنًا يُعْبَدُ من بعدى».

فأجاب الله دعوته، فهذه الأمة لا تعبد نبيَّها حتى تقومَ الساعة..

فإلى قيام الساعة تزوره الأمة على أنه رسول الله، هذا ببركة دعاء سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ .

وروى البخارى عنه ـ ﷺ ـ أنه قال :

«لا أخافُ عليكم أن تشركواْ بعدى» . الله . . طمْأنك الله يا رسول الله على أمتك فقلت :

«لا أخاف عليكم أن تشركواْ بعدى، ولكن أخاف عليكم أن تُفْتَح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم» .

لقد طمأننا رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأننا ـ إن شاء الله ـ لا نشرك بالله شيئًا . .

وهذا هو النعمة العظيمة : التوحيد [وهو] أن هذه الأمة تعيش على التوحيد إلى يوم القيامة . . لا تعبد نبيًا ولا رسولاً ولا ملكًا ولا تعبدُ الأمة المحمدية مخلوقًا، ولا تشركُ بالله شيئًا إكرامًا لهذا النبى، وإكرامًا لرفعته عند الله .

أكرمه الله فى أمته وطمأنه عليها بأنها لا تشرك بالله شيئًا . .

ولما ولد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشرقت معه الأنوار الخارقة للعادة؛ للإشارة إلى أنه يدعو إلى التوحيد، والتوحيد نور ، ويدعو إلى عبادة الله؛ وعبادة الله نور ، فسطع النور معه إشارة إلى أنه جاء يدعو إلى النور ﴿قد جاءكم من الله نور ﴾[1] وهو النبى عليه الصلاة والسلام ﴿وكتاب مبين﴾ وهو القرآن . .

---

(١) سورة المائدة : آية (١٥) .

فشهد الله ـ تعالى ـ لكتابه بأنه مبين، وشهد لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه يُبيِّن :

﴿وليبين لكم﴾ (١) . . فالكتاب : مبين مفهوم ظاهر إلى يوم القيامة، وله معانٍ تفهمها الروح، وله معانٍ تسمعُها الأذن . . فالروح تفهم شيئًا غريبًا من القرآن، وإذا تلى القرآن يطرب له العاميُّ ويلين له قلبه، ولو لم يفهم العبارات؛ لأن القرآن قراءته خارقةٌ للعادة . . وسماع القرآن خارقٌ للعادة .

وشهد الله للقرآن بأنه تقْشَعِرُّ من سماعه الجلود : ﴿تَقْشَعِرُّ منه جلودُ الذين يخشون ربَّهم ثمَّ تلين جلودهم وقلوبُهم إلى ذكر الله﴾ (٢) .

فهذا أمر خارق للعادة فى سماع القرآن، فيه ما لا يوجد فى غيره، فإذا أردت أن تعرف أن القرآن كلام الله فاقرأ القرآن بقلب حاضر، أو استمع من مقرىءٍ بقلبك يشعر قلبك انه هو كلام الله رب العالمين . . يشهد قلبك بهذا ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (٤) .

ونصيب المؤمن من الدنيا القرآن، ومن أخذ به أخذ بحظٍّ وافر . . ومن نسى القرآن ونسى العمل به فاته نصيبه من الدنيا . . فالدنيا مزرعة للآخرة . .

---

(١) سورة النحل : آية (٩٣) .

(٢) سورة الزمر : آية (٣٣) .

(٣) سورة الإسراء : آية (١٤) .

(٤) سورة القصص : آية (٧٧) .

والآخرة للمؤمنين هى الجنة . . والجنة توزع وتُقْسَم على المؤمنين على قدر إيمانهم بالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبالقرآن :

﴿وتلك الجنة التى أُورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (١) .

والروح فى الدنيا لا حظَّ لها فى أكل ولا شرب ولا نوم ولا فى ملاذ الدنيا . . إنما حظ الروح من الدنيا «الرُّوح» : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا﴾(٢) .

ألا وهو القرآن . . فالروح حياة للجسد، والقرآن حياة للروح ، فالروح إنما تحيا حياتها التى يرضاها الله ـ تعالى ـ بالقرآن . .

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ .

مما يوجد فى الدنيا . . وإيش يوجد فيها ؟

ما فيها إلا القرآن . . القرآن العظيم .

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ من القرآن .

اتخذ لك ساعة تقرأ فيها القرآن، أو تسمع فيها القرآن كما كان يفعل أهل مصر فى الزمن الماضى : كل « دُكَّان » كان فيها قارىء يقرأ القرآن كل صبح . . كان أهل مصر كذلك يستفتحون أيامهم بالقرآن؛ لأنه النور. .

أفضل شىء فى الدنيا يوجد على الأرض هو القرآن العظيم، أفضل ما تتلوه فى الدنيا وتحرك به لسانك هو القرآن العظيم، أفضل ما تسمعه

---

(١) سورة الزخرف : آية (٨٢) .

(٢) سورة الشورى : آية (٥٢) .

بأذنيك هو القرآن العظيم، أفضل ساعة فى الدنيا هى التى تتلو فيها القرآن أو التى تسمع فيها القرآن ، وقال عليه الصلاة والسلام :

«أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن»[1] .

فاتخذ لك فى البيت مصحفًا ، واقرأ فيه ولو دقائق . . إذا أكلت فاكهة كالبرتقال ـ مثلاً ـ فسوف تجد لها مذاقًا حُلوًا ، كذلك كل آية من القرآن تتلوها وتسمعها تتلذذ بها الروح . .

كلُّ آية مملوءة بالإمدادات والبركات والأسرار من الله . . قرآن عظيم شفاء لما فى الصدور :

﴿وننزِّلُ من القرآنِ ما هو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾ [2]. هذا للمؤمنين . .

أما الكافرون فهم ليسوا أهلاً . . القرآن إذا سمعه الكافر فلا يتنزل عليه شىءٌ أبدًا . .

وأما المؤمنون فإذا استمعوا للقرآن وكانوا ملايين : تتنزل على قلوبهم رحمات وبركات وعنايات وألطاف ظاهرة وخفية، وعلوم ربانية، على قدر إيمانهم، وعلى قدر إخلاصهم، وعلى قدر توجههم لربهم، فإن الله قريب مجيب، سميع بصير . . فتنبه أيها المسلم، وأفق من غفلتك، وراقب من لا يغفُل ولا يغيب جلَّ جلاله، فذكر نفسك أنت .

---

(١) رواه الترمذى عن عبادة بن الصامت .

(٢) سورة الإسراء : آية (٨٢).

﴿وذكِّرْ فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين﴾[1] .

كلام قـديم لا يُمـلُّ سماعـه * تنـزَّه عـن قـولٍ وفعـلٍ ونيـةِ
فيَـاربِّ متِّعنـى بسرٍّ حـروفـه * ونوِّر بـه قلبى وعقلـى ومقلتى

كلام الله ﴿لقد جاءكم رسول﴾ وفى الآية الأخرى ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين﴾ :

جاءنا النبـى ـ ﷺ ـ وذهب إلـى ربه ، وبقيت سنته ، وجـاءنا القرآن ، وإن غاب عن أبصارنا من نزل القرآن عليه فما غاب عن قلوبنا . .

(لا إلـه إلا الله) : تـدل على القـرآن . . لا إلـه إلا الله : هذا كلامه (محمد رسول الله) : هذه سنته . .

تلـك آثـارنـا تـدل علينـا * فـانظـروا بعـدنـا إلـى الآثـارِ

قال عليه الصلاة والسلام :

«من أراد أن يتكلَّم مع الله فليقرأ القرآن» .

كأنك تسمعه من الله ـ كذلـك من أراد أن يسمع كلام النبى ﷺ فليقرأ أحاديثه ، فإنها باقية محفوظة :

﴿إنا نحن نزَّلنا الذِّكر وإنا له لحافظون﴾[2] .

وكـذلـك حفـظ الله ـ تعـالـى ـ سنَّة نبيـه ـ ﷺ ـ واضحـة منقحـة للمؤمنين . .

---

(١) سورة الذاريات : آية (٥٥) .

(٢) سورة الحجر : آية (٩) .

﴿جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[1] . أى : القرآن .

فبشرى لهذه الأمة التى جاءها نور وكتاب ، وبقى النور والكتاب . . النبى ـ عليه الصلاة والسلاوم ـ موجود فى القلوب إيمان به ، وهو ـ ﷺ ـ موجود فى روضته بالمدينة ، وقد أحياه الله بحياة هى خير من الأولى ؛ وقد علمنا رسول الله ـ ﷺ ـ أسرار تلك الحياة ، فأمرنا أن نسلم عليه فى كل صلاة :

«السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»[2] .

هذا السلام يدل على أنه موجود . . والسلام تبلغه الملائكة فهو ـ ﷺ ـ يسمع سلامنا ، وإلا كان سلامنا عبثًا ، وتعالى الله عن العبث ، وترفع رسوله ـ ﷺ ـ عن العبث ، لا إله إلا الله . . محمد رسول الله . .

أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، معى ومحيط بى ، ويرى صلاتى ويسمع قراءتى .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله : حىٌّ عند الله ، ويُبلِّغ السلام ، السلام عليك أيها النبىُّ ورحمة الله وبركاته . . فاشغل قلبك ، وفكّر فيما أنعم الله به عليك .

﴿قد جاءكم من الله نورٌ﴾ : صلِّ عليه . . فالنور يهدى إلى النور والكتاب : البيان ﴿وكتاب مبين﴾ ظاهر مبين .

---

(١) سورة المائدة : آية (١٥) .

(٢) رواه البخارى .

فلا تنس النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا تنس القرآن . .

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾ : يمتنُّ الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بهذه النعمة ، جاءكم رسول من أنفسكم وفى قراءة (من أنفَسِكُمْ) رسول الله : أرسله الله إلى الخلق ، أدبه فأحسن تأديبه وتولاَّه . . ولما أتمَّ الأربعين سنة أرسله إلى الناس بشيرًا ونذيرًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فجاء بالهدى والنور ، ويوم القيامة هو الشفيع . .

وشفيع الناس فى أوزارهم * عظمت أوزارنا فاشفع لنا
عمَّ بالدعوة مَن تعرفهم * من أصيحاب ومن يعرفنا
إن فى جاهك ما يحملهم * إن فى جاهك ما يحملنا

النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وَصْفُه فى القلوب ، عند كل عبدٍ لله يرجع ويتوب ، فإنك إذا تبت إلى الله ورجعت واستغفرت ورضى عنك خالقك هو الذى يسوق إليك أوصافه ، ولا يعلم حقيقته إلا مَنْ خلقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يا سبحان الله لا شمس ولا قمر ولا أنوار . . جاء إلى الدنيا فكان زينة الدنيا ، ودخل الجنة فكان زينة الجنة ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فأنواره لا تضارعها أنوار ، نوَّرَ السمٰوات حينما عرج إليها ، ونوره سطع للعرش ، ونارت به السماوات عليه الصلاة والسلام ، ورأى ما لم يره أحد : ﴿إذ يغشى السِّدْرَةَ ما يغشى * ما زاغ البصرُ وما طغى * لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى﴾[1] .

(١) سورة النجم : آيات (١٦ ـ ١٨) .

اللهم صلِّ عليه . .

﴿مِنْ أَنْفُسِكُم﴾ وقرىء : ﴿أَنْفَسِكم﴾ [بفتح الفاء وكسر السين] أعزِّكم وأحسَنِكم ، فبعثه الله من أحسن الناس ، أجداده إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام تتصل نسبتهم بسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ شبيهًا بجده إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، ولما جاء بعد المعراج وحدَّث أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ قال :

«رأيت إبراهيم ـ عليه السلام ـ فإذا أقرب الناس شبهًا به صاحبكم»[1] .

يعنى : نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

فجده سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ

وأحسن جنس فى الأرض هو السلسلة المتصلة بسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ـ عليهما السلام ـ . .

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز﴾ : أصل ﴿عزيز﴾ اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ، وقد وصف الله به نبيَّهُ ﷺ ولفظ ﴿عزيز﴾ أصل معناه : لا يغلبُهُ شىء ، أو ﴿عزيز﴾ : لا نظير له . .

فالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ (عزيز) بمعنى : لا نظير له وهذا حقٌّ . . يقول واصفه من الصحابة :

«لم أر مثله قبله ولا بعده» ، فهو ليس كمثله لا قبله ولا بعده ﴿عزيز﴾

---

(١) رواه مسلم وأحمد فى مسنده .

بمعنى: لا يغلبه مخلوق لا فى قوته ولا فى شجاعته ولا فى فصاحته، ولا فى بلاغته، ولا فى علومه . .

هو الغالب ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

«عن ركانة بن عبد يزيد، وكان من أشدِّ الناسِ قال: كنت أنا والنبى ﷺ فى غنيمة لأبى طالب نَرْعاها فى أول يوم ما رأى إذ قال لى ذات يوم: هل لك أن تصارعنى . قلت له: أنت ؟!

قال: أنا . فقلت: على ماذا ؟

قال: على شاة من الغنم ، فصارعته فصرعنى، فأخذ منى شاة، ثم قال: هل لك فى الثانية ؟

قلت: نعم . فصارعته فصرعنى، فأخذ منى شاة، فجعلت ألتفت هل يرانى إنسان ؟! فقال : مالك ؟

قلت: لا يرانى بعض الرعاة، فيجترءون علىّ وأنا فى قومى من أشدِّهم. قال: هل لك فى الصراع الثالثة، ولك شاة .

قلت: نعم . فصارعته فصرعنى، وأخذ منى شاة، فقعدت كئيبًا حزينًا فقال: مالك ؟

قلت: إنى راجع إلى عبد يزيد، وقد أعطيت ثلاثًا من غنمه والثانية أنى كنت أظن أنى أشد قريش .

فقال : هل لك فى الرابعة ؟ فقلت: لا بعد ثلاث .

فقال: أما قولك فى الغنم فإنى أردها عليك، فرَد علىّ .

فلم يلبث أن ظهر أمره ، فأتيته فأسلمت، فكان مما هدانى الله عز

وجل - أنى علمت أنه لم يصرعنى يومئذ بقوته ، ولم يصرعنى يومئذ إلا بقوة غيره»[1] .

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز﴾ نجاتكم من النار بالإيمان به ، نجاتكم مِن النار باتباعه ، نجاتكم من النار بمحبته ، نجاتكم من النار بالصلاة والسلام عليه نجاتكم من النار بحب أهل بيته :

﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾[2] كما قال سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه :

جعلت ولائى آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثنى القربى
فما سأل المختارُ أجرًا على الهدى * ببعثته إلا المودَّةَ فى القربى

س : يا سيدنا الشيخ : نريد أن نعرف مَنْ أهل البيت ؟

جـ : يا هذا : للآن لم تعرف أهل البيت ؟ مثلك مثل رجل جاء بعد انتهاء رمضان يسأل عن رمضان . .

جاء يسأل بعد ما صام الناس وانقضى رمضان ، أين رمضان يا سيدنا !! سبحان الله ! ما كنت أظن أنه يوجد أحد فى الدنيا لا يعرف أهل البيت . . إن البهائم تعرف أهل البيت .

س : ما حكم الناس الذين يقولون : لا يوجد أولياء ولا يوجد مشايخ ؟

جـ : لو جاء رجل لجماعة وقال لهم : هذا هو نهر النيل وأشار إلى

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) سورة الشورى : آية (٢٣) .

مكانه ، فصدَّقه بعضهم وذهبوا وشربواْ وٱرتوواْ . . وكذبه آخرون وامتنعوا عن الذهاب فلم يشربواْ . . فأيُّهم الرابح ؟ الذين شربواْ أم الذين حرموا أنفسهم . .

وكذلك الأمر فى قضية الأولياء : من اعتقد فى بركاتهم انتفع ، ومن أنكر حرم نفسه . . فلا تحزن يا هذا !!

س : امرأة مكث الجنين فى بطنها ثلاثة وعشرين شهرًا يتحرك فما الحكم مع العلم بأنها تذكر أن دم الحيض ينزل منها ؟

جـ : أقصى مدة الحمل عند المالكية : خمس سنين . . فلو أن امرأة حاملاً لم ينزل منها الجنين ومكث فى بطنها خمس سنين . . فعندما تلد يُلْحَق الولد بأبيه . .

وقد حكى التاريخ أن هذا قد حصل . . فقد ورد أن الإمام مالكًا ـ رضى الله عنه ـ مكث فى بطن أمه ثلاث سنين .

والخلاصة : أن الجنين يمكث فى بطن أمه خمس سنوات ويلحق بأبيه عند الولادة . . لكن الحيض لا ينزل طالما الجنين فى بطن أمه . .

﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ : تعبكم يشفق له ويرأف بكم ويهتم لكم . . دائمًا النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قلبه مشغول بأمته يحب لهم الخير ، ويحب لهم الراحة فى الدنيا والآخرة . .

لما نزل قول الله تعالى : **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**[1] قال ابن عباس : **«لا يرضى محمد وواحد مِنْ أمته فى النار »**[2] وفى رواية

---

(١) سورة الضحى : آية (٥) .

(٢) رواه الخطيب فى تلخيص المتشابه عن ابن عباس رضى الله عنهما .

أنه ﷺ قال: يا جبريل لا أرضى وواحد من أمتى فى النار. فهو يريد إدخالهم جميعًا الجنة.. تأمل عظمة الرحمة..

وقال عليه الصلاة والسلام: «لكل نبى دعوة» فلما حان وقتها قال: «دعوتى شفاعتى ادَّخرتها لأهل الكبائر من أمتى»[1].

لما أرسل الله تعالى الملك إليه ﷺ يقول له ادع الله بما تريد من الدنيا من قصور وأموال.

فقال ﷺ: حاجتى شفاعتى ادخرتها لأهل الكبائر من أمتى، فقبل الله تعالى منه. اللهم صل عليه واجزه عنا خير الجزاء.

﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ حريص على هدايتنا وعلى دخولنا الجنة، هو لا ينسانا ولكننا ننساه..

تأمل قوله تعالى: ﴿حريص عليكم﴾ فإنه خطاب، وهو ليس مقصورًا على الصحابة، بل هو خطاب للأمة..

يا أمة محمد ﷺ: النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حريص عليكم يخاف عليكم من النار، ويخاف عليكم من الكفر، ويخاف عليكم من الشيوعيَّة، يريد أن تكونوا مسلمين مؤمنين..

﴿بالمؤمنين رءُوف رحيم﴾.. قال القاضى عياض المالكى ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الشفا»: «لم يجمع الله لنبىٍّ بين اسمين من أسمائه تعالى إلا لهذا النبى.. بين اسم الله (رءُوف) واسم الله (رحيم)..

فالله تعالى مدحه بهذين الاسمين: ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾.

فالحمد لله حيث جعل الله نبيَّنا رءوفًا رحيمًا..

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود.

كريم رسول الله والله أكرم * رحيم رسول الله والله أرحمُ

فكيف تضيع أمة بين إله رحيم، وبين رسول رحيم .

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (١) .

ماذا يُفْرِح الإنسان إلا رحمة الله التى أرسلها للعالمين . . «اللهم صل على سيدنا محمد» تشرح الصدر وتطرد الشيطان، ويرضى بها الرحمن، ويحلو بها المُرّ ، والشيطان بها يفِرُّ ، وتُفْتَح بها الأبواب، وتُيَسَّر بها الأسباب، ويُنْصَر بها المغلوب، ويرضى الله بها عن عبده . .

الصلاة على النبىِّ خفيفة على اللسان . .

«اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، على النبى الرءُوف الرحيم، الذى أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله إمامَ الأنبياء والمرسلين، وخاتَمَ النبيين، وسيِّدَ ولد آدم أجمعين، وعلى أهل بيته الطاهرين، وارض عن أصحابه الأكرمين ، وارحم أمته ، إنك حميد مجيد» . .

فهو ـ ﷺ ـ السراجُ المنير الذى أرسله الله سراجًا منيرًا .

السراج : اسم لما يوقَد وينوِّر ، فالكهرباء اسمها سراج، والمصباح اسمه سراج، والشمس اسمها سراج . .

فالذى يرسل النور يسمى «سراج» .

قال الله فى القرآن عن «الشمس» ﴿وجعل الشمس سراجًا﴾(٢) . وقال عن «القمر » ﴿وقمرًا منيرًا﴾ (٣)، فكأنه يقول: أنت يارسول الله

---

(١) سورة الأنبياء : آية (١٠٧) .

(٢) سورة نوح : آية (١٦) .

(٣) سورة الفرقان : آية (٦١) .

شمس وقمر ، فجمع الله فى وصف رسولِهِ بين الشمس والقمر ، فقال له : ﴿وسراجًا منيرًا﴾ (١) أى : شمسًا وقمرًا . لكنه ﷺ أفضل الخلائق ، فهذا تشبيه ، أى أنت فى ضيائك كالشمس وفى أنوارك كالقمر وقد شُبِّه ـ ﷺ ـ فى الإنارة بالشمس والقمر ـ وإن كانت أنواره أعلى منهما وأرقى ـ لأن الشمس والقمر ينوِّران الدنيا الظاهرة . . وأما أنواره ـ ﷺ ـ فإنها تنور القلوب الباطنة ، فهى أقوى ، أنوار الشمس لا تدخل إلى القلوب ، وأما أنوارك فتدخل إلى القلوب وتنور القلوب .

قال النبهانى ـ رحمه الله ـ مخاطبًا النبى ﷺ :

نورك الكلُّ والورى أجزاءُ * يا نبيًّا من جنده الأنبياءُ

كيف هذا يا نبهانى ؟ قال : لأن الله قال للنبيِّين كُلِّهم : إذا أدركتم زمن حبيبى ونبيِّ محمد ـ ﷺ ـ فآمِنُواْ به وانصروه ، وكونوا جنودًا له بين يديه لنصرته ، وعلى هذا ظهر وجه ما قاله النبهانى ـ رحمه الله ـ وقال سيدى أحمد البدوى ـ رضى الله عنه ـ :

«اللهم صلِّ على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانيَّة ، ولمعة القبضة الرحمانيَّة» .

فى مولد الدردير أبى البركات ـ رضى الله عنه ـ :

«أن الله ـ تعالى ـ قبض قبضة من نورٍ ، فقال لها : كونى محمدًا . فكانت» .

فهو شجرة الأصل النورانية التى تفرعت منها الأنوار . .

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٤٦) .

وقال سيِّدى عبد السلام بن مشيش :

«اللهم صلِّ على مَنْ منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق » .

وقال العلماء : إنه يلاحظ فى وصف النبى ـ ﷺ ـ بأنه «سراج» إمكانُ استنارة جميع القلوب، وأخذِها من نوره حتى تستنير . .

ولد الحبيب ومثله لا يُولَدُ * والنور من وجناته يتوقَّدُ

وقال سيدنا حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ :

وأجمل منك لم تر قطُّ عينى * وأكمل منك لم تلد النساءُ

خلقت مبرَّءًا من كلِّ عيب * كأنك قد خلقت كما تشاءُ

* اللهم صلِّ عليه وعلى آله *

الدرس الثامن والثلاثون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾[1] .

صلُّوا معى على النبى : اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وآدم ونوح، وإبراهيم وموسى وعيسى، وما بينهم من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وعلى جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش، وعلى الملائكة والمقربين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . .

﴿ربنا اغفرْ لنا ولإخوانِنَا الذين سبقُونا بالإيمان ولا تجعلْ فى قلوبِنَا غِلاًّ للذين آمنوا ربنا إنكَ رءوفٌ رحيم﴾[2] .

فتحنا الباب بذكر الله : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم وأنت علام الغيوب . .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى ملكه، ولا فى خَلْقه، ولا فى تدبيره، ولا فى تصريفه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو المسئول، وإليه المرجع والمآب . .

---

(١) سورة فاطر : آية (٦) .

(٢) سورة الحشر : آية (١٠) .

كما قال سيدى على أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

«الله . منه بدء الأمر ، الله . إليه الأمر يعود ، الله واجب الوجود ، وماسواه مفقود» .

وقال الشاذلى رضى الله عنه :

«قرأ جماعة قوله تعالى : ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا﴾ فاشتغلوا بعداوة العدوّ، وهو الشيطان .

وفهم قوم من الآية : «وأن الرحمن لكم حبيب فاتخذوه حبيبًا فاشتغلوا بالحبيب فكفاهم الحبيب مضرة العدوّ» .

وكلام الشاذلى هذا كلام طيب حقًا ؛ لأن الله تعالى قال :

﴿إن كيدَ الشيطانِ كان ضعيفًا﴾ (٣) .

فإذا كان كيده ضعيفًا ، فإنه أمام المؤمن أضعف ، فيجب ألا نجعل له مكانًا فى قلوبنا ، ولا نفكر فيه ، وإنما نفكر فى العظيم ـ سبحانه وتعالى ـ ، فإذا خفنا من العظيم كفانا العظيم مضرة الحقير . .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عظيم ، ورحيم ، ولطيف ، وصبور . . أسماء وصفات عجيبة لربنا ، هو ـ سبحانه وتعالى ـ قادر وصبور ، يصبر على الزانى ! فيبيت على سريره فى أمان الله إلى الصبح ، ولا يفعل له شيئًا ، وهو قادر على أن يخسف به الأرض ، ولكنه صبور ، ورحيم ، قادر على أن يعذبهم بمجرد وقوع المعاصى منهم ، ولكنهم مُرْجَوْن لأمره ـ

---

(٣) سورة النساء : آية ٧٦ .

سبحانه وتعالى ـ إما أن يعذبهم وإما أن يتوب عليهم فلا أحد له كلمة مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الكون أبدًا، لا من أهل السماوات ولا من أهل الأرض، ولكن الكلمة لله سبحانه وتعالى ـ وقد ورد أن: «البحار تتكلم وتقول: يا رب عصوك على ظهرى فائذن لى أن أغرقهم، والأرض تتكلم وتقول: عصوك على ظهرى ائذن لى أن ابتلعهم، فيقول الله عز وجل: هم عبادى، وأنا أفعل بعبادى ما أشاء».

فلا أحد يشارك المولى ـ سبحانه وتعالى ـ فى شىء، يفعل وحده، ويحكم وحده، ويحيى وحده، ويميت وحده، لا كلمة لأحد معه، وإلا فما معنى التوحيد الذى ستموت عليه إذن؟ ما هو التوحيد الذى يحرّم اللهُ مَن يدين به على النار؟

المؤمن الموحد يقول: أحلف بالله أيمانًا موثقة: ما رفع يدى إلا هو، وما أنزلها إلا هو، لا أحد شاركه أبدًا فى شىء، لا أحد يساعد معه، لا أحد يعمل معه، لا أحد له إدارة معه، الواحد، القهار، قال أحدهم:

«سبحانك! سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء، وقهر العباد بالموت»

فما سوى الله تحت التراب: ﴿كل مَن عليها فانٍ * ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام﴾(٥). أى: ويبقى ربك.

ما معنى الجلال والإكرام؟

الجلال: العظمة، والإكرام: الرأفة والرحمة.

---

(٥) سورة الرحمن: آياتا ٢٦، ٢٧.

فهو عظيم ورءوف، شديد العقاب ولطيف، يا سلام، سبحانك يا رب، يا قادرًا علينا، أنت قادر علينا، ولكنك ترحمنا، نعصيك وتكرمنا!!

الناس منعَّمون مع العصيان، فكيف إذا كانوا متقين؟!

الدنيا مليئة بالخيرات مع المخالفة والمعاصى، فكيف الحال إذا وجدت التقوى؟ كيف الحال؟ رجل مغربى كان معنا فى الأزهر سأل ابنه: ماذا تقول القطة؟ قال: تقول: كيف الحال؟ ونحن الآن نقول: كيف الحال؟

صحيح: إن الحال طيب، ولكننا غير طيبين! وأنت لو فكرت فى نفسك لوجدت فيك دولة وورشة مليئة بالأجهزة، البطن ورشة كبيرة، وهذا العقل دولة، كيف الحال؟ كيف حال الورشة: طيبون.

من الذى يعطى القلب ما يستحقه؟ الله. مَن الذى يعطى الكبد ما يلزمه؟ الله. مَن الذى يعطى العروق ما يلزمها؟ الله..

مَن الذى خلق السكر؟ الله. مَن الذى خلق البرتقال؟ الله.

تأكل السكر ليتقوى به البصر والجسم، وتأكل البطاطس ليتقوى منه العروق واللحم!

فسبحان من خلق الجسد من الأرض، وسبحان من خلق له ما يلزمه من الأرض! الله!!

إن «الجرجير» فيه منافع كثيرة، بثمن بسيط، مادة حديدية تعطى الجسد قوة، ويقوى النظر، البطاطس مادة نشوية تقوى الجسم، كل

ذلك من عند الله مالك الملك ، لِمَن الملك اليوم ؟ لمَن الملك فى كل ساعة ؟

يوم القيامة عندما يموت الخلق جميعًا الإنس والجن والملائكة ينادى : ﴿ لِمَنِ الملكُ اليوم﴾ لا أحد يستطيع أن ينطق ، فيجيب هو: ﴿للهِ الواحدِ القهّار ﴾[٦] . كذلك الآن : ﴿لمن الملك اليوم﴾؟ الآن! ﴿تسبحُ له السمٰواتُ السبعُ والأرضُ ومَن فيهنّ ﴾[٧] . فهو الذى خلقهم وأوجدهم ونظمهم ، وجعل لكلٍ عملاً ، الملائكة تقوم بأعمال . . وأفضل الأعمال « ذكر الله » .

وفى الحديث : «إن اللهَ يكرهُ الرجلَ البطّال »[٨] .

البطال لا ذكر ولا عبادة ولا علم ، ربنا يكرهه ، والعبرة بالنتائج ، ولا أحد ينفع مثل من يعمل بيده ، يشترى فأسًا ويعمل ، يحفر الأرض ، وما يأتيه من مالٍ ينفقه على الفقراء ، سبحان الله ! سبحان الله ! سبحان من قال : ﴿وكلُّ شىءٍ عندَه بمقْدَار ﴾[٩] .

فما تنفقه على الزوجة فإنك تثاب عليه ، وما تنفقه على الأولاد تثاب عليه ، وفى عملك ، وتجارتك ، وصنعتك ، ووظيفتك : الله تعالى رقيب عليك . . من أين أتيت بهذه الوظيفة ؟ ، إنها من عند الله مكتوبة لك فى الأزل ، وهو لا يريد منك سوى الشكر ، مجرد الشكر !

---

(٦) سورة غافر : آية ١٦ .

(٧) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

(٨) رواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى بمعناه .

(٩) سورة الرعد : آية ٨ .

وإذا شكرت زادك ! فإياك أن تغفل ، وإياك أن تظن أن الوظيفة هذه أتتك من فلان أو بواسطة فلان ، إياك ! ، الله وحده ، العلم جاءك من الله ، اللقمة التى تأكلها من الله ، كل شىء من عنده وحده ، قولوا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، الملك لك والنعمة لك ، والأمر لك فى الدنيا والآخرة .

اللهم أسعدنا بتوحيدك ، وأمتنا على توحيدك ، وابعثنا يوم القيامة على توحيدك : «لا إله إلا الله» اللهم املأ بها قلوبنا . . قال عليه الصلاة والسلام :

« أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له »(١٠) .

فإذا كان الجسد يجد حلاوة العسل والبرتقال والتمر ! فإن الروح تقول : برتقالى وعسلى وحلاوتى : لا إله إلا الله . .

أفضل شىء عندى ، وأحلى شىء عندى : لا إله إلا الله .

نذكر الله ، ونحن غافلون عنه ! لماذا؟ لأن هذه طبيعتنا ، طبيعتنا الغفلة ، ونحن من بنى آدم ، لا ملائكة . نعم ! نحن هنا فى المسجد فى حلقة العلم ملائكة ؛ لكن البيت فيه غبار فإن غبار الجسد الذى دخلت فيه الروح يشوب صفاء الروح ؛ لأن حاجة الروح تختلف عن

(١٠) رواه الإمام مالك عن طلحة بن عبيد بن كريز مرسلاً .

حاجة الجسد، الجسد مخلوق من التراب يحتاج إلى أكل وشرب، وهو بذلك يثير الغبار على الروح ! أما الروح فغذاؤها مختلف إنه ذكر الله !

فيسكن الجسد روح، وهما مختلفان : مخلوق لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وغذاؤه ذكر الله : لا إله إلا الله، ومخلوق لا همَّ له إلا الأكل الكثير ، والشرب والنوم والتشخير !! وعندما يصحو فشغله بالدنيا وحب المال، وعندما يأكل الجسد لا تأكل الروح ، وكذلك عندما ينام لا تنام، وعندما ينام جسدك تستريح روحك، فتنطلق فى أجوائها ـ حسب حالتك، فإن كنت من الطيبين سرحت الروح فى الجنة ونعيمها . فإيَّاك والشك فى شىء : إن الجنة موجودة، والنار موجودة، يقول الشيخ إبراهيم اللقانى ـ رضى الله عنه ـ :

والنار حقٌّ أُوجدت كالجنة * فلا تمِلْ لجاحدٍ ذى جِنَّة

يعنى : النار موجودة، والجنة موجودة، فلا تمل لجاهل ذى جنة .

ورضى الله عنك يا شيخ يا دردير ، يا أبا البركات ، العالم الأزهرى الفاضل ! يقول الشيخ الدردير :

والفعل فى التأثير ليسَ إلا * للواحدِ القهّارِ جلَّ وعلا

فهو يقول لك : ليس لأحد فى الدنيا عمل أو أثر إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ كيف ذلك يا شيخ يا دردير ؟ قال : كل شىءٍ من الله وإلى الله ، هل رأيت الشمس وهى تشرق من المشرق، ثم تسير حتى تصل إلى منتصف السماء ؟! من كان يمسكها ؟ الله . هل ترى ذلك ؟ لا. فكذلك أمر رزقك ! فالذى سيّر الشمس من الشرق إلى الغرب يحضر

لك رزقك من أى مكان ولو تحت الأرض ! الذى جاء بالشمس من المشرق وذهب بها إلى المغرب يأتى برزقك حيثما كنت، فكر وانظر، هو معنا، وما هى العلامات التى تدل على أنه معنا ؟! من الذى جاء بالليل ؟ آمنت بالله ، اللهم توفنا مؤمنين . . . ألمانيا، أمريكا، فرنسا، روسيا، انجلترا، نعم، من جاء بالليل ؟ هل تستطيعون أن تأتوا بليل ؟ لا. إذن فالإله هو مالك الكون، أما أنتم فلا، فلستم بملوك أو حكام حقيقة ، الذى جاء بالليل هو الإله ، نحن لا نفكر ، هو الذى خلق نظام تعاقب الليل والنهار ، وجاء بالليل بمقدار ، وأنتم صنعتم الساعات، ما فائدتها ؟ إنها تضبط الوقت، وهو الذى خلق الوقت ونظامه، هو سبحانه! المواقيت : الساعة كذا العشاء الساعة كذا . الصبح، الساعة كذا الظهر ، الساعة كذا العصر ، فهل أحد منكم له شىء من ذلك التدبير !

﴿الله الذى رفعَ السمٰواتِ بغير عَمَدٍ تَرَوْنها﴾ (١١). فهل رفع أحد منكم ذراعًا واحدًا منها ! الحكام، الدول ، هل لهم شىء فى ذلك ؟ الله يتحداكم، رفع السماوات بغير عمد، وبسط الأرض، ويتحداكم ويقول لكم دنيا وبعدها آخرة . كيف ! كما يقول قائل : نهار بعده ليل، فمن كان مكذبًا فسيرى بعينه، ويصدق رغم أنفه ، والقيامة آتية : ﴿وأنّ الساعةَ آتية لا ريبَ فيها﴾(١٢) .

---

(١١) سورة الرعد : آية ٢ .

(١٢) سورة الحج : آية ٧ .

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إن الذين قالُوا ربُّنا اللهُ ثم استقاموا تتنزَّل عليهمُ الملائكةُ﴾(١٣). قالوا: ربنا الله، ولم يكتفوا بالقول ولكنهم استقاموا، وما معنى استقاموا؟

معناها: الاعتدال، ﴿قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقامُوا﴾ أى: اعتدلوا. وهل يكون الإنسان معوجًّا ومعتدلاً؟

نعم! عندما يسمع المؤذن وهو يقول: «حىّ على الصلاة». ولا يقوم للصلاة فهو معوج! كل شىء يخالف الشرع ففيه اعوجاج، فكن مستقيمًا معتدلاً فى كل أمورك، وما لا تراه أنت فالله يراه، يرى ما نراه نحن وما لا نراه، هو سمَّى نفسه البصير، يرى ما كان خفيًا على الناس.

الأرض فيها ملايين الخَلْق، والله تعالى يرى قلوبهم! ويدرى بحالهم: الناس والبهائم..

ومما يحكى:

«أن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ كان عنده كلب أسود، فأوحى الله إليه إنى أكره الكلب الأسود. فأخذه وذهب به إلى الجبل وأوثقه بحبل، وتركه، وبعد أربعين يومًا ذهب إليه ليتفقده، فإذا بالكلب قد سمن، ووجد ماءً بجواره وفى الماء سمك! والكلب يأكل السمك ويشرب الماء، فتعجب موسى ـ عليه السلام ـ مما يرى، فأوحى الله تعالى إليه: أن يا موسى ما شققت فمًا ونسيته».

---

(١٣) سورة فصلت: آية ٣٠.

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق لكل مخلوق فمًا، للإنسان، وللأسد، وللعصفور ـ مَن خلق الفم ؟ الله .

فمن الذى يخلق لكل فم رزقه ؟ الله !!

فالذى خلق هو الذى يرزق، فليس المدار على النملة، وإنما الأصل هو خالق النملة، هو خلقها وقدر لها رزقها إلى أن تموت، ولن تموت حتى تستكمل رزقها . .

ففكر يا أخى المسلم ؛ لأن الإنسان من غير فكر لا يساوى شيئًا لماذا أنت مهموم ؟! اسمع كلامى كما قال الشيخ :

اسمع كلامى بعد اليوم * عليك بهذى الطريقة
أنا اللى قطعت البحر عوم * وأنا اللى يعرف طريقة

الأمر لله ، فاجعل قلبك دائمًا أبدًا مملوءًا بذكر الله ، لا تحزن فإن الحزن من الشيطان ، وربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : ﴿**ليحزن الذين آمنوا**﴾(١٥) .

فالشيطان يجلب إلى الناس كلامًا يحزنهم ، ومن معه الرحمن لا يخاف من الشيطان . . وفى الحديث :

«**كان النبى ﷺ ـ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة**»(١٦) .

ومعنى «حزبه» اشتد عليه الأمر ، فكان يفزع : أى يلجأ إلى الصلاة

---

(١٥) سورة المجادلة : آية ١٠ .

(١٦) رواه أحمد وأبو داود بنحوه .

فهذا هو الإيمان، عندما يشتد عليه أمر لا يلجأ إلى مخلوق، ولكن يلجأ إلى ربه، فيرفع يديه ويقول: «الله أكبر»: يا رب أنت صاحب الأمر، وقد رفعت الأمر إليك، فهذا رسول الله ـ ﷺ ـ لايتوجه إلى أحد، إلا إلى الله يقول: «إنّى وجهتُ وجْهِيَ للذى فَطَرَ السمٰواتِ والأرْضَ حنيفا»[١٧]، فيقرأ فى الصلاة ويتكلم مع ربه، فيأتيه الفرج.

فما لك والناس؟ ماذا ينفعك عندما تشتكى لفلان؟!

فوِّض الأمر لله، وارفع قضيتك له، وكن كسيد السادات ﷺ: «كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة».

فاللهم خَلِّقْنَا بأخلاقه، اللهم اجزه عنا خير الجزاء، ذلك النبى الحبيب! اللهم ارزقنا زيارته، اللهم ارزقنا شفاعته وفرِّحْنا به، فمن لا يفرح بالنبى ـ ﷺ ـ فلن يعرف الفرح، إذا أردت الفرح الحقيقى فعليك بزيارة النبى ﷺ بالمدينة، وإذا لم تجد نفقة السفر، فلا تحزن فأمامك سبطه مولانا الحسين رضى الله عنه، فزر مقامه وافرح به، إن هاج قلبك شوقًا للمختار فَرَوِّحْهُ بزيارة الحسين ابن بضعته.. ﴿محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه﴾[١٨]: تأمل كلمه «معه» وهل نحن معه الآن؟ نعم!

إن الله تعالى ــ أكرمنا بالصلاة عليه ـ ﷺ ـ والسلام، فندخل فى معيته؛ لأن السلام خطاب، والخطاب يكون للحاضر، فبالصلاة

---

(١٧) سورة الأنعام: آية ٧٩.

(١٨) سورة الفتح: آية ٢٩.

والسلام على النبى ـ ﷺ ـ تدخل فى «والذين معه» ـ ما دليلك على ذلك؟

دليلى أن النبى ـ ﷺ ـ علمنا ذلك :

«السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاتُه»[١٩] .

فخاطبه وتوجه بقلبك إليه كأنه معك . .

﴿والذين معه﴾ المُصَلُّون ، إذا كان الصحابة معه بأجسادهم فى المدينة ، فنحن معه هنا بالصلوات ، نصلى ونُسلِّم عليه ، مَن الذى علمنا ؟ هو ـ ﷺ ـ ، فنحن لا نسلم على غائب ، وإنما نسلم على حاضر ، نخاطبه ونقول : «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته» ، فنحن إذن معه . .

نحن معه عندما نصلى ونسلم عليه ، ونزوره فى المدينة ﷺ . .

وما من أحد يزور أهل البيت كما يزور جدهم عليه الصلاة والسلام إلا سهَّل الله له ويسَّر أمر الزيارة ، بمحبة الله يسَّر الله لهم أمر الزيارة ، هم يقولون : يا رب إن الأبصار لا تراك ، ولكننا رأينا لك أحبة فى الدنيا ، فالنبى ـ ﷺ ـ وأهل بيته هم أحباب الله فى الدنيا ، فاللهم صلِّ عليه ، الحبيب المحبوب ، فهذه الصلوات هى التى مَنَّ الله علينا بها ، تتوضأ خمس مرات ، وتصلى الأوقات ، وأنت معه ، مع الله ومع رسوله . .

﴿فويل للمصلين﴾[٢٠] : أى الغافلين السَّاهين ، الذين لا يدرون ما

---

(١٩) رواه البخارى .

(٢٠) سورة الماعون : آية ٤ .

يقولون أو يفعلـون ؛ لأن الصلاة لا تنعقد إلا بالعقـل ، والسكران مجنون لذهاب عقله ، فكيف نسمى الذين ذهبت عقولهم مصلين ؟!

أخرج الترمـذى ، وأبو داود ، وحسنه النسائى ، وصححه الحـاكم عن علىٍّ رضى الله عنه قال :

«صنع لنا عبد الرحمـن بن عوف طعامًا ، فدعانا وسقـانا من الخمر ، فَأَخَذَت الخمـر منا ، وحضرت الصلاة ، فقـدَّمُونى فقرأت ﴿قـل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ونحن نعبد ما تعبدون﴾فأنزل الله : ﴿يا أيها الذين آمنواْ لا تقربواْ الصلاة وأنتم سُكَارى﴾[٢١] . . اهـ .

فالسكران مجنون ؛ لأن عقله غائب ، يقول ابن الوردى رحمه الله :

واهْجُر الخمرة إن كنت فتًى * كيف يسعى فى جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

وهذا استفهام عجيب حقًا أى : كيف يسعى العاقل الذكى إلى ضياع أغلى شىءٍ عنده وهو العقل ؟!

والخمر : مـا خامر العقل أى : غطـى عليه ، و«كل مسكر حرام» ، وكـل ما يغطـى العقل يـأخذ حكـم الخمـر فى حجـب الخير ، وعـدم الانتفـاع بكلامـه أو حكمـه ، فـالغضب الشـديـد الـذى يغطى العقـل ويحجب عنه رؤية الحق يشبه الخمـر ! قال عليه الصلاة والسلام : «لا يقضِى القَاضِى بين اثنيْن وهو غضْبانٌ» [٢٢] .

---

(٢١) سورة النساء : آية ٤٣ .

(٢٢) رواه البخارى وأحمد وأبو داود وغيرهم .

والحُبُّ البشريّ منه ما هو حلال، ومنه ما هو حرام :

فالحلال : حبّ والديك ، وذوى أرحامك .

والحرام : ما يـؤدى إلى الحرام فهـو ممنوع ، فـأنت تحب فتـاة ، فما غرضك من هذا الحب ؟ إذا كان عندك المال فاذهب لتتزوجها فورًا وإلا فابتعد !

فاللهم ارزقنا المحبة لله ، وهو سبحانه خلق هذا الحب لماذا ؟ لأجل أن تحبه هو : أليس لهذا الحب من أسباب ؟

أسبابه النعم ! أعطانا نعمًا عظيمة لأجل أن نحبه ! فخلق الله الحب ، لمن ؟ للمؤمنين لله رب العالمين ، أكل وشرب وعافيه وصحة ﴿**وما بكم من نعمةٍ فمنَ الله**﴾ (٢٣) .

فهل تذكـرون أم تنسون ؟ يبدو أننا ننسـى ، وفى كل يوم نعـم ، ولكن رسول الله ﷺ ــ لم ينس شكـر نعم ربه ــ سبحانـه وتعالى ــ أبدًا ، روى الإمام مالـك فى الموطأ أن النبى ﷺ ــ كان إذا قام من النـوم مسح عينيه وقال :

«**الحمدُ للهِ الذى أحيانَا بعدما أماتَنَا وإليه النشور**» .

فـالنوم نعمـة عظيمة ، لأن فيـه الراحـة بعد التعـب ، والحياة نعمـة ، وحبيبنا ﷺ يشكر الله عليهـا ، وهذا النوم باب الموت ، فربمـا ينام المرء ولا يقوم مرة أخـرى ، ولذلك فإن النبـى عليه الصلاة والسلام علمنـا أنه عندما يتهيأ للنوم يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ويقول :

---

(٢٣) سورة النحل : آية ٥٣ .

«اللهم أنت خلقتَ نفسى وأنت تتوفاها، لك مماتُها ومحياها، إن أحييتَها فاحفظها، وإن أمتَّها فاغفرْ لها، اللهم أسألك العافية»[٢٤].

فهل يتذكر أحد منكم هذا الكلام عند النوم ؟! فمن يدرى فلعلَّ نومته هذه سفر بلا رجعة، فالأجدر به أن يحتاط لنفسه ؛ فالنبى ـ ﷺ ـ يخاطب ربه : يا رب أنت خلقت نفسى، وأنت تتوفاها، وها أنا أنام الآن، فإن أمتها فأمِتْها على الإسلام، وإن أحييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين . .

﴿ومن آياتِه منامُكُم بالليلِ والنهار﴾[٢٥] : ونحن ننام ناسين ونصبح ناسين آيات الله . . ما هى آيات الله ؟

إنها العلامات التى تدلُّ على أنه موجود، وعلى أنه فعَّال لما يريد، وعلى أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، ﴿منامكم بالليل﴾ الذى يُنِيمكم لا ينام، والذى يميتكم لا يموت . .

فهذه علامات، آيات . . لو كان ينام ـ سبحانه وتعالى ـ لما أنامنا، فنومنا إذن علامة على أنه لا ينام، وموتنا علامة على أنه لا يموت ؛ لأن الحى هو الذى يميت، فسبحان الله الحى الذى لا يموت ! سبحان من يحي ويميت !!

إن الكفار ـ لعنة الله عليهم ـ عندما اجتمعوا اعترضوا على البعث، وقالوا : كيف إذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا رميمًا قديمة كيف نعود خلقًا

---

(٢٤) رواه مسلم .

(٢٥) سورة الروم : آية ٢٣ .

جديدًا مرة أخرى ؟! فنزل القرآن ليردّ عليهم قولهم السقيم، ويقول: ابن آدم هذا معاند وجهول. كيف ذلك ؟

يقول الله تعالى: ﴿وضربَ لنا مثلاً ونسى خَلْقه قال مَن يُحيى العظامَ وهى رميم﴾(٢٦).

ابن آدم الكافر يجادل معى ويقول: كيف يحيى العظام بعد أن تتكسر؟ من الذى يحييها ؟ الجواب: ﴿قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ قل يا رسول الله للكافر المغفل هذا: الذى خلقها أول مرة موجود، يحييها، هل هذه العظام جاءت من نفسها ؟ لا. الذى خلقها فى أول مرة يعيدها. كيف هذا الكلام: العظام الجافة المفتتة تعود طرية مرة أخرى وينبت عليها اللحم ؟ نعم ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ فهو يقول: ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون﴾ عود العظام مرة أخرى عندكم بعيد فما رأيكم فى الشجر الأخضر الذى يخرج نارًا، هناك شجرة موجودة عند العرب، فيها طبقة إذا حكت ببعضها أخرجت نارًا ؟، فهذا رد على من قال: ﴿من يحيى العظام وهى رميم﴾ ثم جاء برد آخر فقال: ﴿أو ليس الذى خلق السمٰوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى﴾ فأنتم يا عرب إذا بنى الواحد منكم مسجدًا كبيرًا ثم انهدم أيستطيع أن يبنيه مرة أخرى ؟ نعم، فهذا مثل عربى، أفلا يستطيع ربكم وهو خالق السمٰوات والأرض أن يزيل الخلق جميعًا ثم يعيدهم مرة أخرى ؟

---

(٢٦) سورة يس: آية ٧٨.

إنه يقدر ـ سبحانه وتعالى ـ وهو الخلاَّق العليم، يحيى العظام وهى رميم ـ بعدما تفتَّت وتكسَّرت . .

فلما جاء الرجل الكافر إلى النبى ﷺ يحمل عظمة متفتتة، وأخذ يجادل ويعاند ويقول له ﷺ ـ : هل يستطيع ربك أن يحيى هذا العظم بعدما بلى وتفتت ؟ فجاء الجواب من عند الله سبحانه وتعالى :

﴿قلْ يُحييها الذى أنشأَهَا أولَ مرة﴾ (٢٧) .

أى : قل يا رسول الله لهذا المغفل ! إن الذى خلقها أول مرة موجود، ويحييها كما خلقها، فهل هذه العظام وُجِدت من تلقاء نفسها ؟ طبعًا لا . وإنما الذى خلقها الله، وهو الذى يعيدها، كيف ذلك ؟ العظمة اليابسة يعود إليها اللحم الطرىّ ؟ نعم !

الله يخلق ما يشاء : ﴿الذى جعلَ لكم من الشَّجرِ الأَخْضَرِ نارًا فإذا أنتم منه تُوقِدُون﴾ (٢٨) .

فانتبهوا إلى المثل ! نوع من الشجر معروف عند العرب تستوقد منه النار، ثم جاء رد الإنسان ثانية ؟ اليدان انفصلتا وكذلك الرجلان وسائر الأعضاء ؟

قال سبحانه : ﴿وهو بكل خَلْقٍ عليم﴾ ثم قال : ﴿وهو الخلاَّق العليم﴾ . فلا يختلف الترتيب . . كل إنسان ترجع إليه عظامه ولحمه وأعضاؤه .

---

(٢٧) سورة يس : آية ٧٩ .

(٢٨) سورة يس : آية ٨٠ .

بكل مخلوق عليم ! عليم جدًا أعلم من كل عالم . الخلق جميعًا يقومون يوم القيامة ، ولكلٍّ أعضاؤه : يداه ورجلاه وعيناه معه كما كانوا وهم أحياء . سبحانك ! آمنا بك يا رب ! اللهم إنا نعوذ بك من الشك بعد اليقين ، وعلام تشك ؟

ألم تنظر إلى المرأة وهى حامل ، ثم يخرج من بطنها الولد ؟ بطن المرأة ليس فيها عظام ولا شيء ، فالذى أخرج من البطون أطفالاً أحياء قادر على أن يخرج من القبور أناسًا أحياء . .

ولا تظن أن الزمن بلا نهاية ، فالقيامة آتية ، وأكبر دليل عليها إرسال الله تعالى الرسل ، وختم الرسالة بسيدنا محمد ﷺ ، وقد سمَّى نفسه نبى الساعة ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**بعثت أنا والساعةُ كهاتين**»(٢٩) .

يعنى : أن الساعة اقتربت ، ورسالته علامة على إتيانها ، ومن أكبر العلامات على اقترابها أن يترك الناس العمل بالقرآن ! فإذا تركوا العمل بالقرآن فهذا أكبر دليل على قيام الساعة .

سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ! (ثلاثًا) الملائكة عددهم كثير جدًا ، يأتون لسماع العلم ، ويأتون عند الذكر ، وسبحان من حجبهم عنا ، نحن لا نراهم ولكنهم موجودون ! يذكرون الله ليلاً ونهارًا ، فلا تظن أن الأزهر خالٍ منهم ، الأزهر مملوء عبادة ، الأعمدة تسبح والسقف يسبح ، ومملوء بالملائكة ، والكل يقول : سبحان الله !

---

(٢٩) رواه البخارى وابن ماجة .

قال تعالى :

﴿وإن من شيءٍ إلا يسبِّحُ بحمدِه﴾ (٣٠) . فلا تحدثك نفسك أن الله تعالى محتاج لصلاتك، وإنما أنت تصلى لنفسك قال تعالى : ﴿من عَمِل صالحًا فلنفسِه﴾ (٣١) . والله تعالى ليس محتاجًا إلى عبادة أحد، ولا تعتقد أنه عندما يقول المؤذن : (الصلاة خير من النوم) أنه لا أحد يصلى، إن المساجد خالية لكنها معمورة بالملائكة، إن المساجد لا تخلو أبدًا، وإنما هى عامرة بالملائكة، يأتون عندما يسمعون الآذان، ويعمرون المساجد، فلا تظنوا أنكم إذا تأخرتم عن الصلاة أن المساجد إذا تأخرتم عنها ستخرب ! لا. هى عامرة بالملائكة .

س : كيف يسير السحاب ومَن يسوقه ؟

جـ: أين روحك ؟ أليست فى جسدك ؟ فى جسدى . من الذى يمسكها ؟ الله . فمَن الذى يمنع خروجها من جسدك ؟ الله . هو ممسكها، وهو الذى يُطْلِقُهَا أو يُبْقِيها، كذلك السحاب يسير بإذن الله . قال تعالى : ﴿والسَّحابِ المسخرِ بينَ السماءِ والأرض﴾(٣٢) . مسخر من الذى سخره ؟ الله ! يسيره كيف يشاء .

يا سحاب : اذهب إلى مكة : فيسير فورًا !

وهناك ملائكة موكلون بأمر السحاب، وهناك ملائكة معنا فى

---

(٣٠) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

(٣١) سورة فصلت : آية ٤٦ .

(٣٢) سورة البقرة : آية ١٦٤ .

الأرض، منهم ملكان: رقيب وعتيد، فاعرفهما جيدًا، ومعهما عشرة حفظة فيصبحون اثنى عشر ملَكًا . .

قال عليه الصلاة والسلام :

«يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار »[٣٣] .

مع كل إنسان ـ مسلم أو كافر ـ اثنا عشر ملكًا يجب على الإنسان أن يتذكرهم ﴿يتعاقبون﴾ كأنهم دورية ! يصعد العشرة فيأتى مثلهم، وهذا الكلام حق، وعندما نصلى صلاة العصر يكون معنا (١٢) ملكًا، ثم يأتى عشرة آخرون فيصبحون (٢٢) اثنين وعشرين، يبقون معك وأنت نائم، وفى صلاة الفجر يصعد العشرة الذين كانوا معك أول النهار وهكذا، فهذا هو معنى «يتعاقبون»أى: تأتى جماعة بعد جماعة . . ولذلك قال تعالى : ﴿وقرآنَ الفجرِ إن قرآنَ الفجرِ كانَ مشهودًا﴾[٣٤] . فاهتموا جيدًا بصلاة الفجر !

وما معنى قرآن الفجر ؟

قال المفسرون : المراد به صلاة الصبح ؛ لأنك تصلى الصبح وتقرأ فى صلاتك القرآن . .

﴿إن قرآنَ الفجرِ كان مشهودًا﴾ مشهودًا أى : فيه شهود : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فهم يشهدون لك يوم القيامة بأنهم سمعوا

---

(٣٣) رواه البخارى ومسلم .

(٣٤) سورة الإسراء : آية ٧٨ .

منك القرآن فى الفجر ، فمن يفكر فى هذا الكلام ؟! وهؤلاء الملائكة لا يكلفوننا شيئًا أبدا، فإذا مات الإنسان فإن الملائكة الحفظة ـ كلهم ـ يصعدون إلى السماء بأعماله ، ويبقى الكاتبان : رقيب وعتيد، فإن كان رجلاً مؤمنًا ، جلسَا على قبره يستغفران له إلى يوم القيامة، وإن كان رجلاً كافرًا جلسَا على قبره يلعنانه إلى يوم القيامة . .

قال تعالى : ﴿وجاءت كل نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ﴾(٣٥) . وعندما تقوم القيامة فإن الملائكة يكونون معك أيضًا ، الكاتبان يمشيان معك، يُعينانك . .

والحكم الأصلى العام فى الملائكة أنهم يروننا ولا نراهم ، وبعض الناس الصالحين الطيبين يكشف الله تعالى لهم الحُجب فيرون الملائكة . . والشياطين ـ أيضًا ـ يروننا ولا نراهم .

وبعض الناس يكون أصحابه من الملائكة ، ومن الناس من يكون له قرناء من الشياطين . .

فالذى يقوم من النوم، ويصلى الصبح، ويجلس ليقرأ القرآن فهذا أصحابه من الملائكة، يفرحون به، ويرضون عنه، ويُسَرُّون لعمله، والذى لا يصلى ولا يعبد، ولا يقرأ، فقرناؤه من الشياطين، يفرحون لتقصيره ومعصيته ! عندما يأكل يأكلون معه، وعندما يشرب يشربون معه، حتى عندما ينام مع زوجته يشاركونه فى الجماع !

---

(٣٥) سورة ق : آية ٢١ .

وهناك أحاديث مروية ثابتة تفيد أن الشيطان يجامع الزوجة مع الرجل الذى لا يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . .

وهذا حديث مهم يجب عليكم جميعًا أن تفهموه، خاصة المتزوجين منكم، فيجب أن يتعلم كل مسلم الاستعاذة قبل الجماع . .

يقول الله تعالى : ﴿وشاركْهُم فى الأموالِ والأولادِ وعِدْهم وما يعدُهُم الشيطانُ إلا غُرُورًا﴾(٣٦) .

وإليك الحديث الذى قاله النبى ﷺ فى شرح معنى : ﴿وشاركْهم فى الأموالِ والأولادِ﴾ وقد قال العلماء : يجب على كل مسلم قبل أن يتزوج أن يعرف هذا الحديث : قال عليه الصلاة والسلام : «إذا جامع أحدكُمُ فليقل : اللهم جنِّبْنى الشيطانَ ، وجَنِّب الشيطانَ ما رزقْتَنَا، فإنه إذا لم يقلْ ذلك جَامعَ الشيطانُ معه فيخرج الولدُ من بينهما» (٣٧) .

والمعنى : اجعل يا رب الشيطان يبتعد عنِّى وعن زوجتى، وعن أولادى الذين ترزقنى بهم منها ؛ لأن الشيطان يأتى كما قال النبى ﷺ - فى الحديث السابق للرجل الذى لا يستعيذ بالله منه فيجامع زوجته معه، فيأتى الولد من بينهما . . فيخرج الولد كأنه مزيج من الإنسان والشيطان!

والعامة عندنا يقولون : ماذا جرى لهذا الولد؟ يبدو أن أهله لم يسموا عليه !! طفل شقى عفريت ! يعنى : أن أباه لم يذكر اسم الله عندما جامع !

---

(٣٦) سورة الإسراء : آية ٦٤ .

(٣٧) رواه البخارى ومسلم .

وقد كان معى رجل فى لوكاندة، فجاء الأطفال يلعبون فى الحنفيات، فكان إذا نهرهم لا يخافون منه، ويهزأون بكلامه، فكان يرفع يديه إلى السماء ويقول: اللهم لك الحمد أطلت عمرى حتى رأيت أنا أولاد الطلاق الثلاث!!

فقلت له: ما هذا الكلام الذى تقوله؟! فقال: هؤلاء كلهم أمهاتهم طلقن ثلاثًا، وردهنْ أزواجهن مرة أخرى!

فهم ليسوا أولاد حلال! ولو كانوا ذلك لاستحيوا منى وسمعوا كلامى، الواحد منهم أبوه يطلق أمه ثلاثًا، فتحرم عليه، فيذهب لواحد ويدفع له قرشين! ليقوم بدور المحلِّل! فهؤلاء أولاد الطلقات الثلاث!!

فالدنيا فيها خراب كثير! وفيها عمار كثير أيضًا.

وعمار الدنيا: النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه موجود فيها فها نحن اليوم بعد (١٣٩٠ سنة) كأنه يتكلم معنا، لماذا؟ سنتُّه وكلامه موجود معنا نسمعه!

فعندما ينام الرجل مع زوجته يجب أن يذكر الله تعالى، فلا يكون كالحمار! فمَنْ منَّا يتذكر؟ مَنْ يعمل بهذه السنة؟ ونحن نُذكر الناس والله تعالى يقول: ﴿وذكِّر فإن الذكرى تنفعُ المؤمنين﴾(٣٨).

فهل التسمية قبل الجماع حرام؟ كلا. بل هى حلال، لماذا؟ لأن الذى يزنى بواحدة ـ والعياذ بالله ـ لا يجرؤ على ذكر اسم الله تعالى، كيف يذكر الله على الزنا؟

---

(٣٨) سورة الذاريات: آية ٥٥.

لأن الزنا أشد الحرام، وذكر الله عند الزنا حرام أيضًا . . وإذا ذكر اسم الله عند الزنا فهل ذلك يبعد عنه الشيطان ؟ لا، طبعًا لا ينفعه ذلك، ولا يبتعد عنه الشيطان، وإنما يبتعد عنه الشيطان عند ذكر اسم الله قبل الجماع الحلال !

كذلك إذا سرق أحدهم خروفًا أو ما عزًا، وأراد أن يذبحه فقال : بسم الله ، فهل تحرم عليه البسملة ؟

نعم ! تحرم البسملة عند ذبح الشاة المسروقة ؛ لأنها حرام عليه . . فكيف يذكر الله تعالى على الحرام ؟!

كذلك إذا سرق رغيفًا وأراد أن يأكله فهل يذكر اسم الله ؟

قالوا : لا، لا يذكر اسم الله على ما حرم الله ـ تعالى ـ، لا عند الأكل ولا عند غيره . .

فذكر الله عند الحرام حرام، وذكره ـ عزَّ وجلَّ ـ عند الحلال سنة لأجل أن يطرد الشيطان . .

س : ما حكم المحلِّل ؟

جـ : عند الشافعية ـ كما تلقيت عنهم ـ جائز ، أما عند المالكية فلا يجوز . .

وصورة المحلل الجائزة عند الشافعية هى : أن يأتى بالرجل الذى سيتزوج المرأة المطلقة ثلاثًا ويقول له : تزوج فلانة هذه، فيعقد المأذون القران، بحضور الشهود ويقول ولىّ المرأة : زوجتكها، ولا يذكر لفظ التحليل أو غيره ، وبعد أن يدخل بها الزوج الجديد ويجامعها،

يطلقها إن أراد ، فتحلّ للزوج الأول، على أن الزوج الثانى يمكنه أن يبقيها ولا يطلقها فهى حلال له . .

أما الحرام : فأن يعقد المأذون للمحلِّل بنية واتفاق وصريح لفظ أن الغرض من الزواج أن تحلَّ لزوجها الأول، فهذا هو الحرام[٣٩]، وهذا هو معنى المحلِّل الذى لعنه النبى ﷺ بقوله : «**لعن اللهُ المحلِّل والمحلَّل له**»[٤٠].

فهذا هو الحديث . . وفى حديث آخر سمَّى المحلِّل «**التيس المستعار**»[٤١] . نعوذ بالله من ذلك !!

س: ما معنى ﴿ولذكر الله أكبر﴾[٤٢]؟

جـ : قال تعالى : ﴿فاذكرونى أذكركم﴾[٤٣]، فعندما يقول العبد: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، يقول ربنا سبحانه وتعالى : عبدى ذكرنى، وأنا أُريد أن أذكره . . بأى شىء ؟

إن كان مريضًا شفيته، وإن كان مفلسًا أعطيته النقود . . فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : أنتم تذكروننى، وأنا أذكركم، ولكن ذكرى أنا هو الأكبر ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ، لاذكركم أنتم ؛ لأن فائدته أكبر ،

---

(٣٩) يراجع تفسير القرطبى : ١/ ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٤٠) رواه أحمد والنسائى وغيرهما .

(٤١) ونص الحديث «ألا أخبركم بالتيس المستعار ، هو المُحلّ فلعن الله المحلَّ والمحلَّل له» . رواه ابن ماجة والحاكم .

(٤٢) العنكبوت : آية ٤٥ .

(٤٣) سورة البقرة : آية ١٥٢ .

فعندما يمرض الإنسان أو يجوع أو يخاصم امرأته، يمسك السبحة ويذكر قائلاً : لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله، فيشفيه، ويغنيه، ويصلح امرأته ويهديها، يعطيك الرزق ولكن لابد من السعى ؛ لأن الرزق لا ينادى على أحد ولا يطرق عليه باب بيته !

س: الماء المستعمل فى الوضوء ، هل يستعمل مرة أُخرى ؟

جـ: الماء المستعمل فى الوضوء أو الغسل لا يستعمل مرة أخرى عند الشافعية، ويكره استعماله عند المالكية ـ إن وجد غيره . فإن لم يوجد غيره لم يكره ـ لماذا؟ لشدة الحاجة : كأن يكون رجل فى مكان بعيد، الماء فيه شحيح مثل مرسى مطروح وليس عنده إلا دلو ماء واحد، فنام مع زوجته ثم اغتسل منه، ثم عاود الجماع مرة أخرى وليس عنده ماء آخر . فيجوز له أن يغتسل من الماء الذى اغتسل منه أول مرة ، هذا على مذهب الإمام مالك رضى الله عنه .

س: ما حكم الاغتسال بماء البحر المالح ؟

جـ: ورد حديث صحيح أن الصحابة قالوا: يا رسول الله : إنا نركب البحر ـ يعنى نركب السفينة ـ ونحمل معنا القليل من الماء ، لأجل أن نشرب، ولا يكفى الماء للوضوء والشرب معًا، أفنتوضأ بماء البحر ؟ ـ يسألون عن حكمه ـ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هو الطهور ماؤه ، الحِلُّ ميتته**»(٤٤) .

---

(٤٤) رواه الترمذى .

يعنى أن البحر ماؤه طاهر ، فتوضأوا منه ، واغتسلوا ، والسمك الذى فيه - وإن مات - فهو حلال ، فكُلوا منه فهو الطهور ماؤه ، الحِلُّ ميتته .

س : ما حكم لبس الذهب والحرير للرجال ؟

جـ : ثبت من الأحاديث الواردة فى البخارى ومسلم وغيرهما أن لبس الذهب والحرير حرام على الرجال ، فيحرم لبسهما عليهم لأنهما حلية أهل الجنة ، ولكن يجوز للرجل أن يلبس خاتمًا من فضة وزنه درهمان فقط :

عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ **صنع خاتمًا من ذهب فتختم به فى يمينه ، ثم جلس على المنبر فقال : إنى كنت اتخذت هذا الخاتم فى يمينى ثم نبذه ونبذ الناس خواتيمهم**»[٤٥] .

فلبس الذهب حرام على الرجال سواء كان قليلاً أم كثيرًا ، وقد أحلَّ الله تعالى لبس الذهب والحرير للنساء ، فالذى يريد أن يدخل معهن فى الحكم فليدخل !!

س : ولماذا يحرم لبس خاتم الحديد ؟

جـ : يحرم لبس خاتم الحديد ؛ لأنه حلية أهل النار[٤٦] ، كما ورد فى الحديث [٤٧] ، فربنا يريد أن يغيظ أهل النار ؛ لأن أهل الجنة

---

(٤٥) رواه الترمذى ، والبخارى ومسلم بنحوه .

(٤٦) هذا على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه .

(٤٧) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة .

يقولون : يا أبا جهل ، يا أبا لهب ! نحن نلبس أساور من فضة ومن ذهب ، وأنتم لكم أساور من حديد ، وفرعون كذلك يُلبسونه أساور من حديد جهنمية . . أبعدنا الله تعالى عن النار ، وعن حلية أهل النار !

س : بعض الناس يقول : إن الجمعة فيها أربع ساعات يُستجاب فيها الدعاء ، فهل هذا صحيح ؟

جـ : ليس فيها أربع ساعات ، وإنما هناك ساعة واحدة يوم الجمعة يجاب فيها الدعاء ، وقد اختلف العلماء فيها :

فقيل : إنها تبدأ من لحظة صعود الإمام المنبر ليخطب إلى أن ينزل وتقام الصلاة ، وقيل : هى عند غروب يوم الجمعة . وقد جاء فى الخبر المروى عن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها أنها كانت تبعث خادمتها يوم الجمعة ، وتطلب منها تنبيهها إلى ساعة الغروب ، فإذا جاء الوقت ذهبت إلى البقيع ، ودعت الله تعالى . .

فهى رضى الله عنها ترى أن الساعة التى يُستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة هى ساعة الغروب ! فهذا ما ورد عن السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ ، وقد كانت ذات خصال حميدة ، وسنن طيبة ، فإذا أردت أن تقتدى بها فافْعَلْ مثلها ، وادع الله تعالى يوم الجمعة عند غروب الشمس . .

أما ساعات التبكير إلى يوم الجمعة : فلها حديث آخر مروى فى صحيح البخارى ، قال عليه الصلاة والسلام :

«من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما

قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »[٤٨] .

س : ومتى تبدأ هذه الساعات ؟

جـ: قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾[٤٩] .

فإذا نادى المؤذن للصلاة من يوم الجمعة «فاسعوا» وجوبًا إلى ذكر الله، فعندما يقول : (الله أكبر): يحرم البيع والشراء عند الآذان الثانى، ويكره عند الآذان الأول فى مذهب الإمام مالك، فالذى يجىء أولاً أفضل من الذى يجىء بعد ذلك . .

« ا هـ »

---

(٤٨) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٤٩) سورة الجمعة : آية ٩ .

الدرس التاسع والثلاثون

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُه ما زَكَى منكم مِّن أَحَد أبدًا ولكنّ اللهَ يزكِّى مَنْ يَشَاءُ واللهُ سميعٌ عليم﴾(١) .

﴿الحمد للهِ الذى هدانا لهذا وما كنَّا لنَهْتَدىَ لولا أَنْ هَدَانا اللهُ﴾(٢) .

هذا حمد أهل الجنة عندما رأوْا النعيم المقيم شكروْا الله أن هداهم لهذا . . ونحن نقول : الحمد لله الذى هدانا لشهر الصيام ، والحمد لله الذى فرض علينا الصيام ، والحمد الذى وفقنا إلى أن نصوم شهر رمضان ، ونسأله أن يتقبل منا ، فإن المدار على القبول ، لا على العمل وحده . .

فإذا قبل الله العمل كان هذا هو الفوز العظيم . .

والتوفيق إلى العمل دلالة على القبول ؛ لأن الله لا يخيب عبدًا جاءه ، ونحن قد جئناه طامعين فى كرمه . .

ولله ـ سبحانه ـ أبواب كثيرة ، وما من باب إلا وفيه رحمة وما من باب إلا وفيه قبول . . فنحن جئناه من باب الصيام فصُمْنا ، فنسأله أن يتقبل منا . .

---

(١) سورة النور : آية ٢١ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٤٣ .

وللطائعين قبول عظيم عنده ـ سبحانه وتعالى ـ فالمولى ـ عزّ وجلّ ـ يقبل الصائمين ، ويقبل المصلين ، ويقبل المزكين ، ويقبل الطائعين ويقبل البارين بوالديهم ، ويقبل الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات . . فالله ـ تبارك وتعالى ـ تعاظمت صفاته بلا نظير . . فهو الحليم الذى لا نظير لحلمه ، وهو الكريم الذى لا مثيل لكرمه !!

والعبد إذا عرف عظمة الله وجلال صفاته استحيا منه ! وكيف لا تستحيي أيها العبد من ربٍّ إذا أذنبتَ ستركَ ؟ ألا تستحيى من ربٍّ إذا استغفرتَه غفر لك ؟! ألا تستحيى من ربٍّ إذا تبتَ إليه قبلك ؟ ألا تستحيى من ربٍّ يراك وقد أذنبتَ ويَسْتُرُك ؟ ألا تستحيى من ربٍّ كريمٍ إذا أنت قطعت عبادته لم يمنع عنك كرمه ؟

كريم عليك : سواء كنت طائعًا أو عاصيًا . . ألا تستحيى منه ؟

ألا تستحيى من ربٍّ إذا تركت الصلاة أطعمك وسقاك وأنزل عليك نعمه ؟ ألا تستحى من ربٍّ يجود عليك بالكرم العظيم وأنت تفعل الذنب العظيم ؟

« يا مَنْ لا يؤاخذُ بالجريرة ، ولا يهتكُ السَّريرة ، يا عظيمَ العفو ، يا حَسَنَ التجاوز » (*) .

لا أحد أثنى على الله مثل ثناء النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا دعا الله كدعاء النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فهو الشفيع المشفع ، وهو الرحيم : ﴿بالمؤمنين رءوفٌ رحيم﴾(٣) .

(*) رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عمر .

(٣) سورة التوبة : آية ١٢٨ .

وما أكثر نعم الله علينا ! وما أعظم نعم الله علينا ! ومن أعظمها نعمة إرسال سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ لنا بشيرًا ونذيرًا .

والمولى يذكرنا بهذا، ويمنُّ علينا به، فيقول : ﴿لقد جاءَكُم رسولٌ مِنْ أَنْفُسِكم﴾ . أي : إن الله أرسل إليكم رسولاً من أنفسكم رحمة بكم . ﴿عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءُوفٌ رحيمٌ﴾(٥) .

هذا من أعظم الفضائل على المسلمين أن بعث الله إليهم نبيًا رحمة للعالمين : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمةً للعالمين﴾(٦) .

فهو رحمة للكون كله ، أرسله الله لنا رءُوفًا فكان بنا رءُوفًا ، وأرسله لنا رحيمًا فكان بنا رحيمًا فللّه الحمد مع عجزنا عن أن نحصى نعمه علينا!!

فيا عجبًا كيف يعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كل شيءٍ له آية * تدل على أنه الواحدُ
ولله في كل تحريكة * وتسكينة أبدًا شاهدُ

المولى ـ سبحانه ـ سمى نفسه «القريب» فهل فكرت حتى تعرف معنى «القريب»؟! وهل تذكرت هذا حين سمعت قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولقد خلقنا الإنسانَ ونعلمُ ما توسْوِسُ به نفسُه ونحن أقربُ إليه مِنْ حَبْلِ الوَرِيد﴾(٧) .

هذه ثلاث جُمَل : ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ ﴿ونعلم ما تُوَسْوِسُ به نفسه﴾ ﴿ونحن أقربُ إليه مِنْ حَبْلِ الوريد﴾ . .

---

(٥) سورة التوبة : آية ١٢٨ .
(٦) سورة الأنبياء : آية ١٠٧ .
(٧) سورة ق : آية ١٦ .

فالإنسان خَلْق الله . . هذا الإنسان الموجود فى أحسن صورة يبصر ، ويسمع ، ويعقل ، ويبطش بيديه ، ويمشى على رجليه . . هذا خلْق الله ! !

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أى : تكرمنا : على الإنسان وخلقناه فى أحسن صورة ، وأنعمنا عليه بأحسن النعم ، خلقنا الإنسان وما يلزم الإنسان من النعم . . لم نخلق الإنسان وتركناه . . بل خلقناه ورزقناه من الطيبات : أى الأشياء الطيبة اللذيذة . .

قال ـ تعالى ـ : ﴿الذى أعطى كلَّ شىءٍ خَلْقه﴾ (٨) : أعطى كل مخلوق ما يلزمه ، خلق الإنسان وأعطاه ما يلزمه من طعام وشراب من غير أن يسأل . .

هل أنت سألت ربك أن يعطيك عينيْن ؟! لا . . هل أنت سألت ربك أن يعطيك أُذنيْن ؟! لا . . هل أنت سألت ربك أن يعطيك يديْن ؟! لا ! هل أنت سألت ربك أن يعطيك رجليْن ؟! لا . . وهل وصل عقلك إلى ضرورة أن تكون رجلك على ما هى عليه ؟! لا . فإذا نظرت إلى البهائم عرفت فضل نفسك وأدركت مدى كرم الله عليك ، وأنه أهل للشكر الدائم والثناء الجميل : ﴿أعطى كلَّ شىءٍ خَلْقه﴾ . .

﴿خلقنا الإنسان﴾ أسند الفعل ﴿خلق﴾ إلى ضمير المعظم نفسه ﴿نا﴾ ، وعند العرب : الواحد يقول (خلقتُ) ، والجماعة تقول (خلقنا) ، وكذلك الفرد المعظم نفسه يقول : خلقنا . .

---

(٨) سورة طه : آية ٥٠ .

ومن أحق من الله بالعِظَم ؟! لا أحد . .

وفى خلق الإنسان ما يدل على عظمة الله ـ سبحانه ـ حيث خلقه الله على غير مثال سابق، فاخترعه اختراعًا وابتدعه ابتداعًا . .

وإذا نظرت إلى نفسك عرفت أن ربك بديع فى خلقك ﴿وفى أنفسِكم أفلا تُبصرون﴾[٩] .

وإذا نظرت إلى نفسك عرفت أن ربك حكيم؛ لأنه أحكم خلْقك، وجمَّل صورتك . . فركب العظام وكساها لحمًا كل هذا فى خلقٍ بديع !!

فانظر إلى نفسك ثم انتقل * للعالم العلوىّ ثم السُّفُلِ
تجد به صنعًا بديع الحكم * لكن به قام دليل العدَمِ
وكل ما جاز عليه العدمُ * عليه قطعًا يستحيل القِدمُ

هكذا قال الشيخ اللقانى المالكى الأزهرى ـ رحمه الله ـ فى «جوهرة التوحيد» : فانظر لنفسك والعالم كله تجد به صنعًا بديع الحكم : سمٰوات، وأرض، وشمس، وقمر . .

«لكن به قام دليل العدم» : أين الليل؟ ذهب !!

وأين النهار ؟ ذهب !! وأين الشمس ؟ غابت !!

وأين القمر ؟ غاب!! وأين ابن آدم ؟ مات ! . . . وهكذا .

وكل ما جاز عليه العدمُ * عليه قطعًا يستحيل القِدَمُ

---

(٩) سورة الذاريات : آية ٢١ .

فالقدم لمن ؟ لله . . والبقاء لمن ؟ لله . .

والموجودات مع كونها فى أبدع صورة قام بها دليل يدل على أنها زائلة ؛ لما ثبت أنها محدثة !!

ففكر : أين كان ابن آدم ؟ كان عدمًا . . وأين كنت أنت ؟ كنت معدومًا ثم وُجدت . . إلى أين ذهب ابن آدم ؟ مات . . إذن : فابن آدم موصوف بأنه حادث ، وموصوف بأنه فانٍ . . والله ـ تبارك وتعالى ـ موصوف بأنه قديم لا أول له ، وبأنه باقٍ لا آخر له . .

وعندنا أسماؤُه العظيمة * كذا صفاتُ ذاتِه قديمة

وإذا نظرت إلى نفسك عرفت أن ربك مريد : أراد وجودك فكان . وإذا نظرت إلى نفسك عرفت أن ربك قادر: تعلقت قدرته بخلقك فخلقك !!

وإذا نظرت إلى نفسك عرفت أن ربك نور السمٰوات والأرض ، فنوَّر عينيك لتبصر بهما . .

وإذا نظرت إلى نفسك علمت أن الله سميع يسمع خبايا النفوس ، وخلق فيك أذنيْن تسمع بهما القرآن العظيم الدالّ على عظمته . . ولولا السمع فى الإنسان لكان مثل الحجر !!

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ خلقنا الإنسان سميعًا بصيرًا متكلمًا عاقلاً ، خلقنا الإنسان بصنعة بديعة ، خلقنا الإنسان وأعطيناه نعمًا عظيمة . . خلقنا الإنسان وسخرنا له الكون ، خلقنا الإنسان وأوجدنا فيه مؤهلات للانتفاع بهذا الكون المسخر له ، فيركب الجمل باستعدادات ربانية

أوجدها الله فيه ، ويركب الحصان ، ويركب الباخرة ، ويركب الطائرة ، ويحرث الأرض، ويزرع الزرع ، ويجنى الثمار من النخل ! ما رأينا جملاً على نخلة يأتى منها بثمر ، ولكن رأينا الإنسان مكرَّمًا تأتى إليه ثمار النخل ، وإن لم يكن زارعًا نخلاً .

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ ووهبناه نعمًا عظيمة ، أوجدنا فيه استعدادًا ليشرب الماء فشرب، وأوجدنا فيه استعدادًا ليأكل فأكل، وأوجدنا فيه استعدادًا ليسمع فسمع ، وأوجدنا فيه استعدادًا لينفق فأنفق، وأوجدنا فيه استعدادًا ليتكلم فتكلم، وأوجدنا فيه استعدادًا ليتنفس فتنفس ، وأوجدنا فيه استعدادًا ليمشى فمشى . .

ومع هذه النعم العظيمة أوجد له الأعداء التى تهدده لكى يفزع إلى مولاه . . فالأمراض بأنواعها موجودة ، وكلها من أعداء الإنسان . . من الذى يحفظ الإنسان منها ؟

اللطيف الخبير . .

ولو كانت الدنيا بدون مدبر لهجمت الأمراض على الناس وقضت عليهم، ولكن الدنيا ليست فوضى ! إنها بيد عزيز حكيم !! يكون الموت قريبًا من الإنسان ولا يهجم عليه . . لماذا ؟ منعه الغالب ـ سبحانه ـ !

يموت واحد بجوارك وأنت لا تموت . . لماذا ؟ منعه الغالب سبحانه !!

لو كان الموت بغير قدر لمات الناس جميعًا ، وكذلك المرض وكذلك الفقر ، ﴿وكل شىء عنده بمقدار﴾[١٠] .

---

(١٠) سورة الرعد : آية ٨ .

أى بمقدار محدد، وبموعد مؤقت . فهو القائل سبحانه : ﴿لقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا﴾[11] .

(أحصاهم) أحصى الخلق : جمعهم زمانًا ومكانًا .

﴿وعدَّهم عدًّا﴾ عرفهم بالملايين ، وعرف ما عليهم من حقوق، هذا عليه صلوات ! هذا عليه ديون ! هذا عليه زكوات ! هذا معه مال ووجب عليه الحج ولم يحج ! هذا لم يؤد حق الوالدين ! هذا قصر فى حق زوجته !!

﴿لقد أحصاهم وعدَّهُم عدًّا﴾ عرفهم فردًا فردًا، وعرف أعمالهم، ومالهم وما عليهم . .

ولا يستكثر هذا على الله ـ سبحانه ـ وهو القائل : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبيرُ ﴾[12] إذا كان الله هو الذى خلقهم فكيف لا يحيط بأحوالهم ؟!

ولقد جعلتُك فى الفؤادِ محدثى * وأبحتُ جسمى مَنْ أراد جُلُوسى
فالجسمُ منى للجليسِ مؤانسٌ * وحبيبُ قلبى فى الفؤادِ أنيسى

العارف بربه قال : أنا جعلتك يا رب فى قلبى محدثى !

وذكرك أفضل الذكر . . ومن أعرض عنه فقد أعرض عن الأفضل !

وكلامك أفضل الكلام . . ومن أعرض عنه فقد أعرض عن الرُّوح :

---

(١١) سورة مريم : آية ٩٤ .

(١٢) سورة الملك : آية ١٤ .

﴿وكذلك أوحينا إليْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنا﴾ (١٣) فكما أن الجسد يحيا بالروح ، جعل الله القرآن تحيا به الروح (رُوحًا) أى : قرآنًا تحيا به الأرواح كما تحيا الأشباح بالأرواح !! ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أنا أفرح عندما أتذكر أنك أنت الذى خلقتنى ! أنا أفرح عندما أتذكر أننى عبد لك ! أنا أفرح عندما أتذكر أنك أنت الوكيل . . وقد توكلت عليك ! إذا جُعْت سألتك الطعام ، وإذا عطشت سألتك الماء ، وإذا عريت سألتك الكسوة . . فنعم الوكيل أنت يا الله . . مم تخاف يا ابن آدم والله هو الوكيل ؟ وهو القائل :

﴿وهو على كلِّ شىءٍ وكيل﴾ (١٤) . .

لم تحمل همَّ الرزق ؟! كيف ، ومن عرف ربه لا يهتم !! (الله حسبنا) أى : كافينا من الكفاية ، (ونعم الوكيل) : وهو ينادى عليك دائمًا علام الهم والحزن ؟ سلِّم المُلْك للمالِك ! الذى خلقك برأس وعينيْن ويديْن ورجليْن من غير سؤال قادر على أن يأتيك بالرزق ، وهو أهون عليه !!

والله ـ سبحانه ـ قدَّر لكل خلق رزقه . . قال الشيخ اللقانى الأزهرى :

(والرزق عند القوم ما به انتُفِعْ * وقيل : لا . بل ما ملك وما اتُّبِعْ)

ما انتفعت به من أكل وشرب وملبس هو رزقك ، وما زاد عن ذلك من الأطيان والعمارات والحدائق يسمى ملكًا لا رزقًا . . سيدنا عبد الله بن جعفر بن أبى طالب زوج السيدة زينب رضى الله عنها كان من أكرم

---

(١٣) سورة الشورى : آية ٥٢ .

(١٤) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

أهل زمانه، وكان يضرب به المثل فى الجود، وكان يسكن فى المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ ذهب إلى بستان، فوجد حارس البستان قد أعدَّ ثلاثة أرغفة طعام يومه، فجاء كلب ودخل عليه، فأعطاها كلها له . . فنظر إليه عبد الله بن جعفر وقال: يا هذا لقد أعطيت أكلك كله للكلب !! قال له الحارس : يا سيدى : إن أرضنا ليست أرض كلاب، وهذا الكلب جاء من مكان بعيد وقد بدا عليه الجوع ؛ لذا فقد آثرته على نفسى !

قال عبد الله بن جعفر ـ رضى الله عنه ـ وماذا تأكل الآن ؟!

ثم إن عبد الله سأل عن صاحب الحديقة فاشتراها منه، واشترى الحارس، ثم قال له : أعتقتك لوجه الله، وملكتك هذه الحديقة . .

تأمل فى عاقبة الكرم !! لمَّا أكرم العبد كلبًا أكرمه الله بالعتق والغنى !!

***

الأولياء كلهم على خير ، ولا تفاضل بينهم إلا من حيث العمل، لا تفاضل بينهم من حيث المكان أو الجنس أو اللون، ويجب علينا اعتقاد الخير فيهم جميعًا . .

والمؤمن يسأل الله الرضا . . أما الولاية فهذا شىء مقدر، قال عليه الصلاة والسلام ـ:

«رحم اللهُ امرءًا عرف قدْرَ نفسِه» .

فإذا عرف الإنسان قد ر نفسه عرف قدر أولياء الله، وأعطاهم حقهم

من المحبة والتوقير . . فيعتقد ـ مثلاً ـ أن سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ ابن بنت رسول الله ﷺ ـ وابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ، وقال عنه جده ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنه (سيد شباب أهل الجنة) هذا الاعتقاد من الولاية !

أما إذا أساء العبد الأدب مع أهل البيت ـ رضى الله عنهم ـ وقال: اعمل تكن مثل الحسين ! فهذا من وحى الشيطان وتلبيسه على المسلم . . نعوذ بالله من ذلك !

ومحبة أهل البيت رزق من الله يُؤْتاه الأولياء : ﴿يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١٦) .

حب السيد البدوى من نور الله . . وحب أهل البيت من نور الله، والعلم من نور الله، فمن جاء مجالس العلم هداه الله، فلا يستطيع أحد أن يسمع كلمة علمٍ إلا إذا أذن له الحق ـ سبحانه ـ وكما قال بعضهم :

«العلم شىء غالى . . لا عند عمك ولا خالك . . كنت تحسبه تبن يا غشيم جاى تفرش » . .

العلم غالى كالتبر ـ الذهب ـ، لا عند عمك ولا عند خالك ! ﴿يَهْدِى اللهُ لنورِه مَنْ يَشَاءُ﴾ . هداية خاصة، إذا أذن لك المولى وجلست فى مجلس العلم، وسمعت من العلماء فرحت روحك وتنورت . .

---

(١٦) سورة النور : آية ٣٥ .

وإذا جلست على المائدة وأكلت لحمًا فهذا من نصيب الشهوة والبطن، وليس للروح فيه شيء . . الأكل يقوى حظ الشهوات . . والعلم يدل على عمل الصالحات !

لما يأكل اللحم يفكر فى المعاصى، ولما يسمع العلم يفكر فى الطاعة ولما يمسك السُّبْحة ويقول: لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله فهذا دواء . . ولكن القليل مَن يعرف هذا ؟

إذا الروح رأت محرمًا تنزعج وتضطرب، ولكن الله عزَّ وجلَّ ذكر لها الدواء فى القرآن: ﴿ألا بذكر اللهِ تطمئنُّ القلوبُ﴾ (١٧) . فإذا أردت لروحك أن تستنير وتذكر وتمدح وتهدأ وتتذوق، اسْقها دواء الذكر : لا إله إلا الله !

وجرِّب هذا العلاج إذا كانت نفسك تشتهى المعاصى، فأكثر من ذكر لا إله إلا الله ترجع عن المعاصى . .

قال العلماء: ذكر (لا إله إلا الله) يخرج النفس من كونها ظلمانية تأمر بالمعاصى إلى (لوَّامة) تلوم الإنسان على فعل المعاصى، وهكذا تترقى النفس بالذكر حتى تصير نفسًا كاملة، كما قال الشيخ الدردير أبو البركات رضى الله عنه، كل هذا بالذكر حين يجلس الذاكر متوضئًا مستقبلاً القبلة يبدأ باليمين ويختم بالشمال : لا إله إلا الله . قولوا معى ! لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله، لا إله إلا الله . محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الفاتحة لأبى البركات رضى الله عنه .

---

(١٧) سورة الرعد : آية ٢٨ .

ليتنا نسمع ونعمل، لا تظن أن الولاية بالفتوة، لا تظن أنها بالذكاء ! لا تظن أنها بما أُوتيت من علم !! ﴿وإليه يُرجَعُ الأمرُ كلُّه فاعبدْه وتوكلْ عليه وما ربُّكَ بغافل عمّا تعملون﴾[١٨].

إليه يُرجع الأمر كله، ويَعرف الأمر كله.. صغيره وكبيره، سره وعلانيته، لا يعزب عن علمه شيء..

ويمنعني الشكوى إلى الله أنه * عليم بما أُبديه قبلَ أقول

الله ـ سبحانه ـ عالم بكلامي من قبل أن أقوله، وعالم بما أريده قبل أن أسأله، ولكني أسأله لكي تكتب لي عبادة !! قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الدعاءُ مخُّ العبادة»[١٩].

شيخنا الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي ـ رحمه الله ـ كان يدرس لنا في سنن الترمذي، وكان هذا الحديث آخر ما قرأه علينا ثم انتقل إلى رحمة الله !!

لما قرأ الحديث قال: نعم يا ولد ! لابد أن تدعو الله ؛ إذ المولى يحب العبد اللحوح المتذلل، ويكره العبد المتعالي المتكبر، ومن هنا كان الدعاء عبادة؛ لأن الدعاء يذلل العبد لله.. وربنا يحب المتذللين له !

العلماء ذهبوا.. العلماء الذين كان كلامهم مثل الشهد ! كلامهم كان يدخل القلب كأنه نور !! كانت دموعنا تسيل من أثر الإخلاص، ومن أنوار أرواحهم !!

---

(١٨) سورة هود: آية ١٢٣.

(١٩) رواه الترمذي.

﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ : هذا دليل عظمتك يا رب، فلا أحد إلى يوم القيامة ـ مهما كان جنسه ـ يستطيع أن يقول ﴿خلقنا الإنسان﴾ ، لا أحد يقول ذلك إلا الله، وإذا تبجح بعض أهل زماننا بالمخترعات الحديثة الموجودة فى أمريكا ، وفرنسا، وألمانيا . .

نقول له : إن هذا ليس بخلق، ولكنه اكتشاف لما أودع الله فى مخلوقاته . .

وإذا اعترض معترض فقولوا له : هات واحدًا من أوربا يخلق مثل خلق الله ! ﴿هل مِنْ خالقٍ غيرُ الله﴾(٢٠) .

لا يوجد ! آمنَّا بالله الذى لا يخلق سواه !!

﴿فاللهُ خيرٌ حافظًا وهو أرحمُ الراحمين﴾(٢١) .

كم من قاذفات وطائرات وقنابل لدى الأعداء، ولكن الله يحفظ المسلمين منهم ؛ لأن الملك بيده هو سبحانه !

وقد طرد الله اليهود من مصر مصداقًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ وكان الله قويًّا عزيزًا﴾(٢٢) .

﴿وردَّ الله﴾ لم يقل رد زيد أو عبيد . ﴿وردَّ اللهُ الذين كفروا﴾ وهذا

---

(٢٠) سورة فاطر : آية ٣ .

(٢١) سورة يوسف : آية ٦٤ .

(٢٢) سورة الأحزاب : آية ٢٥ .

أبدىٌّ إلى يوم القيامة ، لا يرد غيره ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ عن مَنْ ؟ عن الذين آمنوا، ردهم بغيظهم، لـم يمكنهم من تحقيق قصدهم ﴿لم ينالوا خيرًا﴾ . .

وهكذا إلى يوم القيامة . . يرد الله أعـداء الإسلام من يهود وغيرهم عن المؤمنين طالما اتقوا الله ونصروا دينه . .

«ا . هـ»

الدرس الأربعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿فإنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا * إنَّ معَ العُسْرِ يُسْرًا * فَإذَا فرغتَ فانْصَبْ * وَإلَى ربِّك فارْغَبْ﴾ (١) .

ومنذ ألزمتُ أفكارى مدائحَه * وجدتُه لخلاصى خيرَ ملتزم
هو الحبيبُ الذى تُرجَى شفاعتُه * لكلِّ هولٍ من الأهوال مقتحم
يا أكرمَ الخلقِ مالى من ألوذُ به * سواك عند حلولِ الحادثِ العَمِمِ

اللهم صلِّ عليه ! البشير النذير . . والله ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن الكريم دائمًا يبشرنا وينذرنا :

يبشرنا بالفرج لنفرح ونحبه، وينذرنا بالعقوبة لنتعظ ونتوب .

وهو هنا يبشرنا ﴿فإنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا﴾ أى : إن الدنيا خُلقِت وفيها العسر وفيها اليسر ـ فما هو العسر ؟

رجل تكالبت عليه الهموم، امرأته تنكد عليه ، المال قليل، والنفقة كثيرة، والعمل شحيح ! امرأته مريضة، هو أيضًا مريض . . فهذا هو العسر كل العسر ، يحزن الإنسان، ويبكى، فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يناديه : لا تحسب الكون خارجًا عن قدرتى، عبدى ! إن الكون ملكى،

---

(١) الشرح / ٥ ـ ٨ .

والتصريف تصريفى ! أُقلِّب الليل والنهار ، وأفعل ما أشاء فى سمائى وفى أرضى !!

رجل يشكو: لا أحد يسأل عنى ! يسأل عنه ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ، ويقضى له حاجته !

﴿ما يُبَدَّلُ القولُ لدىَّ﴾ (٢) ﴿فإنّ مع العُسْرِ يُسرًا﴾ فإن كنت فى عسر فأبشر بعده بيسر قريب، هذا كلام حق . .

إن الفرد يكذب! والحكومات تكذب ! والدنيا تكذب ! لكن الله وحده هو الصادق أبدًا ﴿فإنّ معَ العُسْرِ يُسرًا﴾ . كأنه يقول: يا عبدى: لا تبتئس إذا كانت حالك التى أنت عليها لا تعجبك، فقد حكمتُ بأن اليسر مع العسر ، والشدة بعدها فرج، والمرض بعده شفاء، حتى الموت فإنه يسر بعد الحياة ؛ لأن الموت فيه راحة ، فالله ـ تعالى ـ لطيف وحكيم وحميد، وكلنا يخاف الموت، ولا أحد يريد ترك الحياة الدنيا، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ من لطفه بنا يجعلنا نشتاق للموت ونحبه ؛ لأننا نشتاق للقاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿حِكْمةٌ بالغةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُر﴾ (٣) .

روى البخارى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، عن جدى النبى ﷺ أنه قال :

«من أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومن كره لقاءَ اللهِ كره اللهُ لقاءَه !

---

(٢) سورة ق : آية ٢٩ .

(٣) سورة القمر : آية ٥ .

قالت عائشةُ ـ أو بعضُ أزواجه ـ : إنا لنكرهُ الموت! قال: ليس ذاك. ولكن المؤمنَ إذا حضره الموتُ بُشِّر برضوانِ اللهِ وكرامتِه فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه، فأحب لقاءَ اللهِ وأحب اللهُ لقاءَه، وإن الكافرَ إذا حضره الموتُ بُشِّر بعذابِ اللهِ وعقوبته، فليس شيء أكرهَ إليه مما أمامه كره لقاءَ الله، وكره اللهُ لقاءَه».

فلماذا تحزن وتخاف من الموت وأنت تعمل عملاً طيبًا؟! ما دمت كذلك فالله يحافظ عليك فى الدنيا والآخرة، ما دمت ترضيه فإنه يرضيك، ما دمت تتوضأ وتصلى لا يتركك أبدًا، لا يعاملك بنقيض عملك!

﴿هل جزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسانُ﴾ (٤). أى: فأنا لا أفعل معكم يا عبادى سوءًا قطّ.

﴿وإذْ أنتُم أجِنَّةٌ فى بطونِ أمَّهاتِكم﴾ (٥). خلقتكم وصورتكم فى أحسن صورة ﴿فى أحسنِ تَقْوِيم﴾ (٦). ومَن أحسن الخلق تقويمًا؟ إنه محمد ـ ﷺ ـ أول ما خلق الله، وأول ما صوَّر الله، قال: «إذا قاتلُ أحدُكم أخاه فليجتنب الوجهَ، فإن الله خلق آدمَ على صورته» (٧).

أى خلق وجه آدم ـ عليه السلام ـ على صورة محمد ـ ﷺ ـ.

فاحترموا وجوه المؤمنين، وتذكروا النبى! فلا يضرب أحدكم أخاه على وجهه!

---

(٤) سورة الرحمن: آية ٦٠.

(٥) سورة النجم: آية ٣٢.

(٦) سورة التين: آية ٤.

(٧) رواه مسلم باب (النهى عن ضرب الوجه).

اللهم صلِّ عليه ! سبحان الله الذى لا شبه ولا صورة له، فكلما تلقى مؤمنًا انظر إلى وجهه ! إلى عينيه ! يذكرك النبى ـ ﷺ ـ فالمطلوب أن نكرم الوجه الذى خلق على صورة سيد العالمين . وبماذا نكرمه ؟ نكرم الوجه بما هو خير من الدنيا وما فيها : قال عليه الصلاة والسلام :

«أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ»(٨) . تقرب واسجد، وتذكر أنك تسجد كما سجد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأقرب حالة تقربك إلى الله : السجود !

فاغتنم الفرصة ولا تضيعها ! الله أكبر !

أنت إذن أكرمت النبى ؛ لأنك أكرمت الوجه الذى خلق على صورته، فكأنك أكرمت النبى ـ ﷺ ـ سبحان ربى العظيم ! لقد أكرمت النبى ـ ﷺ ـ فى صورته ، ووضعت الشىء فى محله ! . ولماذا خلق الله ـ تعالى ـ هذا الوجه ؟

إنه خلقه لأجل أن يسجد له ! فهذه أول مهمة له فى هذه الحياة ! فعندما تسجد له ترى النور بعينيك ! الخالق هو الله ! إذا سجدت لا تراه، وإذا جلست لا تراه ! سبحانه ! لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا تدرك كنهه العقول !

الله أكبر ! لقد سجدتَ فلا تبحث عنه ـ سبحانه وتعالى ـ بعينيك لماذا؟ لأنه ﴿لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ﴾(٩) .

---

(٨) رواه البزار عن ابن مسعود، ومسلم عن أبى هريرة وتمام الحديث : «فأكثروا الدعاء» .

(٩) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

فاسجد وشاهده بقلبك . . ماذا تشاهد ؟ تشاهد بقلبك أنه معك من غير أن تراه، تشاهد أنه يسمعك من غير أن تسمعه أنت، شاهد أنه يحبك من غير أن تظن أنك تكافئه !

أنا أحبك يا رب! فماذا ستعطينى ؟ ألف جنيه مثلاً ؟ لا، أنا عندى مكافآت أغلى من الدنيا وما فيها، فتوضأ وصلِّ ركعتين وناجنى ؛ لأن المناجاة مخاطبة بينى وبين الخلق ، فعندما تقول : الله أكبر ! أُقبل عليك وأكون معك ! والملائكة تتزاحم حولك ! لماذا أتيتم أيتها الملائكة ؟ لقد رأينا أنوارًا صاعدة إلى السماء، ونحن نحب الأنوار دائمًا!!

قال تعالى : ﴿إليه يَصْعَدُ الكلمُ الطيّبُ والعملُ الصَّالحُ يرفعُه﴾(١٠). وأنت تصلى وعقلك لا يفكر ولا تدرك أن أبواب السماء فتحت! الله أكبر ! يخرج نور إلى أن يصعد إلى السماء ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنوار متلاحقة تتصاعد ! فعليك أولاً بتذكر صلاة الصبح قبل أن تتذكر الإفطار والفول المدمس ! بل يجب أن يذكرك هذا الطعام رازقه وجالبه إليك!

فعندما تتوضأ وتصلى تصعد الأنوار ، فتتجمع الملائكة : ما هذا ؟ إنه فلان بن فلان ، يا ملائكة اصطفوا لماذا ؟ هذا رجل يصلى، وقد أقبل الله عليه، فيجب أن تكرموه وتعملوا له تشريفة ملائكية !!

فهذه ساعة تجلٍّ ، وساعة مناجاة .

---

(١٠) سورة فاطر : آية ١٠ .

يا رب ! أنت صعدت بالنبى ـ ﷺ ـ إلى السماء السابعة وكلمك وكلمته ! ونحن أمته ، آمنا به ، فالله تعالى يقول : إن منكم أناسًا يحبوننا ونحن لا نتركهم ، وقد أعطيت رسولى الصلاة ليبلغها لكم ؛ لتبقى لكم مناجاة وتكليمًا ! فأنتم تسجدون فى الصلاة ، وتكلموننى . . قال عليه الصلاة والسلام :

« . . . فأما الركوع فعظِّمُوا فيه الربَّ ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وأما السجودُ فاجتهدُوا فى الدعاء ، فَقَمِنٌ أن يُستَجاب لكم »(١١) . ومعنى (قَمِن) : أى حقيق .

فقدِّم لنفسك وادخر لها ! أية عمارة أو دنيا أو وظيفة ! كل هذه الأشياء هل ستلقاها ؟!

إنما الصلاة هى أكبر نعمة أنعم الله بها علينا ! وقد شرع النبى ﷺ ـ للصلاة : الآذان (حىّ على الصلاة ـ حىّ على الفلاح) ! أى : تعالوا إن ربى أمرنى أن أصلى خمس أوقات وأمركم بذلك ، وعند ذلك تفتح أبواب السماء ليصعد الكلم الطيب ، أنوار صاعدة تحيط بها الملائكة إجلالاً وإكبارًا للكلم الطيب !

عن رفاعة بن رافع الزُّرَقِىّ رضى الله عنه قال :

« كنا نصلى يومًا وراءَ النبىِّ ـ ﷺ ـ فلما رفع رأسَهُ من الركعة ، قال : سمع اللهُ لمن حمده فقال رجلٌ : ربنا لك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه . .

---

(١١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وغيرهم .

فلما انصرف قال: من المتكلم ؟ قال: أنا . قال: رأيت بضعةً وثلاثين ملَكًا يَبْتَدِرُونها، أيُّهم يكتُبُها أوّل»[١٢] . فنحن فى غفلة !!

والقرآن العظيم، والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يبينان لنا الخفيات، فلا تخرج كلمة من فمك إلا لديها رقيب عتيد.

ما معنى : (رقيب ، عتيد) ؟

يعنى: عندما تقول: سبحان الله ! يكتبها رقيب . وبمجرد أن يقول: يا ابن كذا . . ! يكتبها عتيد ! سبحان الله ! يكتبها الملك، لكن المهم أن الله هو الذى سمعها أولاً، فهو قادر وله جنود ملايين الملايين ! سبحان الله رب العرش العظيم !

ما معنى (سبحان الله) ؟

قال شيخنا السمالوطى ـ رحمة الله عليه ـ: إذا ذهب الرجل إلى الحمام فإنه يقول: أنا أتسبَّح يعنى: ينظف جسده ويطهره حتى يصير نظيفًا ، فمعنى سبحان الله ـ ولله المثل الأعلى ـ تنزّه عن النقائص . .

وليس المراد من كلام الشيخ السمالوطى التشبيه، ولكن المراد: تقريب المعنى، وإلا فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص من الأزل . .

سبحان الله : أى نشهد يا الله أنك منزه من قديم عن الشريك والوليد، والوالدة والزوجة، ومن كل نقص ، تنزهت أزلاً وتقدست، وسميت

---

(١٢) رواه البخارى .

نفسك «القدوس» أى: الطاهر، ولما كان من صفاته ـ عزَّ وجلَّ ـ أنه القدوس الطاهر أمر بالوضوء والتطهر عند مناجاته!

وقد قال ـ سبحانه ـ لموسى ـ عليه السلام ـ:

﴿فاخلعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بالوادِ المقدَّسِ طُوَى﴾ (١٣).

لأن النعل لما لم يكن طاهرًا وجب خلعه ﴿فاخلع نَعْلَيْك﴾ وتقدَّمْ! لأن الله ـ تعالى ـ قدوس طاهر، فيجب أن تكون المناجاة معه على طهارة، ولماذا نتوضأ إذن؟

نتوضأ لأننا فى الصلاة نتكلم مع الطاهر! فعند الصلاة نتوضأ ونتطهر ونتعطر! فتتزاحم الملائكة، لأجل نظافتك ورائحتك الطيبة، وأنتم يا ملائكة! هل عندكم عطر أيضًا؟ نعم! إن رائحتنا حلوة، وعندنا عطور وبخور من عند الله! فالذى يكون عنده عطر وبخور ويأتى برائحة طيبة نأتى إليه لنشم رائحة حلوة كالتى عندنا!

وعندما يكون العبد صائمًا فهو أحب إلينا وأقرب؛ لأننا لا نقرب الطعام، فعندما تكون المعدة خالية يكون صاحبها إلينا أحبّ وأقرب، وعندما يسلم من صلاته يجد حوله الملائكة تحوطه من اليمين والشمال!

لكن عندما يأكل الإنسان سمكًا ولا يغسل يده، وتبقى رائحته المنفرة! لا يجتمع حوله إلا القطط!

---

(١٣) سورة طه: آية ١٢.

وهناك فرق بين مَن تجتمع حوله الملائكة، ومن تجتمع حوله القطط!

﴿إنَّ اللهَ وملائكتَه يصلُّون على النَّبي﴾ (١٤). وهذا لمقامه العالى لماذا؟ لأنه أطوع الخلق لربه، يقوم الليل حتى تورمت قدماه، ليس من أهل الأكل والنوم!

فما دمت تحبه فلابد أن تعرفه؛ لأن أعمالنا جميعًا تعرض عليه - ﷺ - . .

وكانت السيدة رابعة العدوية - رضى الله عنها - تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة - تطوعًا -، فقيل لها: لماذا تتعبين نفسك هكذا؟ فقالت: أنا لا أصلى لأجل الجنة أو الخوف من النار، ولكن أصلى لأجل النبى - ﷺ - عندما يكون مع الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - فيقول: إن عندى امرأة من أمتى تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة، فأنا أريد أن أفرح النبى ﷺ.

وقال الشيخ السمالوطى - رحمه الله -: أعمالنا تعرض على النبى - ﷺ -، فإن وجد خيرًا شكر الله، وإن وجد غير ذلك استغفر الله! فلماذا تغضبونه ولا تعملون الخير!!

فإذا كانت نفسك قد هانت عليك فلا يهن عليك النبى ﷺ وعندما تفرط يغضب النبى - عليه الصلاة والسلام - فلا تفعل ذلك!

---

(١٤) سورة الأحزاب: آية ٥٦.

عندما تُغضِب أمك يغضب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وفى القرآن: ﴿فَلا تَقُل لهما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما وقل لّهما قولاً كريمًا﴾ (١٥).

فعندما تقول لها: صباح الخير يا أمى كيف حالك ؟ فأنت تعمل عملاً صالحًا، والله ـ تعالى ـ يجيبك ويقول لك: أنا أعلم أنك عملت عملاً صالحًا، إن عبدى سمع كلامى وأرضانى. وماذا ستعمل له ؟ سأرضيه ما دام قد سمع كلامى وأرضانى فأنا أرضيه فى الدنيا والآخرة !

قال تعالى: ﴿سيجزيهم وَصْفَهم﴾ (١٦). ما خُلُق هذا الرجل؟ إنه رحيم بالمؤمنين، كريم عفوّ، إذن أعامله بالعفو وبالرحمة والكرم كما يعامل العباد..

﴿سيجزيهم وصفهم﴾ ولا تشغله ـ سبحانه ـ أى شاغلة فى الدنيا أبدًا، وهناك فائدة لازمة لك جدًا جدًا ليس فى الدنيا فقط، ولكن فى الدنيا والآخرة ـ ما هى ؟

هى: تذكرك الله، ليس أن تتلفظ فقط بـ (لا إله إلا الله) بدون أن تتذكر بقلبك أن الله ناظر إليك، تتذكر بقلبك أن الله ـ تعالى ـ سميع لكل ما يخطر ببالك، تتذكر بقلبك أن الله حاضر يرى ما تفعله يدك، فهذه الذكرى خير من الدنيا وما فيها، والذى يدركها يكون قد أدرك شيئًا عظيمًا، كما قال ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وما يُلقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيم﴾ (١٧).

---

(١٥) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(١٦) سورة الأنعام: آية ١٣٩.

(١٧) سورة فصلت: آية ٣٥.

فهـذه هـديـة من عنـد الله خـذهـا معك : ﴿ويَدْرَءُون بـالحسَنةِ السَّيِّئةَ﴾[١٨] . أى : عندمـا توجـه إليه السيئة يـردها بـالحسنة! من يعمل هذا؟ قال : نعم ! إنهم المهتدون :

﴿وما يُلقَّاهـا إلا الذين صبروا وما يُلَقَّـاها إلا ذُو حظٍّ عظيم﴾ وأنا أريد أن أعـرف معنى ﴿صبـروا﴾ وعلى أى شىء كـان صبـرهم ؟ هل لأجل الدنيا؟ كـلا! وإنما صبروا ابتغاء وجـه الله ، فإذا شتمك أحد فقبل أن ترد عليه تذكر بقلبك أن الله حاضر وسامع ، فاسكت وقل : يا رب أنا أسكت لأجلك . وفـوِّض الأمر لله ﴿ولله غيبُ السمٰـواتِ والأرضِ﴾[١٩] . فهو قادر على أن يأتى لك بحقـك ويذلّ لك عدوَّك ، ولن تضـام أبدًا ، فمن والى الله والاه الله !

﴿اللهُ ولىُّ الذين آمنـوا يخرجُهُم مِنَ الظُّلمـاتِ إلى النُّور﴾[٢٠] . فالله معهم . .

فالأولياء هم الذين ينظرون إلى الله ، والله ينظر إليهم فهو وليُّهم يُوالِيهم بنظره ـ سبحانه وتعالى ـ كيف ذلك ؟

﴿يخـرجهم مَن الظُّلمات إلى النـور﴾ . فالذى يخـرج ليذهب إلى السينما يحول قلبه ليمشى إلى مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه ، فقد كان يسير إلى الظلمات فحوله إلى طريق النور !

فالله تعالى ينصـر أولياءه بماذا؟ بإخراجهم مـن الظلمات إلى النور ،

---

(١٨) سورة الرعد : آية ٢٢ .

(١٩) سورة هود : آية ١٢٣ .

(٢٠) سورة البقرة : آية ٢٥٧ .

عندما تغضب والدتك ينزل على قلبك الرحمة، فتدرك أن هذا حرام، فتذهب إليها ومعك فاكهة أو حلوى وتسلم عليها وترضيها، فهذا هو نصر الله ! نصرك على الشيطان الذى أمرك بإغضابها، ونصرك على النفس . .

وهذا الكلام من عند الله سبحانه وتعالى : قال ﴿إنَّ الشيطانَ لكم عدوٌّ﴾(٢١) . وقال : ﴿إن النَّفسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوء﴾(٢٢) .

فالشيطان والنفس الأمارة هما اللذان قالا لك : خاصِمْ والدتك! لكن الرحمن هو الذى ينزل على قلبك الرحمة والرأفة ويقول لك : خُذْ لها هدية ورضِّها، فيخرجك من الظلمات إلى النور .

ويقول الإمام البرعى :

لا تتبع النفس فى هواها * إن اتباع الهوى هوان

﴿يخرجُهُم من الظلمات إلى النُّور﴾ فأين عقلك ؟

لا تنس من حملتك، ومن ربَّتك، فامنع الشيطان، وامنع نفسك الأمارة بالسوء .

إذا توضأت ودخلت المسجد، فتذكر قول ابن عباس رضى الله عنه : «المساجدُ بيوتُ اللهِ ، والمؤمنون زُوَّارُ الله ، وحقٌّ على المُزورِ أن يُكرِم زائِرَه» (٢٣) . ا . هـ .

---

(٢١) سورة فاطر : آية ٦ .

(٢٢) سورة يوسف : آية ٥٣ .

(٢٣) رواه الحاكم فى تاريخه .

فابن عباس ـ رضى الله عنه ـ يقول : إن المساجد بيوت الله ، ومن يأت إليها فهو ضيف الله ، والضيف حقه أن يكرم ، فكيف إذا كان ضيف أكرم الأكرمين ؟!

س : ما كيفية الاستجمار ؟

جـ : عندنا فى مذهب الإمام مالك قال ابن أبى زيد القيروانى رضى الله عنه : «ويستجمر بثلاثة أحجار يخرج آخرهن نقيًا ، ومن فعل ذلك فقد طهر » .

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

«نزلت هذه الآية فى أهل قباء ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطَّهرين﴾[٢٤] . فسألهم رسول الله ﷺ فقالوا : نُتْبِعُ الحجارةَ الماءَ»[٢٥] .

فمع أن الحجارة تكفى ولكن الأنصار قالوا : لا . نحن نجمع بين التطهير بالحجارة وبين النظافة بالماء ، فأنزل الله تعالى قرآنًا يمدح طهرهم ، ولذلك يستحب لنا أن نجمع بينهما ، فإن لم يمكن فالماء ، فإن لم يمكن فبحجر واحد ما استطعنا !

﴿يثبتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ فى الحياةِ الدنيا وفى الآخرةِ﴾[٢٦] .

---

(٢٤) سورة التوبة : آية ١٠٨ .

(٢٥) رواه البزار .

(٢٦) سورة إبراهيم : آية ٢٧ .

فلابد عند الموت من الثبات، فيا سعد من استفتح يومه بالله، وختمه بالله ! قام وصلى الصبح، وجلس يذكر الله ساعات ! .

والله سبحانه وتعالى قادر ورقيب أوجدك فى الدنيا، وهى تمر عليك أيامًا وساعات ودقائق، وهى محسوبة عليك، الرقيب يحسبها ـ سبحانه!

﴿إنما نعدُّ لهم عدًّا﴾ (٢٧) . نعدّ لهم الأنفاس والساعات والدقائق والأيام والليالى . .

ما معنى عدّها ؟ أى أنظر ماذا فعلوا ؟ وماذا عملوا ؟ فالمراقبة والمحاسبة وكل عمل يحتاج إلى عناية من الله سبحانه وتعالى ! .

« ا . هـ »

(٢٧) سورة مريم : آية ٨٤ .

الدرس الحادى والأربعون

فى تفسير قوله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم * أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين * وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون * إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾(١) .

صدق الله العظيم

الله تبارك وتعالى من صفاته صفة الكلام، التى هى القرآن العظيم، فهو كلامه القديم، ولقد أنزله لعباده ليستمعوا إليه، فإذا سمعوا كلام الله شاهدوه بقلوبهم، وعرفوا أنه حاضر معهم، وأنه يراهم ويكلمهم، وهم فى ذلك يتحققون بمعرفة صفات عديدة لله ـ سبحانه ـ، يتحققون بأنه ـ سبحانه ـ يرى ويسمع . .

فأنا أشاهد بقلبى أن الله ـ عز وجل ـ يسمع ويرى، فأدخل فى حضرة تسمى «حضرة القدس»، وأهيىء قلبى لكى يسمع كلام الله . .

فأنت إذا فتحت الشباك وكانت الشمس ساطعة فى السماء فإن أشعتها تدخل الغرفة . .

---

(١) سورة مريم : آيات ٣٦ : ٤٠ .

وصفات الله كلها نور، ولها آثار فى الروح كآثار شعاع الشمس، وروحك تستشعر وجوده ـ سبحانه ـ على حسب استعدادك، وتدركه روحك، وتتلذذ عند التلاوة، ويحدث لها حال عظيم . .

فإذا لا حظت أننى أقرأ أو أسمع كلام الله تشع الأنوار على روحى، وتنزل علىّ توبة ورحمة وشفاء ودواء؛ لأننى تأدبت مع كلام الله الآداب الشرعية :

﴿وإذا قرىءَ القرآنُ فاستعموا له﴾ أى : بآذانكم ﴿وأنصتوا﴾ أى : بقلوبكم . ومكافأة الدنيا محدودة . . أما مكافأة الآخرة فهى : ﴿لعلكم تُرْحمُون﴾[٢] . .

وليست «لعل» بمعنى الترجى، ولكنها تأكيد، ولو استمع الإنسان لآية وحلف : «واللهِ العظيم لقد نزلت علىَّ رحمة» لصدق وما حنث فى يمينه؛ لأنه تعالى يقول : ﴿ما يُبدَّلُ القولُ لَدَىَّ﴾[٣] .

سبحانك يا رب! سبحانك يا رب! سبحانك يا رب . . فلابد من الملاحظة القلبية؛ لأنه ـ تبارك وتعالى ـ له فى ملكه عجائب وغرائب . .

أتسبحون يا ملائكة ؟ نعم . . لماذا ؟

لأننا ناظرون إلى عجائب الله ـ تبارك وتعالى ـ لأنه مكتوب فى لوحه المحفوظ : فلان يولد له ولد، وآخر له بنت، وهكذا فلا يوجد مخلوق يقدر أن يفعل مثل فعل الله، والملائكة تسبح الله تعالى؛ لما ترى من أفعاله العجيبة . .

---

(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠٤ .

(٣) سورة ق : آية ٢٩ .

حكايـــة :

«كـان رجل جـالسًا مـع سيدنـا سليمـان فى فلسطيـن ، وجاء ملَـك الموت ليـزور سيدنا سليمـان ، فوجد هـذا الرجل جـالسًا وكان عـزرائيل يطيل النظر إليه ، فلما انصرف ملك الموت سأل الرجل سيدنا سليمان : مَن هذا ؟

فقال له : هذا ملك الموت . .

فقال له : لقـد رأيته ينظر إلىَّ بشدة ، فـأُمُر البساط أن يذهـب بى إلى الهند الآن . .

وعندمـا نزل لقى ملـك الموت الذى بـادره بقبض روحه . . وعنـدما رجع ملك الموت إلى سيدنا سليمان سأله : لماذا كنت تطيل النظر إلى ضيفى ؟

فقال عزرائيل : كنت مندهشًا لأنـى أُمرت بقبض روح هذا الرجل بعد ساعة فى الهند ، وكنت أتعجب : كيف سيذهب إلى الهند من فلسطين فى ساعة ؟!

فلما رأيته قبضت روحه ، وقلت : سبحان الله !!»ا . هـ .

والله ـ سبحانـه وتعالى ـ خلق آدم مـن الطين ونفخ فيه روحًـا سماوية . . وللعبـد أن يتساءل : إذا كـان خلق الجسـد من تـراب فمم خُلِقـت الروح ؟

والجواب : أن هذا ممـا ادخر الله علمه عنده ـ سبحانه ـ واختـص به حتى يفـرق بين العلم الإلهى والعلـم البشرى . . فإذا قال الإنسـان : أنا عالم ! يقال له : أنت جاهل . بل العلم لله . .

فعلمنا يسبقه الجهل، وعلم الله لا يُسبق بجهل . . والجسد له رزقه من الأرض: برتقال، وتفاح، ولحم، وخضار . والجسد يتلذذ بذلك . .

أما الروح : فهى من السماء، وتتلذذ بما نزل من السماء . . والروح لا تراها، ولكن تحس بها . . ورزقها كذلك . . فأنت حينما تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، تتنزل معانٍ، وهكذا كل آية من القرآن فيها غذاء خاص للروح . .

وكما أن منافع الغذاء متنوعة للجسد، فكذلك الروح منافعها المعنوية متنوعة، فإذا قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم» يحصل لك أمان . .

والروح إذا دخلت الجسد لا تخرج منه أبدًا، وإذا خرجت لا تعود إلا عند السؤال فى القبر . . فإذا نام الإنسان نام جسده، أما روحه فإنها لا تنام . .

قال الشيخ ابن عبد السلام ـ رحمة الله عليه ـ : «الإنسان له روحان : روح الحياة، وروح النوم» .

ولم يقل أحد بهذا إلا هو . .

والصحيح أن الروح واحدة . . وتسمى روحًا، وتسمى نفسًا . . أما تسميتها روحًا فلخفتها . . وأما تسميتها نفسًا فمن النفاسة، أو لكونها منفوسة . . يعنى مخلوقة .

ولقوله تعالى : ﴿ونفخت فيه من رُوحى﴾ (٤) .

---

(٤) سورة ص آية ٧٢ .

إذن . . فهى روح واحدة فقط . .

وفى البخارى : «ثم يرسلُ إليه الملَك فينفخُ فيه الروحَ»(٥) .

فإذا نام الإنسان خرجت الروح من الجسد . . كيف تخرج ؟ لا ندرى . . قال تعالى : ﴿وهو الذى يتوفَّاكم باللَّيْل﴾ (٦) . يعنى : ينوّمكم . .

علماء الغرب بحثوا عن النوم فلم يعرفوا شيئًا ذا بال . . غير أننا نعتقد أن الروح لا تخرج خروجًا كاملاً ؛ لأن الجسد يتنفس . . وهذا من حكمة الله . . فالنسر طائر جارح منقاره أشد من سكين الجزار ، فإذا سمع النفس خاف وولَّى ، وإذا لم يسمع نفسًا انقض وشق البطن مباشرة . .

فهذا النفس حارس من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ . .

وكأن الله ـ سبحانه ـ يقول له : يا ابن آدم ، وأنت نائم أنت فى ملكى وحفظى ، وكذلك وأنت فى اليقظة فى ملكى . .

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الذى تراه فى عالم اليقظة غير ما تراه فى عالم النوم . . فقدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ تتجلى فى يقظتك وفى منامك : ﴿ومن آياتِهِ منامُكُم بالليلِ والنهارِ﴾ (٧) . .

---

(٥) هذا حديث رواه البخارى ولفظه عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : «إن أحدكم يُجمع خَلْقُه فى بطن أمه أربعينَ يومًا نطفة ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك ثم يُرسلُ إليه الملكُ فينفخُ فيه الروحَ ويؤمر بأربع كلمات بِكتْب رزقِهِ وأجلِهِ وعملِهِ وشقى أو سعيد . . . الحديث» .

(٦) سورة الأنعام : آية ٦٠ .

(٧) سورة الروم : ٢٣ .

من الـذى يجعلك تـرى الرؤيـا فى المنـام ؟ ومن الـذى يوقظـك فى النهار؟

وهكذا: مـوت وبعث . . فـإذا جاء الأجـل فموت واحـد . . وبعث واحد . .

حكايـــة :

توفى رجل وتـرك جنينًا فى بطن زوجته ، ولما ولدتـه أمه وأصبح طفلاً يدرك أسلمته إلى شيخ الكُتَّاب ليعلمه القرآن . وفى هذه الليلة رأى شيخ الكتَّاب والـد الطفل فى المنام يـرتدى ثيابًـا مهلهلة ، وفى اليوم التـالى : أمسك الطفل بـاللوح وكتب ﴿ربِّ اغفرْ لـى ولوالدَىَّ ولمن دخـلَ بيْتِىَ مؤمنًا﴾ (٨) . فاستجاب الله ـ سبحـانه وتعالى ـ فرأى شيـخ الكتاب والد الطفل فى ثياب حسنة .

يقول تبارك وتعالى :

﴿وأنذرْهم يوم الحسرةِ إذْ قضـىَ الأمرُ وهمْ فى غَفْلةٍ﴾(٩) : من نعمة الله على هـذه الأمة المحمدية إكـرامًا لنبيها ـ ﷺ ـ أن حافظ علـى هذا القرآن العظيم . . وها نحـن اليوم بعد هذه القرون الطويلـة نسمع القرآن كمل كان يسمعه ـ ﷺ ـ، وكما كان يسمعه أبو بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما ـ، فهذه نعمة لـم نفكر فيها ، وإذا فكرنـا فيها وجدنـا أنفسنا كالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ . . وفى هذه الفترة كـانواْ يحبون النبى ـ

---

(٨) سورة نوح : آية ٢٨ .

(٩) سورة مريم : آية ٣٩ .

ﷺ - حبًا كثيرًا . . ونرى الآن جميع قلوب المؤمنين والمؤمنات تحب النبى - ﷺ - كل على قدر إيمانه ، فالحمد لله أن اختصنا بسماع القرآن دون باقى الأمم ، محفوظًا كما أنزل . . فشاركنا الصحابةَ - رضوان الله عليهم - فى هذه النعمة ، وحافظ على قلوب هذه الأمة وتولاها بالمحبة المحمدية ، فنحن أيضًا نشارك أصحاب النبى ﷺ فى هذه النعمة التى بها يكمل إيماننا . .

روى البخارى عنه - ﷺ - قال : «لا يؤمنُ أحدُكم حتى تكونَ ذاتى أحبَّ إليه من ذاتِه ، وعترتى أحبَّ إليهِ من عترته» .

وفى حديث آخر :

«لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسِه وولدِه ووالدِه والناسِ أجمعين»(٩) .

وهذه الصفة كانت متحققة فى الصحابة - رضى الله عنهم - فكانوا يحبونه - ﷺ - أكثر من حبهم لأنفسهم ، وكانوا يحبون أهل بيته أكثر من حبهم لأهل بيوتهم !!

ونحن - والحمد لله - نحب أهل البيت كثيرًا ، فشاركنا الصحابة - رضى الله عنهم - فى هذه النعمة !

وسل جميعَ الورى عنهم فليسَ تَرَى * فى الناسِ من مؤمنٍ يهْوَى لبُغضِهم

والصحابة كانوا يحجون ويطوفون ويعتمرون مع النبى ﷺ فى حياته ، وبعد مماته . .

---

(٩) رواه البخارى .

وها نحن الآن نرى الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا مشمرين إلى الحج وإلى عرفات، ثم نراهم مشمرين إلى المدينة لزيارة خير النبيين ورسول رب العالمين سيدنا محمد ـ ﷺ ـ . .

سبحانك يا صبور ! أنت واسع الصبر . .

كان هناك جماعة يقولون للناس القاصدين للزيارة : إلى أين تذهبون؟ رأيتهم فى مكة يصدون الناس عن زيارة النبى ﷺ .

عن شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله : كيف أُسرِى بك ؟ قال : صليتُ لأصحابى صلاة العتَمةِ بمكة مُعْتِمًا ، فأتانى جبريلُ ـ عليه السلام ـ بدابةٍ بيضَاءَ فوقَ الحِمَارِ ودونَ البغل فقال : اركب فاستَصْعَب علىَّ ، فَرازَها بأذنها ثم حملنى عليها فانطلقْت تهوِى بنا يقعُ حافرها حيثُ انتهى طرفها حتى بلغْنا أرضًا ذاتَ نخلٍ ، فأنزلنى ، فقال : صلِّ . . فصليت ثم ركبت فقال : أتدرى أين صليتَ ؟ قلتُ : الله أعلم !

قال : صليتَ بيثرب ، صليت بطَيْبَة . .

فانطلقتْ تهوى بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ، ثم بلغنا أرضًا قال : انزل ، ثم قال : صلِّ . . فصليتُ . ثم ركبنا ، فقال : أتدرى أين صليت؟ قلت : الله أعلَم !

قال : صليتَ بمدينَ عند شجرةِ موسى . .

ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضًا بدت لنا قصورٌ ، فقال : انزل . فنزلتُ فقال : صلِّ ، فصليتُ ثم ركبنا ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ قلت : الله أعلم !

قال : صليتَ ببيت لحمٍ حيثُ ولد عيسى المسيح ابن مريم . .

ثم انطلق بى حتى دخلنا المدينة من بابها اليمانى فأتى قبلة المسجد فربِط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمسُ والقمر ، فصليت من المسجد حيث شاء الله . . إلخ »[10] .

قال أبو البركات الدردير الملقب بـ «مالك الصغير » : «من هذا الحديث يؤخذ جواز التبرك بآثار الأنبياء والمرسلين والصالحين» . فكيف إذن لا نذهب إلى النبى ـ ﷺ ـ، وهو حىّ بالمدينة وفى روضة من رياض الجنة ؟ وكيف لا نحترم موضعه ، والله ـ تعالى ـ عظم موضع إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ : ﴿وَاتَّخِذُواْ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[11] . وفى قراءة أخرى : ﴿وَاتَّخَذُواْ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ . أى : أن الأمم السابقة كانت تصلى وأنتم أيضًا صلوا هناك . .

وكما هو معروف (فالمقام) هو مكان قدميْه الشريفتين أثناء بناء الكعبة مع ولده إسماعيل عليهما السلام . .

فإذا كان سيدنا محمد ـ ﷺ ـ أفضل العوالم كلها ، فالصلاة بجواره أفضل من أى صلاة نصليها ، والصلاة فى روضته أفضل منها فى جميع المواقع . .

كيف لا يكون ذلك ، وهو الذى تشرفت به الكعبة لما طاف بها صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

وأنت أيها الصادّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أتنوى زيارة المسجد ولا تنوى زيارة النبى ـ ﷺ ـ كيف ذلك ؟! قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١٠) رواه الترمذى والبيهقى . .

(١١) سورة البقرة : آية ١٢٥ .

«لا تشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجِدَ : المسجدِ الحرام، والمسجدِ الأقصى، ومسجدِى هذا»(١٢) .

والصلاة فى مسجده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بألف صلاة، ولولاه ـ ﷺ ـ لكان مسجده كبقية المساجد، وإنما تشرف المسجد به صلى الله عليه وآله وسلم !!

وكيف تذهب للكعبة وعرفات ومنى، ثم لاتذهب لزيارته ﷺ مع أنه أفضل منها بملايين المرات !!

الشيخ الشوكانى قال فى كتابه «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» : (باب من قال بوجوب زيارته ﷺ)، وساق الأقوال والأدلة . .

وأنا أرجح لنفسى وجوب زيارته ؛ ليثيبنى الله ثواب الواجب . . وفى كتاب «المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضى عياض ـ رحمه الله ـ أن ابن عرفة حج سبع عشرة حجة، وكان يلقى الإمام مالكًا فى المدينة فى كل مرة منها، ولم يقل له مالك : لماذا أكثرت الحج ؟ بل أقره على ذلك . .

وورد عن كثير من الصحابة أنه كرر الحج، وأن سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ حج عشرين مرة ماشيًا . .

فتكرار الحج لا شىء فيه ؛ لأنه عبادة، وكذا زيارته ﷺ . . كيف ؟ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١٢) رواه البخارى ومسلم .

«ما من أحدٍ يسلمُ عليَّ ــ وفى رواية (عند قبرى) ـ إلا رد الله علىَّ روحى، فأردَّ عليه السلام»[١٣].

لو دفعت ملايين الجنيهات لأجل أن يرد عليك المصطفى ﷺ كنت أنت الرابح . .

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ برواية ابن عمر :

«من زارنى وجبتْ له شفاعتى»[١٤].

«من زارنى بالمدينةِ مُحتسبًا كنتُ له شفيعًا يومَ القيامة»[١٥].

«من زارنى فى مماتى فكأنما زارنى فى حياتى»[١٦].

وقد طعن فى هذه الأحاديث ابن تيمية . . غير أن تقى الدين السبكى الشافعى ألف كتابًا خاصًا بالرد عليه، وأسماه : «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام ـ عليه الصلاة والسلام» وأتى فيه برجال سند الأحاديث، وردَّ على ابن تيمية . . وأنا أذكر مسألة :

الحديث المكتوب عند علماء نجد : «إلا ردَّ اللهُ علىَّ روحى» والحديث : «من زارنى فى مماتى فكأنَّما زارَنى فِى حياتى» . .

فصفة الأحياء : من سلَّم عليهم يردون عليه السلام . . فإذا كان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يسمع ويرد، فقد فعَل فِعْل الأحياء . .

---

(١٣) رواه أبو داود برواية : (ما من مسلم يسلم علىّ . . . الحديث) . .

(١٤) رواه البيهقى فى الشعب . .

(١٥) رواه البيهقى فى الشعب بزيادة لفظ : «كنت له شفيعًا وشهيدًا» .

(١٦) رواه الدارقطنى والطبرانى والبيهقى .

فحديث «من زارنى . . .» صحيح معناه . .

وإذا كان الحديث عندك ضعيفًا من هذا الوجه، فالعلماء يقولون: ضعيف بهذا الإسناد، صحيح بإسناد آخر، وهذا لا غبار عليه . .

قال عليه الصلاة والسلام :

«إذا مرّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام» (١٧) .

فإذا كان أى مسلم يرد عليك ـ وهو ميت ـ ويعرفك . . فكيف به ﷺ؟! الشيخ محمد الزرقانى المالكى الأزهرى ـ شارح موطأ الإمام مالك ـ قال فى باب (صفة المسيح ابن مريم) :

وللعلماء فى هذا الحديث : «إلا ردَّ الله علىّ روحى» قولان :

الأول: أنه ـ ﷺ ـ إذا وضع فى قبره فأول من يسلم عليه فإن الله ـ تعالى ـ يرد عليه روحه فتبقى معه إلى يوم القيامة . .

الثانى : أنه ـ ﷺ ـ أحياه الله بلا شك ولا ريب، حياة تفوق حياة الشهداء والأنبياء والمرسلين . .

ومعنى «ردّ اللهُ على روحى» أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما يكون فى المشاهدة الربانية والمكالمة الإلهية يكون غائبًا عن العالم، فإذا سلم عليه أحد رد الله عليه روحه، أى كشف عنه هذا الشهود حتى يسمع ويرد» . . ا . هـ كلام الشيخ الزرقانى . وسمعته من الشيخ محمد الحلبى شيخ الشافعية الذى كان يدرس «مشكاة المصابيح» فى الرواق العباسى . .

---

(١٧) رواه ابن أبى الدنيا .

فهو ـ ﷺ ـ حيّ بلا شك ولا ريب، وهو يسمع السلام من كل من يسلم عليه سواء فى روضته أو فى أى بلد من بلاد العالم . . فإذا كان النبى ـ ﷺ ـ حيًّا ويسمع ويرّد السلام، فكيف لا ننوى زيارته ونذهب إليه؟! كيف، مع أنه ﷺ لما نزل ليلة المعراج صلى فى مواضع معينة بأمر جبريل الذى سأله: أتدرى أين صليت ؟ فقال: لا . فقال جبريل: هذا «بيت لحم» حيث ولد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فقد جاء مريم المخاض فى هذا المكان، ووضعت فيه سيدنا عيسى، وقد حافظ الله على تلك القطعة من الأرض؛ لأنها بوركت وتشرفت بعيسى ـ عليه السلام ـ، فأمره الله أن يصلى فيها . . الله ! الله !

يا أخى : يكرم الله مواضع الأنبياء والصالحين ويشرفها، ويأمر النبى ـ ﷺ ـ سيد العالمين أن يصلى ركعتين فى مكان ولادة عيسى ـ عليه السلام ـ فكيف لا نعظم مكان ولادته ﷺ ؟! .

والحمد لله . . مكان ولادته بعد أن كان سوقًا تباع به الحمير صار مكتبة ! .

فإذا كان النبى ـ ﷺ ـ قد صلى فى مكان ولادة عيسى عليه السلام فمن باب أولى أن نصلى فى مكان ولادته ﷺ . .

وهكذا كان القضاء الإلهى : مكان ولادته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصبح مكانًا للصلاة وكتب العلم . .

وقد ذهبت إليه وانشرح صدرى، وحمدت الله وشكرته . .

فالتبرك ليس شركًا، وكذا المحبة . . فهى من الدين لمن يفهم . . قال عليه الصلاة والسلام : «يا علىّ : لا يغضبك إلا منافق» (١٨) .

(١٨) رواه الترمذى .

وقال: «حبُّ الأنصارِ إيمانٌ، وبغضُهم كفر»[١٩].

وقال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»[٢٠].

فيكون المعنى: من كنت سيدًا عنده ومحبوبًا فكذلك عليّ!

وقال: «لا يؤمنُ أحدكم حتى تكون ذاتى أحبَّ إليه من ذاته، وعترتى أحبَّ إليه من عترته».

فكان الصحابة ينظرون للحسن والحسين نظر المحبة: فكان أبو بكر الصديق يحب سيدنا الحسن أكثر من أولاده، وكذا الحسين لأنه سمع حديث النبى ـ ﷺ ـ السابق..

فالصحابة أجمعون كانوا يحترمون أهل البيت، ويحبونهم كثيرًا لحبهم للرسول ـ ﷺ ـ.. الله!!

يا أخى: المحب يقبل «المقصورة»، وأنت تقول حرام؟!

لك هذا.. ولكن إذا أردت أن تقول إن هذا حرام فيلزمك دليل من الكتاب أو السنة..

وأنا أُقبِّل «المقصورة»، وأُقبِّل «الميكرفون» فهل هذا حرام؟!

فالحرام: ما نص على تحريمه، ومن قال بالتحريم فعليه أن يأتى بالدليل القاطع..

والفلاح يُقبِّل الجاموسة الصغيرة، ويقول: يا صنعة ربنا ـ فهل حرم الله هذا؟

---

(١٩) رواه البخارى ومسلم.

(٢٠) رواه أحمد والترمذى.

يقولون: الصلاة على النبى بعد الأذان حرام !!

كيف ؟ وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿صلُّوا عليه وسلموا تسليمًا﴾ (٢١).

وهو أمر عام فى المكان والزمان، أى صلوا عليه فى أى وقت وأى مكان. . ويدخل فى عموم هذا الأمر المؤذن وغيره . .

والحديث: «إذا سمعتم المؤذّن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا علىّ فإنه من صلى علىّ صلاةً، صلَّى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلةٌ فى الجنة لا تنبغى إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمن سألَ اللهَ لى الوسيلةَ حلَّت عليه الشفاعة»(٢٢).

قال العلماء: الأمر هنا (صلُّوا) عام: سرًا أو جهرًا، فالنبى ـ ﷺ ـ لم يخصص هذا العام . .

الشيخ محمد بخيت المطيعى ـ مفتى مصر ـ الذى عاش مائة عام وستة ـ قال ـ وهو يدرس فى رسالته (السنة والبدعة): «والمؤذن سمع أذان نفسه، فدخل فى عموم الأمر: «ثم صلوا علىَّ» فسيَّان صلَّى سرًا أو جهرًا» . . ا . هـ .

لكن مع من تتكلم: مع بائع الطعمية أم مع بائع الطماطم ؟ اللهم ارفع عنا هذا البلاء !!

والشيخ محمود خطاب ألفُ رحمةٍ تنزل عليه ! يقول: مكثت إحدى عشرة سنة أمام العلماء، ومذهبى مالكى، وعينونى مدرسًا لفقه

---

(٢١) سورة الأحزاب: آية ٥٦ .

(٢٢) رواه مسلم وأحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما . .

المالكية، ودرست أصعب كتاب «مجموع الأمير» وشرحت عليه شرحًا كبيرًا . .

فكيف يكون شيخك مالكيًا وأنت من أول يوم تجتهد ؟ رحمة الله على الشيخ محمود خطاب الذى كانت طريقته خلوتية أخذها عن الشيخ أحمد بن جبلى السبكى المتصل سنده فيها بالشيخ أحمد الدردير رضى الله عنهم !!

وقد ألف الشيخ محمود خطاب كتاب «العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق» . .

أما الآن فتسمع من المنتسبين له :

صلاة التراويح ثمانى ركعات، وغير ذلك بدعة . .

وقرأتُ فى شرح الشيخ محمود خطاب على سنن أبى داود : «صلاة التراويح مستحبة، والعدد غير معين» . .

وهذا الكلام هو ما قرره العلماء من قبل، استنادًا إلى قوله ـ ﷺ ـ :

«من قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدمَ من ذنبِهِ»[٢٣] . وأطلق العدد ولم يحدده . .

وأول من فهم هذا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ، فجمع الصحابة على عشرين ركعة . .

بالله عليك . . بالله عليك . . بالله عليك : لو أن أمير المؤمنين يعلم

---

(٢٣) رواه الشيخان .

أنها ثمانى ركعات هل له أن يخالف النبى ﷺ ؟ وليس هو وحده الذى فعل هذا، بل كان معه ذو النوريْن، وعلىّ ـ باب مدينة العلم ـ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وأيضًا سيدنا عبد الرحمن بن عوف، والمهاجرون، والأنصار الذين امتلأ بهم المسجد يصلون عشرين ركعة . . وبعد ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين سنة يقبح منك أن تقول: إن صلاة التراويح عشرين ركعة بدعة . .

أهؤلاء كلهم ضلواْ ؟! وأنت يا جهول عرفت الدين الصحيح ؟! واللهِ، هذا الكلام لا يقال إلا فى زمن كثر فيه التهاون بالدين، ولو كان أُولُواْ الأمر غير متهاونين لضربوهم على أيديهم وأرجلهم . .

كيف لا ؟! وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ : «إذا سبَّ أواخرُ الأمةِ أوائلَها فانتظرواْ الساعة»(٢٤) .

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلى فى رمضان فى المسجد ولم ينو التراويح ؛ لأن قيام الليل واجب عليه (٨ ركعات) بالوحى واجتهاده . . والله أعلم !

وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى فى المسجد ذاتَ ليلةٍ، وصلى بصلاته ناسٌ ، ثم صلى من القابلة فكثر الناسُ، ثم اجتمعواْ من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرجْ إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال : قد رأيت الذى صنعتم فلم يمنعنى من الخروجِ إليكم إلا أنى خشيتُ أن تفرضَ عليكم، قال : وذلك فى رمضان»(٢٥) .

---

(٢٤) روى بلفظ قريب منه فى سنن أبى داود . .

(٢٥) رواه مسلم .

فمن أين إذن أن التراويح ثمانى ركعات ؟!

واستمر الأمر على هـذا . . وجاء مالك من تابع التـابعين، وهو أعلم أهل زمانـه الذى قيل فيه : (إذا روى مـالك الحديث فقـد جاوز القنطرة) يقول مالك : «يستحب صلاة التراويح وهى عشرون ركعة» .

فكيف يضـل الصحابـة والتابعون ؟! يـا هذا : إن الـرجوع إلـى الحق فضيلـة . . والعلم الآن أصبـح «قتّة محلـولة» ولـو كـان فى زمـاننا أميـر المؤمنين وضرب بالكرباج كل من تكلم لما حدث هذا . .

انظر مثلاً : لو قال واحد منهم : هذا الوزير وزير ضلال لضرب حتى الموت !

حدث أن رجلا مصريًا منتسبًا لبعض الجمعيات الدينية كان يقول عن الإمام أبى حنيفة : أبو جيفة ! ، وعن الشيخ الشعرانى : البعرانى !!

وقد ذهـب بعض أصحـاب هذا الرجـل إلى المدينـة وشتم الإمـام أبا حنيفة، فـذهب به العلمـاء إلـى المحكمـة ؛ لأنـه سـبَّ رجـلاً مـن علماء السلف فقال فى المحكمة : تبت إلى الله ورجعت إليه . .

فكتبوا ورقة فـى المحكمة بذلك : إن فلانًا سـبَّ، وتاب، ورجع . . ولما عرضت أوراق المحاكم على الملك عبـد العزيز بأن فلانًا المصرى سبَّ أبـا حنيفة واعتـدل . . وقال : أيسـب عالمًـا من علمـاء السلف، وغضب . . وقال : ماذا فعل به ؟

قالوا : استتيب ، فتاب . .

فكتب : من عبد العزيز إلى فلان المصرى : بلغنى أنك سببت

أبا حنيفة وتبت . . والله لو حصل منك مرة أخرى وقامت عليك البينة لحكمت عليك بأشد العقوبة . .

فأول ما وصلت له الورقة، جمع لوازمه وخرج من الحجاز . . فلو كان هذا عندنا لما كان هذا الموقف من جانب الحكومة . . يقول أمثال هذا: «علماء الأزهر ضلالية» فلو كان يعلم العقاب ما تجرأ وتفوَّه بها . .

نسأل الله أن يجعل حكامنا يغارون على العلم والعلماء، اللهم وفقهم لذلك . . آمين !! . .

قال تبارك وتعالى: ﴿إذا جاء نصرُ الله والفتح﴾ (٢٦) : نصرنا لله يأتى بنصر الله لنا: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ (٢٧) .

ولا نكون ممن نصر الله إلا إذا انتصرنا على أنفسنا، وما دمنا قد خُذِلنا أمام أنفسنا، فسوف نخذل أمام بقية الأعداء ﴿إن تنصروا الله ينصرْكُم ويثبتْ أقدامَكُم﴾ . . وقال ﷺ : «لا تزالُ طائفةٌ من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من خَذَلهم حتى يأتىَ أمرُ اللهِ وهم كذلك» (٢٨) .

وهذه الطائفة هى التى مع أهل بيته . . مصداقًا لقوله ﷺ: عن زيد ابن أرقم قال:

«قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًّا ــ بين مكة والمدينة ــ فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال:

---

(٢٦) سورة النصر : آية ١ .

(٢٧) سورة محمد : آية ٧ .

(٢٨) رواه مسلم والترمذى وابن ماجة .

أما بعد: ألا أيها الناسُ: فإنما أنا بشرٌ يُوشِك أن يأتيَ رسولُ ربى فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلين: أولهما كتابُ الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغَّبَ فيه، ثم قال: وأهلُ بيتى.. أذكِّرُكم الله فى أهل بيتى! أذكركم اللهَ فى أهل بيتى! أذكركم اللهَ فى أهل بيتى»[٢٩].

فمن كان معهم لا يضره من خالفهم.. وهم مع الحق.. والله ناصرهم.. وكل من خرج على أهل بيت النبى ليس معصومًا.. وقد أذنب ويغفر الله له..

«أُذكركم اللهَ فى أهل بيتى».. إذن.. فما الحكم فى اختلاف بعض الصحابة مع أهل البيت؟

الله أكبر! يا أخى: هم بشر أخطأوا ويغفر الله لهم..

وقد قال العلماء: علىٌّ اجتهد فأصاب، فله أجران، ومعاوية اجتهد فأخطأ فله أجر واحد..

وأنا مع الرأى القائل بأنهم ليسوا معصومين.. فمن كان مع أهل البيت فقد أصاب، ومن أخطأ يغفر الله له، ويثيب الله من كان معهم..

عن ابن عباس رضى الله عنهما.. عن النبى ﷺ قال: «**مَن رأى مِن أميره شيئًا يكرهه فليصبرْ عليه، فإنه مَن فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا ماتَ مِيتةً جاهِلِيَّة**»[٣٠].

---

(٢٩) رواه مسلم والدارمى وأحمد.

(٣٠) رواه البخارى ومسلم.

والإمام علىّ بن أبى طالب كان هو الإمام والخليفة وأمير المؤمنين . . والعصمة للأنبياء والمرسلين . . ونحن لا نقول : إن عليًا أخطأ ؛ لأنه الإمام الواجب اتباعه .

ولقد سُئِل : يا علىّ : ما دليلك على هذا القتال ؟

فقال : قوله ـ تعالى ـ : ﴿فقاتلوا التى تَبْغِى حتى تفىءَ إلى أَمْر الله﴾(٣١) . فمن حاربنى فقد بغى ! . .

وروى أنه ـ ﷺ ـ قال لعمَّار بن ياسر : « . . . وَيْحَ عمارٍ تقتلُهُ الفئةُ الباغية»(٣٢) .

وقد قتلته فئة معاوية ! تجاوز الله عنهم . . وكل الصحابة تابوا ورجعوا حتى عمرو بن العاص صار يتألم ويتأسف ويستغفر ! . .

فإذا لم يغفر الله للصحابة ، فلمَنْ يغفر إذن ؟!

وما مات صحابى ، وهو مُصِرٌّ على أن عليًا أخطأ ! . .

هذا معاوية جاءوا إليه برجل من أصحاب علىّ اسمه «ضرار » وقال : يا هذا صف لى عليًا . .

فصار يصفه ، ومعاوية يبكى ويقول : والله لقد كان هكذا . . فإذا كان معاوية هكذا ، فكيف بالباقين ؟ الكل تاب ورجع . ثم قال له معاوية : فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟

قال : حزن مَن ذُبِحَ وحيدُها فى حجرها وهى تنظر إليه .

---

(٣١) سورة الحجرات : آية ٩ .

(٣٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

فى كتاب: «إحياء علوم الدين» للغزالى ـ رحمه الله ـ: «رأى عمر بن عبد العزيز منامًا، كأنه فى يوم القيامة، ورأى النبى ﷺ ـ جالسًا عند الكعبة، ومعه الخلفاء والصحابة، فنادى منادٍ من دار: يا علىّ. قال: نعم.

فذهب بعد أن قام من عند النبى ـ ﷺ ـ ثم قال المنادى: يا معاوية. فقال: نعم. ثم ذهب.

قال: فبعد قليل جاء سيدنا علىّ يضحك ويقول: قُضِى لى وربِّ الكعبة، وجاء معاويةُ وهو يقول ضاحكًا: غُفِر لى وربّ الكعبة» ا. هـ.

فالصحابة ـ رضى الله عنهم ـ منهم من أصاب، ومنهم من أخطأ. أما يزيد بن معاوية، فله حكم آخر، وقد قال بعضهم: «يالَاعِنَ اليزيد لا تزيد»!

فهو لم يقتل الحسين فقط، بل قتل معه كل من كان معه من رجال أهل البيت، ولولا شفاعة السيدة زينب رضى الله عنها لعلىّ زين العابدين لقتله أيضًا..

ولم يبق من أبناء الإمام الحسين إلا هو، فملأ الله به الدنيا أشرافًا جعافرة.. أما يزيد فقد قضى الله عليه وعلى ذريته..

والذنب الثانى ليزيد: استحل المدينة ثلاثة أيام لجيشه ومنعت الصلاة فى المسجد النبوى، وفعل بالمدينة ما لم يفعله أحد قبله ولا بعده.. مما يبرأ منه الإسلام!

لكن معاوية اصطلح وتاب وندم ورجع، وكان سيدنا الحسن يزوره، وكان يتودَّد لأهل البيت ويعطيهم العطايا الكثيرة..

وقد قالت السيدة زينب ـ رضى الله عنها ـ ليزيد: لقد قتلت الحسين واللهِ، لقد سألت الله له الشهادة؛ ليكون مع أهله من الشهداء. وقد خَطَبتْ أمامه بكلام أوجعه، وكان قَتْل النساء عيبًا، ولولا ذلك لقتلها!..

كما أن الحجاج عندما قتل عبد الله بن الزبير، وأمر بصلبه تألمت أمه أسماء بنت أبى بكر لصلب ولدها، وقصدت الحجاج أن يسمح لها بدفن جثمان عبد الله بن الزبير، ولكنه أبى ذلك فقالت له: أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرجُ من ثَقِيف كذَّابٌ ومُبِيرٌ». فأما الكذَّاب فهو المختار، وأما المبير فما أظنك إلا هو. ولكن عبد الملك كان أكبر تسامحًا من قائده، فقد بعث إلى الحجاج ينهاه عن صلب ابن الزبير، ويأمره بالسماح لأسماء بأن تدفن جثة ولدها(٣٣)..

ومن أفعال الحجاج التى امتهن بها حرمة أصحاب النبى ﷺ ما روى عن سبب وفاة ابن عمر رضى الله عنهما، من أنه قد أصابه رجل من أهل الشام بزجة فى رجله. فجاءه الحجاج يعوده فقال: لو أعلم الذى أصابك لضربت عنقه. فقال عبد الله: أنت الذى أصبتنى! قال: كيف؟

قال: «يوم أدخلت حرم الله السلاح»(٣٤).

أما السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وما فعلته مع الإمام علىّ فيغفر الله

---

(٣٣) يراجع: مروج الذهب للمسعودى ٣/ ٥٨.

(٣٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ١٣٦.

لها، ولم تكن معصومة، وقد غشوها وخدعوها ولفَّقُواْ لها كلامًا كذبًا . . فقد سمعتُ النبى ﷺ يقول :

«كيف بإحداكُنّ تنبحُ عليها كِلابُ الحَوْأَبِ»(٣٣) .

«والحوأب» : مكان بين العراق والمدينة . . فلما جاءت ووصلت إليه ليلاً، نبحت الكلاب . قالت : أى ماءٍ هذا؟ قالوا : ماء الحوأب . قالت : ما أظننى إلا أنى راجعة . فقال بعض مَنْ كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عزَّ وجلَّ ذات بينهم . فقالت : إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم : «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب» . فحلف الناس كذبًا بأن هذا ليس الحوأب، فكان هذا أول يمين اجتمعت عليه الناس كذبًا، وأول يمين كذب يمين إبليس .

﴿وقَاسَمهُما إنى لكما لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾(٣٤) .

وأخرج البيهقى : «أنه لما دنا علىّ وأصحابه من طلحة والزبير ودنت الصفوفُ بعضُها من بعض خرج علىٌّ، وهو على بغلة رسول الله ﷺ، فنادى : ادعواْ لى الزبيرَ بن العوام فإنى علىّ . فدُعِى له الزبير ، فأقبل حتى اختلفت أعْنانُ دوابهما . فقال علىّ : يا زبير، أنشدتُك اللهَ أتذكر يوم مَرَّ بِكَ رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن فى مكان كذا وكذا، فقال :

«يا زبيرُ : ألا تحب عليًّا ؟! فقلت : ألا أُحب ابنَ خالى، وابنَ عمى، وعلى دِينى . فقال : يا زبير ، أما واللهِ لتقاتلنَّه وأنت ظالمٌ له !

---

(٣٣) رواه أحمد .

(٣٤) سورة الأعراف : آية ٢١ .

فقال الزبيرُ : بَلى، والله لقد نسيتُه منذ سمعتُه من رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أُقاتلك» ا . هـ .

ثم بعد أن انتهت موقعة الجمل لصالح الإمام علىّ قال للسيدة عائشة : أتبقين معى أم تعودين إلى المدينة ؟

قالت : أرجع . . فأتى بأربعين امرأة وألبسهنَّ ملابس الرجال وصحبوها وأحاطوا بها ، وأوصاهنَّ : إياكنَّ أن يصل إليها سوء !

وفى الطريق كانت تقول : جزاك الله عنى أتجعلنى بين الرجال ؟! فلما وصل الركب إلى المدينة كشفت النسوة عن وجوههن ، وأرينها أنهنَّ من بنات حواء ، وصِرْن يعرفنها بأنفسهن فقالت : جزاك الله عنى خيرًا يا ابن أبى طالب ! . .

ـ حول «البدعة» ـ :

حلقات العلم فى الأزهر لم يعملها النبى ﷺ ـ ولكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمر بتعلم العربية . .

والنحو يدرس فى الأزهر ، ولم يدرس فى عهد النبى ﷺ . . نبنى مستشفى ونوظف أطباء ! لم يحدث هذا فى عهد النبى ـ ﷺ ـ، لكن هناك قواعد عامة نعمل بها . .

قال ـ ﷺ ـ :

«مَن استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فلينفَعْه»[٣٥] .

---

(٣٥) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

فدخل فى هذا القول المستشفى والعلاج . . . إلخ .

الإمام الشافعى قرر : نرجع بكل شىء إلى أصله . .

قال تعالى : ﴿وافعلواْ الخيرَ﴾[٣٦] .

عمل القنطرة على الترعة لم يرد ، ولكنه خير . . إذن نعملها . . الطيَّارة . . لم ترد . . ولكن ترجع إلى قوله تعالى :

﴿ولله على الناس حج البيت﴾[٣٧] . فالأمر هنا بحج البيت، ولكن لم نؤمر بركوب الجمال فى الحج ولكن حسب الاستطاعة . ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾[٣٨] على أرجلهم، والخيل، والبغال، والحمير . . ﴿ويخلقُ ما لا تعلمون﴾[٣٩] . فتدخل هنا الطائرة . .

أما البدعة ، فهى : كل ما ليس له أصل فى الدين . .

إذا عمل بعض الناس سرادقًا وأحضر راقصة . . فهذا حرام وأقل ما فيه النظر إلى الأجنبية حرام . .

والخير لا يكون ضلالة أبدًا . . ولم يرد أبدًا أن النبى ﷺ جمع الناس وسقاهم شايًا . . فإذا جمعت الناس وسقيتهم شايًا هل يكون هذا

---

(٣٦) سورة الحج : آية ٧٧ .

(٣٧) سورة آل عمران : آية ٩٧ .

(٣٨) سورة الحج : آية ٢٧ .

(٣٩) سورة النحل : آية ٨ .

بدعة؟ لا. هذا يرجع إلى الأصل ﴿وافعلوا الخير﴾ . قال ﷺ: «صنائعُ المعروفِ تقى مصارعَ السُّوء»(٤٠).

فالمعروف عند الناس يكون حسناً، وفى الشرع لا يكون قبيحًا . .

«نهى رسول الله ﷺ ـ عن كل مسكر ومفتر» .

والشاى والقهوة لم يدخلا فى ذلك . .

س: ما الفرق بين البيرة والشاى :

جـ : البيرة: إذا رجعنا إلى الأصل مفتر أو مسكر فهى حرام . إذن فالشاى وعصير الموز والبرتقال والمانجو والقصب ليس محرمًا، وإن كان حدثًا جديدًا ؛ لأنه لم يدخل فى المسكر أو المفتر قال ـ ﷺ ـ:

«لا تصلوا على الصلاة البتراء» وهى التى لا يذكر فيها آل النبى ـ ﷺ ـ فمثلاً «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد» : بتراء، «وعلى آله»: تامة . . وأصل البتراء المقطوعة، والأبتر ، الأقطع .

ـ تزيين المساجد ـ :

علماء المالكية قالوا: إن تزيين المحراب وحوائط المسجد مكروه، أما كلمة «حرام» فتحتاج إلى نصّ صريح . . وليست الكراهة ذاتية ؛ لأن الزينة التى على المحراب تشغل المصلى، وهذا الحكم خاص بتزيين المحراب وغيره من حوائط المسجد وسقفه .

والدليل على ذلك :

«ما روى أن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها اتخذت على سَهْوة لها

(٤٠) رواه الحاكم والطبرانى .

سِتْرًا فيه تماثيل، فهتكه النبى ﷺ، فاتخذت منه نمْرقتيْن فكانتا فى البيت يُجْلَس عليهما »[٤٣].

وعند المالكية : فرش المساجد بالسجاد مكروه أيضًا، لكن لو فرش بالفعل انتفت الكراهة . . لماذا ؟

لأن أصل الكراهة الترفه ، ومخالفته لمسجد النبى ﷺ . .

أما الحصير : فالصلاة عليها سنة . . فعن أبى سعيد أنه «دخل على رسول الله ﷺ قال : فرأيته يصلى على حصير يسجد عليه»[٤٤].

إذن . . فقد ورد عنه ـ ﷺ ـ الصلاة على الحصير . .

ولذلك قالوا : الصلاة على الحصير سنة ، وعلى التراب أفضل . . لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأفلح :

« يا أفلح : ترِّب وجهك » أى : فى سجوده[٤٥].

والصلاة على السجاد مكروهة ما لم تكن وقفًا عليه ـ أى على المسجد ـ وكما أن تزيين المحراب يشوش على المصلى فكذلك السجاد إذا كان به صور مكروه لنفس العلة، فإذا كان خاليًا من الصور فحكمها الجواز . .

---

(٤٣) رواه البخارى وأحمد . والسَّهْوة: بيت صغير منخفض يشبه الخزانة، والنُّمْرُقة هى : الوسادة الصغيرة . .

(٤٤) رواه مسلم .

(٤٥) رواه الإمام أحمد .

«دفن الميت»

المالكية : يدفنون فى لحد إن كانت الأرض صُلبة، أو شق إن كانت الأرض رخوة، ويحرم فتح القبر بعد الدفن إلا لضرورة شرعية، ولكنهم فى مصر أجازوا عمل حجرة للدفن، لضيق أرض المدافن . .

***

س : ما معنى « طه » ؟

جـ : بعض العلماء قال : (طَه) منادى محذوف منه ياء النداء .

والمعنى : يا طَه : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وكذلك (يسّ) معناه : يا يسّ : إنك لمن المرسلين ، وهذه من أسماء النبى ﷺ . .

وقال السيوطى : الله أعلم بمراده منها ، وكذلك قال فى جميع الأحرف المقطعة الأخرى التى بُدئت بها سور من القرآن الكريم . .

وجماعة قالوا : كل حرف يدل على اسم من أسمائه تعالى، فمعنى «طاء» : طاهر ، ومعنى «هاء» : هادى . .

وجماعة قالوا : «طَه» اسم للسورة فالمعنى : هذه سورة طه .

وجماعة قالوا : هذا فعل أمر ، معناها «طأها» أى : دس الأرض بقدمك ؛ لأن النبى ـ ﷺ ـ كان يقوم الليل كله ، وإذا أدركه التعب كان يرفع قدمه عن الأرض حتى يريحها . .

وبعضهم قال : «طَه» جاءت فى أول السورة ؛ تنبيهًا للمستمعين، أى : انتبهوا جاءكم كلام غريب ؛ لأن العرب لم تكن تعرف كلمة «طه» فلم يوجد رجل عربى اسمه «طه» و «يس» .

فمعنى هـذا القول أن «طه» و «يس» ونحـوهما: آيات وأدلـة على أن القرآن ليس مخلوقًا من المخلوقات، وإنما هو كـلام الله تعالى، وأيضًا فإن معناه: القرآن منى، وليس من محمـد ﷺ فهذه خلاصة الأقوال فى تفسير قوله تعالى «طٰه» والله تعالى أعلم بالصواب منها . . ا . هـ .

ـ مدفن النبى ﷺ ـ:

قالـت السيدة عائشة لـوالدها أبى بكـر رضى الله عنه : يا أبـت رأيت ثلاثة أقمار سقوطًا فى حجرتى . فقال لها والدها: سيـدفن فى غرفتك ثلاثـة هـم خيـر أهـل الأرض. فلمـا قُبـض رسـول الله ﷺ قـال لهـا : ياعائشة: هذا أحد أقمارك الثلاثة ، وهو خيرهم .

والبيت كان ملكًا لعائشة ؛ لأن النبى ﷺ بنى لأمهات المـؤمنين كل واحدة بيتًا، وللسيدة عائشـة غرفتان، دفن ﷺ فـى حجرة وكانـت هى تسكن فى الأخرى . .

فلما مات أبوها أذنت فى دفنه فـى ملكها فى بيتها، فدفن بجواره ﷺ «ولما قُتِـل سيدنا عمـر ـ رضى الله عنـه ـ قـال لابنه عبد الله: انطلـق إلى عائشة أم المـؤمنين فقل لها: يقـرأ عمر عليك السلام، ولا تقـل لها أمير المؤمنين فإنى لست اليوم أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفَن مع صاحبيْه. فسلم واستأذن، فوجدهـا قاعدة تبكى فقال: يقرأ عمر بن الخطاب السـلام ويستأذن أن يـدفن مع صـاحبيه. فقـالت كنـت أريده لنفسى ولأوثرن بـه اليوم على نفسى . . فلمـا أقبل قيل: هذا عبـد الله بن عمر قد جـاء . فقال: ارفعونى . فأسنـده رجل إليه، فقال: مـا لديك؟ قال: ما تحب . قد أذنتْ . قال: الحمـد لله، ما كان من شىء أهم إلىَّ

من ذلك! . . وإذا أنا قبضت فاحملونى، ثم سلم فقل: يستأذن عمر ابن الخطاب، فإن أذنت فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين» رواه البخارى .

وفى رواية البخارى ومسلم عن سعيد بن المسيّب قال: «أخبرنى أبو موسى الأشعرى أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقال: لألزَمَنَّ رسول الله ﷺ ولأكونَنَّ معه يومى هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبى ﷺ فقالوا: خرج وتوجه ههنا. قال: فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس قال: فجلست عند الباب وبابها من جريد، حتى قضَى رسولُ الله ـ ﷺ ـ حاجتَه، وتوضأ فقمتُ إليه فإذا هو قد جلسَ على بئر أرْيَس، وتوسط قفها، وكشف عن ساقَيْه ودلاَّهما فى البئر. قال: فسلمتُ عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونَنَّ بوابَ رسول الله ﷺ اليوم .

فجاء أبو بكر فدفع البابَ فقلتُ: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رِسْلِكَ. قال: ثم ذهبتُ فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذنُ. فقال: ائذنْ له، وبَشِّرْه بالجنة .

قال: فأقبلت حتى قلتُ لأبى بكر: ادخلْ ورسول الله ﷺ يبشرُكَ بالجنة. قال: فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القُفّ[٤٥] ودلَّى رجليه فى البئر ـ كما صنع النبىُّ ﷺ ـ وكشف عن ساقَيْه ثم رجعتُ، فجلستُ وقد تركتُ أخى يتوضأ ويلحقُنِى فقلت: إن يردِ

(٤٥) القف: هى الدكة التى تجعل حول البئر .

اللهُ بفلان ـ يريد أخاه ـ خيرًا يأتِ به، فإذا إنسان يحركُ الباب فقلت : من هذا ؟ فقال: عمرُ بن الخطاب . فقلتُ : على رِسْلِكَ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمتُ عليه، وقلت : هذا عمر يستأذنُ . فقال: ائذنْ له وبشِّرْه بالجنة . فجئتُ عمرَ فقلت: أَذِنَ ويبشرُك رسولُ الله ﷺ بالجنة قال: فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القُفّ عن يساره، ودلَّى رجليْهِ فى البئر ، ثم رجعتُ فجلست فقلت: إن يردِ اللهُ بفلان خيرًا ـ يعنى أخاه ـ يأتِ به، فجاء إنسان فحرك الباب فقلت: من هذا ؟ فقال: عثمانُ بن عفان .

فقلت: على رِسْلِك . قال: وجئتُ النبى ﷺ فأخبرتُه . فقال: ائْذَنْ له وبشرْهُ بالجنة مع بَلْوى تُصِيبهُ .

قال: فجئتُ ، فقلت: ادخل ويبشرُك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبُك . . قال: فدخل ، فوجد القف قد مُلِىءَ، فجلس وجَاهَهُم من الشِّق الآخَر » .

وفسر علماء الحديث هذا بأنه إشارة إلى مكان دفن كل منهم . .

(ا . هـ)

الدرس الثانى والأربعون

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ولـو أنهم إذ ظلمـوا أنفسَهـم جاءوك فـاستغفـروا الله واستغفر لهـم الرسول لوجدوا الله توَّابًا رحيمًا ﴾ (١)

اللهم صـلِّ على نبينـا الذى أرسلته رحمـة للعالميـن ... الله !! ظهر جماعة يقـولون : « النبى مات » ... وأى شىءٍ فى هـذا ؟ ! سبحان من لايموت !! ولكن ... هل موت النبى ﷺ مثل موت جدك وأبيك ؟

قال ـ تعالى ـ : (إنك ميِّت) أى : موتتك التى اختارها الله لك تفوق موتة الأنبيـاء والصالحين ... ﴿ وإنهم ميِّتون ﴾(٢) الموتة التى اختارها الله لهم ...

ألم تسمع أن الأنبياء كلهم جاءوا ليصلى بهم إماماً فى بيت المقدس بعد أن حضروا بأجسادهم وثيابهم ـ صلوات الله عليهم ـ فكيف يكونون أحياء، وإمامهم لا يكون حيًّا ؟!

كيف ينتقلون بعد موتهم وهو لا ينتقل بعد موته ؟

كيف ؟ ! وهـو أفضل الجميع ـ عليهم الصـلاة والسلام ـ فمـن باب أولى أن يكون نبينا ـ ﷺ ـ حيًّا ، ويجيىء مصر وغيرها ... هنا يسأل أهل الشك : ما الدليل على ذلك ؟

---

(١) النساء : ٦٤ .

(٢) الزمر : ٣٠

والجواب : أنه ورد فى جميع كتب السنة أن الله ـ تعالى ـ جمع له الأنبياء ، وصلى بهم إماماً ليلة الإسراء ...

وقد يقول أهل الجهل : إن هذا كان مناماً ...

وهذا خطأ ... بل هو معجزة خارقة للعادة ليس للعقول فيها تصرُّف!! ونحن قد آمنا بما سمعنا من أن الله تعالى أسرى بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ... ومن تحرَّى الحقيقة عرف أن هذا أمر خارق للعادة ... مثل انشقاق القمر للمصطفى ـ ﷺ ـ :

عن عبد الله بن مسعود قال : « انشق القمر، ونحن مع الرسول ـ ﷺ ـ فصار فرقتيْن فقال لنا : اشْهَدُواْ اشْهَدواْ » (١) .

فواجب على المسلم ألا يجادل ويقول : كيف يكون هذا ؟! بل عليه أن يصدق ويؤمن ... حتى يدخل فى الذين ﴿ **يؤمنون بالغيب** ﴾ (٢)...

الشيخ محمد بخيت (شيخنا) كتب فى هذا بعض وريقات منها :

قال بعض علماء الغرب : إن للقمر جاذبية ... فإذا انشق صارت كل فلقة بها جاذبية ، ولا يعود القمر إلى أصله ...

والإجابة من كلام علمائهم الذين قرروا : أن الحجر حينما يكون على الأرض تكون بينه وبينها جاذبية ، فإذا رفع رُفِعت الجاذبية ، وإذا عاد اكتسبها مرة أخرى ... وهكذا القمر ...

---

(١) رواه البخارى ...

(٢) البقرة : ٣

ثم كيف تتحكمون فى قدرة الله بالجاذبية وقوانين الطبيعة وغير ذلك؟!

روى البخارى عن ابن أبى عمرة الأنصارى عن أبيه قال: « كنا مع رسول الله - ﷺ - فى غزوة غَزَاها، وأصاب الناسَ مخمصةٌ، ثم دعا بِرَكْوَة فوُضِعت بين يديه، ثم دعا بماء فمضمض فاه ثم مجَّه فيها، وتكلم بما شاء الله أن يتكلم ثم أدخلَ خناصِرَه فيها، فأقْسِم بالله لقد رأيتُ أصابعَ رسولِ الله - ﷺ - تتفجّر بينابيعُ الماءِ، ثم أمرَ الناسَ فشربوا وسَقَوا ومَلأوا قربهم وأدواتهم فضحك رسول الله - ﷺ - حتى بدت نواجِذُه، ثم قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُه ورسولهُ، لا يلقى اللهَ بهما أحدٌ يوم القيامة إلا دخلَ الجنَّة ». اهـ

والكرامة ثابتة فى القرآن: فآصف بن برخيا - صاحب سليمان عليه السلام - قال: ﴿ أنا آتيكَ به قبلَ أن يَرتَدَّ إليك طرفُك ﴾ (١). مع أنه ليس بنبىٍّ، وإنما هو ولىٌّ له كرامة! ولا تقل: كيف ذلك؟!

لأن هذا من خصائص الأولياء الذين لا نعرف قدرهم وننتقصهم حقوقهم ...

ويجب أن تعلم: أن الولى سواء كان حيًا أم ميتًا لا يخلق شيئًا، وليس فى يده شىء، ولكن إذا رضى عنه ربه يقضى له حوائجه، ويجيب له دعواته ...

وفى كل الحالات: الفعَّال هو الله، ولكنه ربط الأسباب بالمسببات ...

---

(١) النمل: ٤٠

فعرش « بلقيس » لم يأت بنفسه، ولكن جاءت به الأسباب المكتوبة فى الأزل، ولذلك قال : (أنا آتيك به) نسب الفعل إلى نفسه التى هى سبب الإتيان ... (فلما رآهُ مستقِرًّا عنده قال هذا من فَضْلِ رَبِّى) رجع إلى الحقيقة والأصل ...

وحين تسافر إلى « طنطا » وتقول : السلام عليك ياسيدى أحمد البدوى ... أنا حضرت لزيارتك طالباً من الله الشفاء ...

فإذا شفيت ... فمن الذى شفاك ؟ الله ... لماذا ؟ إكرامًا لجاه السيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ .

كذلك الأمر : من الذى جاء بالعرش ؟ الله ... لماذا ؟ إكرامًا لجاه آصف بن برخيا ...

فلا تنكر كرامة الولى ؛ لأنها من مولاه ... وهو دائمًا يقول : يارب !!

رجل يأكل عدسًا ؛ فإذا قلت له : مدد ... يعنى : هات لقمتين ...

رجل يوزع مالاً ... فإذا قلت له : مدد ... يعنى : هات قرشًا ... رجل يدعو ربه ... فإذا قلت له : مدد ... يعنى : هات دعوة صالحة ... سيدنا الحسين رضى الله عنه إذا قلت له : مدد ... يقول لك : الله يغفر لك ...

ولا يعارض هذا بحديث : « إذا سألتَ فاسأَلِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله »[1] .

---

(١) رواه الترمذى وأحمد .

لأن هذا خاص بالأمور التى لا تطلب إلا من الله، بدليل أن الله أباح أن يسأل بعض المسلمين بعضًا فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وأما السائل فلا تنهَرْ ﴾ (١)

كذلك الأمر فى قوله : « وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله » أى : فى الأمور التى لا يطلب العون فيها إلا من الله ...

بدليل أن الله قد أمر المؤمنين بأن يُعِين بعضهم بعضاً فى الخير فقط ... قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوان ﴾ (٢).

وها هو ذو القرنين يطلب العون من رعيته كما حكى القرآن : ﴿فأعِينُونِى بقوّةٍ ﴾ (٣) أى : مع كونكم من عباد الله ...

بِتُّ ليلة مشغولاً بأمر هؤلاء المنكرين فقمت فى منتصف الليل وأقول : يارسول الله كفرونا !! فأرجو بيان تلك المسألة لى ... وذهبت نحو المكتبة، ووضعت يدى على البخارى، فتناولت الجزء الذى فيه صفة الخوارج : « يخرجُ فى آخِرِ الزمانِ قومٌ أحْداثُ الأسْنَانِ، سفهاءُ الأحلامِ، يقولون من خير قول الناس، يقرأون القرآنَ لا يُجَاوزُ تراقِيَهم (حناجرهم)، يمرقُون من الإسلامِ كما يمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ، فمن لَقِيَهُم فلْيَقْتُلْهم، فإن قتلَهم أجرٌ عند اللهِ لمن قَتَلهم » (٤).

---

(١) الضحى / ١٠ .

(٢) المائدة / ٢ .

(٣) الكهف / ٩٥ .

(٤) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

فسجدت لله شكراً، وكدت أطير من الفرح ...

يا رسول الله : جزاك الله ألف ألف خير !!

فإذا لقيت من يقول لك : إذا زرت الأولياء دخلت ضمن الآية ﴿واتَّخَذُواْ من دونِ اللهِ آلهةً﴾[1] . إذا لقيت واحدًا من هؤلاء فقل له : أنت من الخوارج ...

واحذر أن تعمل مثلهم وتقول مثل قولهم، فهم قد اتصفوا بصفة من صفات الذين قال عنهم : ﴿ قد يَئِسواْ من الآخِرَة كما يَئِسَ الكفارُ من أصحابِ القُبُور ﴾[2] . لأنهم لا يؤمنون بخواص الأرواح .

وقد ورد : فى «المصنَّف» لعبد الرزَّاق اليمنى : عن رجل من أهل المدينة عن سهيل بن أبى صالح عن محمد إبراهيم التيمى قال :

كان النبى ـ ﷺ ـ يأتى قبورَ الشهداءِ عند رأسِ الحولِ فيقول : «السلام عليكم بما صبرتُم فنعمَ عُقْبى الدَّار » قال : وكان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلونَ ذلك» . ورواه ابن أبى شيبة والبيهقى . . كما ورد عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه أتى البقيع بأمر من الله واستغفر للشهداءِ فيه، كما ورد فى مصنف عبد الرزَّاق أيضًا ، وورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

«إنى كنتُ نهيتكُمُ عن زيارةِ القبورِ فزُورُوها، فإنها تذكِّرُ الآخرةَ » . أخرجه عبد الرزَّاق فى مصنفه .

---

(١) يس / ٧٤ .

(٢) الممتحنه / ١٣ .

والأمر النبوى سنة واجب اتباعها، لا سيما إذا قرنت بالفعل.

العلامة الألوسى ألَّف كتاب (روح المعانى) فى تفسير القرآن، ولكن حفيده عندما طبع الكتاب حرَّف فيه..

فمثلاً: عند قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوَسِيلَةَ﴾[1].

ساق الحديث: «أن رجلاً قال لرسول الله - ﷺ -: إنا نستشفعُ بِكَ إلى الله - تعالى - ونستشفعُ باللهِ تعالى عَلَيْكَ. فسبح رسولُ الله ﷺ حتى رُؤِىَ ذلك فى وجوهِ أصْحابِه، فقال: وَيْحَكَ، أتَدْرِى ما اللهُ تعالى؟! إن اللهَ لا يُشْفَعُ به على أحدٍ من خَلْقِه، شأنُ اللهِ تعالى أعظمُ من ذلك»[2].

قال الألوسى الكبير: هذا دليل على مشروعية التوسل برسول الله ﷺ؛ لأنه لم يعترض على توسلهم به إلى الله، ولم يوافق على العكس..

الألوسى الحفيد قال: معنى «نستشفعُ بك إلى الله» يعنى: بدعائك.. فلا يجوز التوسل به بعد موته.. وإنما فعل هذا؛ لتأثره بأقوال الشيخ ابن تيمية من غير تحقيق..

والخلاصة: أن هناك بعض الناس يكابر فى العلم.. ربنا يكفينا شرهم، ولا يجعلنا مثلهم نكفر أحدًا من المسلمين.. لأن هذه كبيرة من الكبائر..

---

(١٣) سورة المائدة.

(١٤) رواه أبو داود وغيره.

فلو أن رجلاً قال لغيره : إنه مشرك ، فإن كان المخاطب كذلك وإلا رجع الوصف إلى القائل . .

روى مسلم والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : **«أيما امرىءٍ قال لأخيه : كافر ، فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ، وإلا رجعتْ عليه »** . .

فالكفر والشرك بعيد عن المؤمنين ، أعاذنا الله وإياكم منه !! فقد روى البخارى بشرى للمؤمنين ، يقول النبى ﷺ : **«وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»** .

قال علماؤنا : الأمة الإسلامية مأمونة من الشرك ، ولكن الأعمال قد تكون مدخلاً إلى الشرك الخفى . . فإذا صليتُ لكى يرانى الناس ، فهذا شرك أصغر فى الأعمال ، وليس شركًا أكبر فى حق الألوهية . . والرياء ذنب من الذنوب العظيمة ، ولكنه تحت المشيئة يغفره الله إن شاء . .

روى البخارى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : **«مَن رآنى فى النومِ فَسَيَرانِى فى اليقظة »** .

وقد ورد أن سيدنا عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ دخل بيت السيدة ميمونة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ بعد وفاة النبى ـ ﷺ ـ ، وأخذ مرآة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ونظر فيها فرآه ـ ﷺ ـ . .

فهذا ابن عباس صحابى وابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ فكان القول : **«فسَيَرانِى فى اليقظة»** . . إذا نظر فى مرآتى كما نظر ابن عباس . . وهذا من ضمن الشروح . .

وإذا رآه أحد فى اليمن، وآخر فى الشام، وآخر فى العراق فى وقت واحد، فيلزم من ذلك التعدد !!

وردَّ القاضى عياض - رحمه الله - بأن هذا ليس هو الصواب بل الحق أن رسول الله ﷺ كالشمس، من رآه فى أى مكان فهو هو، واحد لم يتعدد . . وهذا فى شرح البخارى . .

وهذه حكاية أستدلُّ بها على أنى لم أَصِلْ بعدُ، وأن هذا الدرس بخير، ومن يحضره فى خير إن شاء الله، وأنه - سبحانه - يعطى سره لأضعف خلقه . .

«فى عام ١٣٨٥ هـ جاءنى رجل صعيدى وقال: عندى كلام لولا أننى أمرت من جهة عليا بتبليغه لك ما أخبرتك به !! أعلم يا أخى أننى كنت جالسًا بدرسك بالجامع الأزهر الشريف بعد صلاة الجمعة، وكنت تقول فى درسك: (كان الجلال السيوطى يتذاكر علم الحديث مع النبى ﷺ، وكان السيوطى يعرض عليه الأحاديث النبوية) . .

قال الرجل: فرأيت النبى ﷺ يقظة جالسًا بجوارى فقال ﷺ: (قل لابنى هذا يجتهد مثل ما اجتهد السيوطى حتى يرانى مثله)، وجاء رجل يمرُّ بيننا، فأردت أن أمنعه، فقال - ﷺ -: دعه فإننى - ﷺ - نور . .

فلما أخبرنى بهذا الكلام أخذتنى الدهشة وتعجبت . . فقال لى: والله لولا أننى أمرت أن أُخبرك ما أَخبرتك !!

وكان يحدثنى بذلك فى صحن الأزهر، فرأيت رجلاً جالسًا اسمه (أحمد محمود من بلدة موشا بأسيوط). فجئت به إليه وقلت له: اسمع ياشيخ إلى ما يقوله هذا الرجل، فأخبره الخبر» اهـ .

الغريب: أن هذا هو حال الأولياء . . حين تقابل واحدًا منهم ويكلمك تنسى أن تسأله عن نفسه حتى يذهب بعيدًا عنك . . ولا تستطيع أن تقدم له شيئًا من واجب الضيافة ، وهكذا انسحب الرجل الصعيدى من خمس سنين ، ومن يومها لم أره . .

«وفى سنة من السنين وأظنها فى أول حجة عام ١٣٧٢ هجرية لقينى رجل من الكُرْد عليه حال ، جاءنى ووضع يده على رأسى وصار يقول : مبارك ! مبارك ! فقلت له : أين سيدنا الخضر عليه السلام؟ فقال لى : ستلقاه بالروضة الشريفة . .

فلما وصلت المدينة جلست فى يوم من الأيام بعد صلاة العصر بالروضة ، فجاءنى رجل ما رأيت مثله ، وعليه عمامة صفراء ، ولا يوجد له شبه فى الناس ، له لحية بيضاء عظيمة ، فسلَّم علىَّ وقال لى : هل هذا النبى ـ ﷺ ـ إذا سلمنا عليه يسمع سلامنا ويرد علينا ويرانا ؟! فقلت له : نعم . .

فقال لى بلسان عربى فصيح : أرحت قلبى أراح الله قلبك . .

ثم قال لى : إذا كنا فى بلادنا وسلمنا عليه وصلينا عليه هل يبلغه ذلك؟! فقلت له : نعم . .

فقال لى : أرحت قلبى أراح الله قلبك . .

وسألنى عن أشياء أخرى لا أذكرها الآن . .

ثم جاءنى أُناس يُسلِّمُون علىَّ ، فلما انصرفوا التفت فلم أجده . فوقع فى خاطرى الكلام الذى أخبرنى به الكردى فى «منى» . . ثم رأيته بالليل

فى المنام كأننى فى السفينة التى كان قد ركبها مع سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ فى البحر ، ورأيته واقفًا بالبر بالهيئة والثياب التى رأيته عليها وهو يُسلِّم علىَّ من بعيد ويشير إلىَّ بيده يعنى : أنا الذى رأيتنى بالأمس . . على نبينا وعليه الصلاة والسلام» . . اهـ .

فكلام الصوفية كله حق ، وكله نور . . وربنا يجمعنا به ـ ﷺ ـ والكون معمور بالأولياء . .

كان هناك شيخ إذا سُئِل : أين الأولياء ؟

كان يقول : أهم موجودون معنا !!

فالأولياء مُسيَّرون بالأوامر . . ولا يعملون شيئًا بدون أمر . . وقد ورد فى الأثر : «الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة»[1] .

وإذا كنت تريد زيادة نعطيك : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2] . هل اليهود من العالمين ؟ نعم . ولكن الله قال :

﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾[3] . ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسَهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسولُ لوجدوا الله توَّابًا رحيمًا﴾[4] .

---

(١) قال ابن حجر فى الفتاوى الحديثية : لم يرد بهذا اللفظ ، وإنما يدل على معناه الخبر المشهور: لا تزال طائفةٌ من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خَالَفَهُم . . . ﴾ فهو صحيح بمعناه .

(٢) سورة الأنبياء : آية ١٠٧ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٥٦ .

(٤) سورة النساء : آية ٦٤ .

(إذْ): وقت أى: الوقت الذى يعصى فيه المؤمنون ربهم ويظلمون أنفسهم..

(جاءوك): حيثما كنت حيًّا..

(فاستغفروا الله): عندك..

أجل!! إذا كنا قد أثبتنا له الحياة ولإخوانه بحديث: «الأنبياءُ أحياءٌ فى قبورهم يُصَلُّون»[1].

إذن: لماذا نخصص الآية بوقت حياته؟

والصواب: أن يكون المعنى: جاءوك أينما كنت فى الدنيا أو الروضة فى مسجدك، ونظرت إلى زوَّارك، ورددت عليهم السلام، واستغفرت الله لهم، فتاب عليهم ورحمهم..

وبعض العلماء قال: إذا لم نتمكن من زيارته فى المدينة، فنتوجه به ـ ﷺ ـ من مكاننا، ونقول بعد صلاة ركعتى قضاء الحاجة: «اللهم إننى أتوجه إليك بنبيك سيدنا محمد ﷺ نبىّ الرحمة.. يا سيدى يا محمد يا رسول الله: إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتُقْضَى.. (وتُسمِّيها).. اللهم شفِّعْه فىَّ بجاهه عندك».

وهذا هو الدعاء الذى علمه الرسول ﷺ ـ للأعمى، كما جاء فى رواية الترمذى وغيره:

«عن عثمانَ بن حُنَيف أن رجلاً ضريرَ البصرِ أتى النبىَّ ﷺ فشكا

---

(١) رواه البيهقى.

إليه ذَهَابَ بَصَرِه، فقال: يا رسول الله: ليس لى قائدٌ وقد شقَّ علىَّ..

فقال رسول الله - ﷺ -:

«ائْتِ الميضأة، فتوضأْ، ثم صَلِّ ركعتين، ثم قل: «اللهم إنى أسألكَ وأتوجهُ إليك بنبيكَ محمدٍ ﷺ نبىّ الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك فيُجلِّى لى عن بَصَرى..

اللهم شَفعه فىَّ، وشفعنى فى نفسى..

قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضُرّ». اهـ

فالذى ردَّ بصره هو الله - سبحانه وتعالى -، وما كان هذا إلا إكرامًا للنبى - ﷺ -:

س: واحد سمع من بعض العلماء: أن الأولياء المنتقلين أحياء ويتزوَّجُون.. فهل هذا صحيح؟

جـ: الأولياء أحياء فى روضة من رياض الجنة، وحياتهم البرزخية ليست كحياتنا، وهم لا يتزوجون؛ لأن الجسد الذى كان من شأنه التمتع بالزواج قد مات..

فهم كالأنبياء والشهداء ينعمون فى روضات الجنة بالحور فقط إلى أن يبعث الله الأجساد والأرواح يوم القيامة..

س: هل لكل مؤمن فى الجنة عدد خاص من الحور العين لا يشركه فيها غيره؟

جـ : نعم . . فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حرم الشركة فى النساء فى الدنيا، وكذلك حرَّم الشركة فى الحور فى الجنة . .

س : جاءنى ضيف عزيز فبعدما قدمت له الطعام أحضرتُ له علبة سجائر . . فهل لى ثواب على علبة السجائر ؟

جـ: الإنسان ليس له ثواب فى حرام أو مكروه . .

وقد ورد فى الحديث : «**الذنب شؤمٌ على غيرِ فاعِلِه، إن عيَّرهُ ابتُلِى، وإن اغتابَه أثِم، وإن رَضِى به شَارَكه**»(١) .

يعنى : لما تقدم سيجارة لواحد وتقول : هذا «مقريف» فلا ثواب لك . . واحد يشرب «بوظة» تحضر له من يصنعها له لكى يتم انسجامه . . فهذا حرام . .

كنتُ ، وأنا طالب يغلبنى النوم فى الدرس، فقال لى بعض الناس : هات «نشوق» ! فأتيت بالنشوق . .

وكنتُ فى هذه الأيام أرى النبى ـ ﷺ ـ والصحابة كثيرًا جدًا فرأيت النبى ﷺ جالسًا على السرير متربعًا، وقدَّامه سيدنا أبو بكر وباقى الخلفاء . . فأقبلت عليه، وسلمت عليه وقبَّلت يده . . فقال سيدنا أبو بكر : يا رسول الله : إن هذا يَتَنشَّق . .

فأشار ﷺ، وقال : أنا لم أتنشّقْ . . إنه مُضِرٌّ بالبصر !

قلت : سيدنا أبو بكر يشكونى لأجل النّشُوق . . فاستغفرت الله، وكسَّرت العلبة . .

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس . .

س : هل يُعْمَل بهذا كحديث يا مولانا ؟

جـ : عن صاحب الرؤيا يعمل به فى نفسه . .

ثم جاء سيدنا عمر ، فسلمت عليه وقلت له : ادع لى . . فقال لى : اذكر الله ، ودعا لى بخير . .

ثم جاء سيدنا علىّ من يمينه وأمسكنى ، فقلت له : أنا محسوب عليك ، أنا من ذريتك . .

فالنبى ـ ﷺ ـ أشار برأسه ، وقال : نعم . . نعم . . ففرحت فرحًا عظيمًا ، وكنت فقيرًا جدًا . . وقلت : الحمد لله يا رب ! وامتنعت عن النشوق إلى يومنا هذا . . وشكرت الله . . فأنا مراقب مراقبة شديدة . . وهناك غير ى من له تصريح ، والأولياء ليسواْ على مشرب واحد . .

ولما أمرض يزورنى سيدى محمد الباقر ـ رضى الله عنه ـ ، وكل أهل البيت عليهم الرضوان . .

وذات مرة رأيت سيدى موسى الكاظم فى المنام كهيئة الصعيدى وقال لى : أنا موسى الكاظم . . أنا كاظم الأولياء . . لِمَ لَمْ تمدحنى فى روضة القلوب والأرواح ، وأنا كاظمهم . . فقلت :

وأنورهم وأنورهم وزيد * وموسى مَن يسودُ الكاظمينا

وكان الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه يقول : «قبر موسى الكاظم ترياق مجرب» . أى : لإجابة الدعاء . .

وفى نيتى أن أذهب إلى العراق لأزوره ، وأزور قبر الإمام علىّ ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ . .

س: واحد مسلم أقرض نصرانيًا . . فهل له ثواب ؟

جـ: لا ثواب له . . والإقراض يجوز شرعًا ولكن بدون ثواب . . كما يجوز أن تعزيه، ولكن بدون ثواب . .

مثل الرجل الذى سرق ألف جنيه وذهب إلى الحج . . فقد سقط عنه الفرض، ولكن لا ثواب له . .

***

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال:

«لعن رسول الله ـ ﷺ ـ المتشبِّهِينَ من الرجالِ بالنساء، والمتشبِّهاتِ من النساءِ بالرِّجال»[1].

إذا جاءت امرأة ودخلت الصفّ وذكرت مع الصوفية، فبشرها باللعنة، وإذا ألقت درسًا فى «الميكرفون» لنساء مثلها فذلك جائز، وأما للرجال فلا . .

***

س: ما حكم الوصية فى المال بالنسبة لغير الوارث أو الوارث ؟

جـ: بالنسبة لغير الوارث بينها النبى ﷺ فى الحديث المروى عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال:

«كان رسول الله ـ ﷺ ـ يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى

---

(١) رواه البخارى وابن ماجة .

فقلت: إنى قد بلغ بى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة، أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا. فقلت: بالشطر؟ فقال: لا. قال: الثلث والثلث كبير أو كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس. الحديث»[1].

فإذا كان لدى شخص ألف جنيه وقال: وقفتهم لفقراء الأزهر، فلا تنفذ وصيته وإنما ينفذ الثلث فقط..

أما بالنسبة للوارث فلا وصية له؛ لقوله ﷺ: «إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث»[2].

س: هل الأرض تأكل الجسد كله بعد الدفن؟

جـ: قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[3].

حتى لا يدخل إنسان الجنة بهذا الجسد، بل بجسد جديد نظيف..

س: ما حكم الوصية بالحج عن الميت؟

جـ: إذا أوصى رجل وقال: هذا المال يحج به عنى جاز ذلك فى مذهب الإمام مالك.

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه مسلم وغيره.

جاءنى رجل من ثلاثين سنة، وقال: أنا أصاحب امرأة وأحبها، وأذهب معها إلى السينما، ولكنى أحبها حبًّا شريفًا وقلبى نظيف!!

فقلت له: إذا وضعت يدك فى ذراعها تشعر بمثل ما تشعر به لو وضعت يدك فى ذراع أمك؟!

قال: لا. يحصل تلذذ فى قلبى..

قلت له: إذن.. أنت لِصٌّ شريف..

س: ابنى مات فى الحرب وهو يجاهد، وصرفوا له معاشًا فهل هو حرام أم حلال؟

جـ: حلال الحلال..

س: ما حكم النظر إلى التليفزيون؟

جـ: إذا كنت فى وقت الغذاء، وعلى السفرة طعام شهى - أفلا تتشوَّق نفسك لأكله؟!

السائل: نعم..

كذلك إذا جعلك التليفزيون تشتهى امرأة فى الحرام.. فالنظر إليه حرام؛ لأن ما يشوق للحرام فهو حرام..

أما إذا عرض التليفزيون قصيدة مديح نبوى تذكر بالمصطفى - ﷺ -، فالنظر إليه حلال..

النظر إلى التليفزيون يحرم حين يعرض الأغانى الخليعة مع الرقص المثير، وهو مثل تحريم الصور المحرمة وتحريم النظر إليها..

س: هل يجوز تعليم البنات ؟ وما وجه الاستدلال بسؤال الصحابة للسيدة عائشة رضى الله عنها ؟

جـ: كان الصحابة والتابعون يسألون السيدة عائشة رضى الله عنها من وراء حجاب، وكان يروى عنها ابن أختها عروة بن الزبير ـ رضى الله عنه ـ:

وكان سيدنا عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يرسل لها ابنه الصغير. وكذلك رابعة العدوية ـ رضى الله عنها ـ كانت تتحدث من وراء ستارة . . وأين هؤلاء من بنات زماننا نحن ؟!!

س: هل يجوز للرجل أن يتزوج ببنت زوجة أبيه ؟

جـ: البنت تحرم على الأب فقط لقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِى فى حُجُورِكُم﴾[1].

ويجوز لولده أن يتزوجها ؛ لأنها أجنبية عنه . .

س: رجل مات ومركب أسنان ذهب ؟

جـ: أسنان مركبة لا تخلع بعد موته ؛ إذا كانت ملتحمة بالعظام لأنها تؤدى إلى نزول الدم، أما لو كان الميت مركب طقم أسنان ذهب، أو لابس خاتم، فنخلعه . .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«كسر عظم الميت ككسر عظم الحىّ»[2].

---

(١) سورة النساء: آية ٢٣.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أم سلمة.

س : هل سيدى عمر بن الفارض من الأشراف ؟

جـ: سيدى عمر بن الفارض سلطان العاشقين ليس من الأشراف . بل من ذرية السيدةحليمة السعدية من بنى سعد . .

س : ما حكم التعامل بالسَّلَم ؟

جـ: السلم بيع فى الذمة .

فمثلاً إذا قال الرجل لآخر : سوف أشترى منك أردب قمح بعشرة جنيهات ، وأعطاه المبلغ على أن يستلم منه الأردب بعد سنتين ، انعقد البيع بهذه الشروط ، ولا يتأثر بارتفاع السعر وانخفاضه .

والسلم ثابت فى الشرع ، ويجوز التعامل به . . ولكن بشروطه المعلومة فى الفقه الإسلامى .

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحـة
كلمة الناشر	٣
مقدمة الجزء الرابع	٤
مقدمة الجزء الأول	٧ ـ ٢٢
افتتاحية الدرس	٢٣
الدرس الثالث والثلاثون	
شرح حديث (الأرواح جنود مجندة . . .)	٢٤ ـ ٣٨
ـ تقارب الأرواح وتباعدها في الدنيا مبناه على تقاربها وتباعدها فى عالم الأزل .	٢٤
الشفاعة العظمى	٢٧
بين معجزات الرسل ومعجزات نبينا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ	٢٩
المعجزات دليل على طلاقة القدرة الإلهية	٣١
القرآن أعظم معجزات نبينا ـ ﷺ ـ	٣٢
حفظ القرآن حفظ للأمة ورفعه إشارة إلى هلاكها	٣٣
من أسرار القرآن	٣٥
مضرة حب الدنيا لقلب المؤمن	٣٦
أسماء الله الحسنى وأسرارها النافعة	٣٧

الموضـــوع	الصفحـة

الدرس الرابع والثلاثون

في تفسير قوله تعالى : ﴿ما يبدل القول لدىّ وما أنا بظلام للعبيد﴾ ٣٩

إنفراد الله ـ سبحانه ـ بالخلق والتدبير ٣٩

نعمة التوفيق للعبادة ٤٢

من فوائد الأسماء الحسنى ٤٥

نملة سليمان ودعاء الاستسقاء ٤٦

التوكل على الله دليل كمال الإيمان ٤٧

هاجر أم إسماعيل وقوة اليقين فى الله ٤٩

فضيلة صلاة الصبح فى وقته ٥١

كل الأقدار مسجلة فى اللوح المحفوظ ٥١

سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ والصبر الجميل ٥٢

حاول تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿والعصر . . .﴾ ٥٤

أوقات الصلاة : مشروعيتها والمحافظة عليها ٥٥

معنى : ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ ٥٧

حقيقة الإيمان المقصود فى السورة ٥٧

حول معنى قوله ـ تعالى ـ ﴿قل بفضل الله وبرحمته . . .﴾ ٥٩

معنى (أعوذ بك منك) ٦١

ما فائدة الدعاء مع سبق الأقدار ؟ ٦١

ما تفسير قولـه ـ تعالى ـ ﴿وتلك القرى أهلكناهم لمـا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدًا﴾ ٦٣

تأثير الموعظة وتأثير الغفلة فى حديث (حنظلة) ٦٤

الموضـــوع	الصفحـة

بين الحجاج وسعيد بن جبير ـ رضى الله تعالى عنه ٦٦
حكم قراءة سورة الكهف فى المساجد جهرة يوم الجمعة ٦٧
ما معنى قوله ـ تعالى ـ ﴿إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا﴾ ٧٠
حكم لمس المتوطىء يد المرأة ٧١
المراد بالنفس والروح ٧١
آداب دخول دورة المياه ٧٢
زيارة الأضرحة وما يدور حولها من قضايا ٧٣
حكم المعانقة والتقبيل ٧٥
دلالة هزيمة المسلمين أمام الأعداء ٧٦
النافلة قبل المغرب ٧٧
مكان دفن الإمام على ـ رضي الله تعالى عنه ـ ٧٨
ذرية السيدة زينب ـ رضى الله تعالى عنها ـ ٧٨

الدرس الخامس والثلاثون

الدعاء عند قبور الصالحين ..... ٨٠ : ١٠٢
صفة الزيارة التى لا توجب اعتراضًا ٨٠
من صفات المنكرين وأحوالهم ٨١
الاحتفال بموالد أهل البيت عمل مشروع ٨٢
المحبة وفوائدها ٨٤
قصة شيخ مع مريده المحب ٨٦
حول الكرامات ٨٧
حديث «المرء مع من أحب» ٩٠
لماذا يهتم المؤمن بالرزق ؟! ٩٣

الموضـــوع	الصفحـة

حول تفسير ﴿ربّ الفلق﴾ ٩٤
حكم البسملة فى الفاتحة وغيرها ٩٥
معنى كلمة «مدد» ٩٥
الفرق بين الارادة والأمر الإلهيين ٩٦
معنى (الغين) ٩٧
حول آية ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ ٩٩
المنكرون والخوارج ٩٩

الدرس السادس والثلاثون

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم لعلكم تفلحون﴾ ..... ١٠٢ : ١١٦
من أسرار النداء الإلهى للمؤمنين ١٠٣
العروبة والإسلام ١٠٦
الحج وشعائر الإسلام رمز لوحدة المسلمين ١٠٧
حول معنى حديث (احفظ الله يحفظك) ١١٠
حكاية حول المقاصة فى إيذاء الأعراض ١١١
حكم التقاتل بين المسلمين ١١٤
فائدة الصلاة على الميت ١١٦

الدرس السابع والثلاثون

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ ..... ١١٧ : ١٣٣
وجوب مداومة الشكر على نعمة إرسال النبى ـ ﷺ ـ ١١٧

الموضـــوع	الصفحـة

إشارة عظيمة فى الاحتفال بمولده ـ ﷺ ـ ١١٨
بشرى النبى ﷺ لأمته بعدم الشرك ١١٩
نصيب المؤمن من الدنيا ١٢٠
تفسير: ﴿من أنفسكم﴾ ١٢٦
تفسير : ﴿عزيز﴾ ١٢٦
قصة صرعه ـ ﷺ ـ لركانة بن عبد يزيد ١٢٧
شفاعته المدخرة لأمته ١٢٩
نوره ـ ﷺ ـ ١٣١

الدرس الثامن والثلاثون

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ ..... ١٣٥ : ١٦٢
تفسير لطيف للشاذلى ـ رضى الله تعالى عنه ـ لهذه الآية ١٣٦
الناس منعمون مع العصيان . . فكيف إذا كانوا متقين ؟ ١٣٨
غذاء الجسد، وغذاء الروح ١٣٩
إنفراد الله ـ سبحانه ـ بالتأثير ١٤١
همّ الرزق من وسوسة الشيطان ١٤٤
الصلاة ملجأ المؤمن عند الشدائد ١٤٤
فى تحريم الخمر ١٤٦
مناقشة القرآن لمنكرى البعث ١٤٩
تسبيح الكائنات ١٥١
الملائكة الحفظة والكتبة ١٥٣

الموضـــوع	الصفحـة

مشاركة الشيطان لبنى آدم فى الأموال والأولاد ١٥٦
حكم نكاح المحلل ١٥٨
حكم الطهارة بماء البحر المالح ١٦٠
حكم لبس الذهب والحرير للرجال ١٦١
ساعة الإجابة يوم الجمعة وساعة التبكير فيها ١٦٢

الدرس التاسع والثلاثون

في تفسير قـوله ـ تعالى ـ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمتـه ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ ..... ١٦٣ : ١٧٧
معرفة الله تعالى توجب الحياء منه ١٦٥
التفكر فى الخلق يوجب تعظيم الخالق ـ سبحانه ـ ١٦٦
معنى ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا﴾ ١٧١
بين عبد الله بن جعفر وخادم البستان ١٧٢
علاج النفسى التى تشتهى المعاصى ١٧٥
حفظ الله لبلاد الإسلام ١٧٧

الدرس الأربعون

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا﴾ ١٧٨ : ١٩١
حول حديث «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» ١٨٠
خلق آدم على صورة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ١٨١
تكريم الوجه بالسجود به لله ١٨٢
من نفحات الركوع لله ـ سبحانه ـ ١٨٤
فرح النبي ـ ﷺ ـ بالطائعين من أمته ١٨٧

الموضـــوع	الصفحـة

عناية الله بأوليائه تحفظهم من كيد الشيطان ١٨٩
كيفية الاستجمار ١٩١

الدرس الحادى والأربعون

فى تفسير قـوله ـ تعالى ـ ﴿وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هـذا صراط مستقيم . . .﴾ ..... ١٩٢ : ٢٢٣
تهيئة الروح لسماع كلام الله والتعرض لتجلياته ١٩٣
بين ملك الموت وجليس سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ ١٩٥
بين النوم والموت ١٩٤
المحبة شرط استكمال الإيمان ١٩٩
التبرك بمآثار الأنبياء فى حديث الإسراء ٢٠٠
التبرك بآثار نبينا ـ ﷺ ـ ٢٠١
آراء العلماء فى حكم زيارته ـ ﷺ ـ ٢٠٢
التبرك دليل المحبة ٢٠٥
حكم الصلاة على الرسول ﷺ بعد الآذان ٢٠٧
كلام العلماء حول صلاة التراويح ٢٠٨
الاستهانة بالعلم والعلماء سبة فى وجه أولى الأمر ٢١٠
اختلاف الصحابة وتحقيق القول فيه ٢١٢
حول «البدعة» ٢١٧
حكم تزيين المساجد وفرشها ٢١٩
معنى (طه) ٢٢١
حول دفن النبى ـ ﷺ ـ رؤيا وتفسيرها ٢٢٢

الموضـــوع	الصفحـة

الحديث الثاني والأربعون

في تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾ ٢٢٤

الفرق بين موت النبى وموت غيره ٢٢٥

المعجزة والكرامة ٢٢٧

تحقيق القوله فى قوله ﷺ «إذا سألت فاسأل الله» ٢٢٨

الاستخارة وتطابق وصف الخوارج مع المنكرين ٢٢٩

زيارة النبى وصحبه للقبور ٢٣٠

الألوس الجدّ والألوس الحفيد وحديث التوسل ٢٣١

رؤية النبى يقظة ٢٣٢

كرامة للمؤلف ٢٣٣

حديث توسل الأعمى ٢٣٤

لا ثواب فى فعل المكروه ٢٣٨

حكم ذكر المرأة فى حلقة الرجال ٢٤٠

حكم الوصية للوارث وغيره ٢٤٠

فتاوس متنوعة ..... ٢٤١ : ٢٤٣

الفهـــارس ٢٤٤